

نسخة آية التَّكْوِينِ

قال فضيلة الشيخ الإمام محمد متولي الشبراوي : المصح هو ركز الخطام للإسلام ، واستكمال نعمة الله تعالى على الإنسان ؛ لأن هذا الركز يتطلب كثيرا من تفرؤاته ، يتطلب عناية البدن للقدرة على الحركة ومشفقة لسر ومغيب السفر ، ويتطلب راحته ، ويتطلب أن يترك الحاج لكل من يموله في بلدته قوته إلى أن يعود ، فالذي يحكىه الله من كل ذلك يكون قد أتم عليه نعمة ربيته ؛ لأن نعمة الربوبية سبقت نعمة الأرومية ، فنعمة الربوبية عطاء من الله ، والذي يعطيك لا يطلب منك أن تقول له : و ليك ، ولكن الذي يطلب منك هو الذي يتطلب أن تقول له : و ليك ، فالعطاء متارة من أعلى لأدنى ، ولكن طلب الأرومية هو الذي يحتاج إلى معالية النفس في : الفعل كذا وهو لا يحب أن يفعل ، ولا تفعل كذا وهو يحب أن يفعل .

إذن .. فمرحلة التكليف في الفعل ولا تفعل هي التي تتطلب أن يقول العبد فيها :

و ليك يا ربى ، أى : إجابة لدعائك لى .

وأما عطاء الله له في النعمة فلا يتطلب منه أن يقول : و ليك ، والمؤمن حين يهتف بعمل المصح في قوله : و ليك اللهم ليك ، لاحظ أنه يحجب الله ، وإجابة الله إجابة تتطلب أن يخرج الإنسان عن اختياره فيما يرى أنه مريح له وأنه مُسعد به ؛ إلى اختيار الله تعالى له .

والحق سبحانه وتعالى لم يكلف بالفعل ولا تفعل إلا بعد أن أدى عطاء ربوبية كاملة ؛ خلقنا الإنسان من عدم ، وأمدادنا له من عدم ، وموتة له على الحركة بطاقات وأجهزة وإفصالات ، وكم من متفعل له انفعلم معه .

ولذلك لا يطلب الله منا إلا التكليف ، وقيل التكليف يعطى عطاء الربوبية سالما ، كما طلل عطاء الربوبية للكاثر أيضا . فعين يقول المؤمن : و ليك اللهم ليك ، أى : إجابة بعد إجابة ، لا يقول : و ليك يا ربى ، أولا ، وإنما يقول : و ليك اللهم ، أى : ليك فيما كلت به وأخرجتني عن مشبهات نفسي في انفعلم كذا ولا تفعل كذا . فكان المؤمن حين يقول و ليك اللهم و نرحب بالتكليف من الله ، ومعنى الترحيب

إذن .. فاطلع حينما تنظر إليه مجده موافقا لما نزل فيه من قول الله سبحانه : ﴿ هُوَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [التوبة : ٣] لأنكم جميعكم في هذا قد استوفيت كل نعم تكوّن حياتكم : قدرة بدن ، وقدره رزق ، وأمن طريق .

إذن .. فذلك هو الإتمام ، وكان الله تعالى يقول : لم أكلف إلا على قدر ما أعطيت من عطاء ربوبية ، فإذا شاءت حكمتي أن أقتصم شيئا من عطاء الربوبية فمن حكمتي أيضا ورحمتي أن أقتصم شيئا من التكليف .

ولذلك قلنا : إنه يجب أن نفهم أن أركان الإسلام ليست هي أركان العلم . أركان الإسلام يعتمدها المسلم ، ولكن يعتمدها سلكا هي شيء واحد : أن تؤمن بالله وأن تؤمن برسوله وأن تفعل . وأن تركي إن كان عندنا فائق ، ونصوم إن كانت لنا قدرة ، وأن نحج إن كانت لنا استطاعة ، فقد يكون الشيء ركنا في الإسلام ولكنه ليس ركنا في المسلم .

ولكن بالمحج استوفى الإنسان كل أركان الإسلام فأدى مطلوبات الأروحية بانفعل كلنا ولا تفعل كلنا ، لأن الله أدّى له كل نعم الوجود في حركات حياته بما لا يدع له مجالاً للتخفيف منه .

والمحج سبحانه وتعالى حين يطلب منا إقامة هذه الأركان إنما يطلب منا السوية في التكوير الإنساني المراد لله تعالى ، وهو الاستخلاف في الأرض .

والخلاصة معناها : أن الله استخلفه لعمار هذا الكون ؛ ولكن الملق سبحانه وتعالى يتحمل منه مقومات حياته ، فلا يطلب منه في مقومات الحياة الأساسية شيئا لأنه يهبها له . فمثلا : الشمس تشرق ، الهواء يجر . المطر يزر . الأرض يستثمرها تعطيك ما قدره الله تعالى فيها ؛ وتعطيك الزرع .

وبعد ذلك إن أردت أن ترتقي أنت في نظرية الحياة ارتقاء فاضل طاقاتك الخلقية لربك في الأرض المخلوقة لربك .

ولأن أردت أن تعيش كما يعيش الأنعام تأكل مما تبت الأرض ، وتشرب مما ينزل من السماء أبيض عيشة الفقر ، عش عيشة الكسالى الغير متجهين .

المحج إعلان نعم الله على الإنسان

نلاحظ أن كثيرا من غير المؤمنين بأعدون على المؤمنين أنهم حين يحج الواحد منهم ينعش نفسه بلقيع هو : الحاج فلان ، ويرزون ذلك شيئا من التمالى يُركّبي من أركان الإسلام لم يوجد في المصلّى فلان ولا في التركي فلان ، ولكن تقول : الحاج فلان . تقول له : لا .. إن هذا إعلان بنعم الله على الإنسان وقام نعمة الله في عطاء الربوبية يتناسبه تمام نعمة الله في تكليف الأروحية ؛ لأنك ما حججت إلا عن قدرة ، وما حججت إلا عن غنى وعن فائض مال ، وما حججت إلا عن أمن طريق .

وتلك هي استكمالات وسائل الحياة . فكأنك حين تقول : و الحاج فلان ه بنى : ثلثم أن الله أنعم عليه إنما اتسع له إيمانا برسوله صلى الله عليه وسلم وإقامة للصلاة ، وأداء للزكاة ؛ لأنه ما دام قد قدر له الاستطاعة على أداء فريضة المحج فلا بد أن يكون قد زكى ، وما دام قد قدر أن يحج فلا بد أنه صام .

إذن .. فكلية : و الحاج فلان دلت على أن المؤمن أصبح مستوفيا لكل أركان الإسلام ؛ لأن الله رفاه من عطاء الربوبية ما يحمله أملا ؛ لأن يكون مؤدبا لها .

وعلا بافتنا إلى شيء من رحمة الله بالخلق ، فمثلا : الإيمان الذي لا يكلف مجهودا ولا طائفة ولا حمل ظهر ؛ لأنه يثبت في القلب ، واليقين في القلب لا يقتله ولا يهجم وإنما يعلوه فقط إشرافا ويملؤه نورا ، ولكن الصلاة التي تتطلب من الإنسان حركة من قيام وقعود وزلزلة ونسيح الله سبحانه وتعالى على قدر ما أعطى من عطاء الربوبية كلف بعطاء الأروحية ، فهنا يملأ قائما ، ومن لم يستطع صلى قاعدا ، ومن لم يستطع صلى قائما ، ومن لم يستطع صلى راكعا ، ومن لم يستطع صلى ساجدا ، ومن لم يستطع صلى على قلبه . إذن .. فالله لا يكلف تكليفا بالهوية إلا على مقدار ما أعطى من نعم ربوبية . فمثلا الذي لا يكون عنده مال يعمل إلى حد التصاب ويريد عنه : لا يطلب منه أن يركّبي ، وللسافر والمريض يرضع لهما في عدم الصيام ، والذي يسافر : يقتصر الصلاة . كل هذا دليل على أن عطاء الأروحية في التكليف مناسبت لعطاء الربوبية في التشريع .

إذن .. فأين يذهب الأمر الزائد ؟ الأمر الزائد لا بد أن يفيض قهوا منه رضى أو لم يرض إلى الغير .
إذن .. فكل حركة من حركات الوجود هي نائمة ؛ تحرك بها مؤمن ، تحرك بها كافر ، تحرك بها طائع ، تحرك بها عاص .
إلا أن الفاعل إن جعل في ياله الله تعالى الذى وهب له هذا يأخذ ثوابا عظيما في الدنيا والآخرة ، وإن لم يجعل الله تعالى في ياله يأخذ حظه من الدنيا ، ولا نصيب له في الآخرة .

○○○

أما إن أريد أن تُعتمد نفسك إسماعداً آخر فانفعل مع الأشياء التى خلقها الله تعالى لك والأشياء التى خلقها الله للإنسان لو نظرنا إليها لوجدناها : شيئا يعطيك إن طلبت منه .
والشيء الذى يعطيك وإن لم تطلب منه . وتستطيع بعد ذلك أن ترقى رتبا آخر يعطيك إن طلبت منه .

ثلاث مراحل : فالأشياء التى تعطيك مثلاً وأنت لا تطلب منها كالطير . فأنث لا تطلب الطير ، بمعنى أن تقول له : انزل لى . ولكن الله ينزله لك . كذلك لا تطلب ضوء الشمس حرارة ودفاً ووزراً وإشراقاً ... إلخ ، بل الله يأمرها فنعفك ، وكذلك لا تطلب من عناصر الأرض شيئاً بل هى تعطيك بماذن ربها ما شاء لها أن تعطيك . ولكنك تجد شيئاً آخر إن انفعلت فيه انفعلك .

فالأرض مثلاً إن بدبرت فيها ووريتها : أفضتلك وإن لم تفعل : لا تعطيك .
إذن .. ففى الكون أجناس تعطيك وإن لم تطلب منها ، وذلك الناس فيه سواء ، وأنباء إن انفعلت معها انفعلت لك وأعطتلك .

وبهذا يختلف الناس قوة وضعفاً وحضارة وارتقاء ؛ فالذين ينفعون فيما ينفع لهم هم الذين يمدون . فالذى يحرق الأرض ويورعها ، ويورى الزرع ويحرس على أن يفسح فى الأرض البذرة التى تناسبها يرتقى .

والذى يعطيك وإن لم تطلب منه إذا انفعلت معه انفعلك وأعطتلك شيئاً جديداً ترتقى به ؛ وعند مثلاً : حينما عرت العاقرة على الناس وفكروا فى بديل للعاقرة ؛ كان فى البداية : المشيب والحطب ، ثم النخع ، ثم الزيتون ... وكل هذه وسائل طاقة ، ثم فكر وارتقى وأخذ الطاقة من الشمس .

إذن .. فالشمس كانت تعطيك وإن لم تطلب منها ، ولكن بالارتقاءات الثانية أصبحت تعطيك إن طلبت منها ، تأخذ من حرارتها الزائدة وتخبزن وتسيغها فيها . تلك عطائيات من عطائيات البرية للخلق جميعاً . وباختلافهم فى هذا يختلفون رتبا وحضارة ولزقاء .
الإنسان منا حين ينفع فيما ينفع له يأخذ خيراً من خير الوجود فوق الآخر . هذا الذى يأخذ من خير الوجود فوق الآخر لى يأكل ، يمشى ، ولن يأكل يمشى ، وإنا هى رتبة كرتية الآخر .

فى الإسلام المساواة .. وعدم التعالى

حين يتعالى الناس بالأشياء ، يربد الحق سبحانه وتعالى أن يخلوهم خلما من تعاليهم ، حتى يضمن تعادل الخلق . ومعنى تعادل الخلق : الاستطراق الأدنى فى الكون ، ومعنى الاستطراق الأدنى أن لا يتعالى أحد على أحد ، لأنك إن تعاليت على أحد بمظهر من مظاهر حياتك فانظر : أمدا المظهر ذاتى فيك أم موهوب من الله تعالى لك ؟ والفرق بين

الذاتى والموهوب أن الذاتى يظل معك والموهوب يمكن أن يُنتزَع منك .

فإن تعالَى واحد على واحد بقوة ، أتدوم له قوته هذه ؟ أم من الممكن أن يضعف غداً ؟ ولو تعالَى واحد على واحد يثنى ، أمن الممكن أن يدوم له غناه هذا ؟ أم من الممكن أن يذهب عنه غداً ويصير فقيراً يسأل الناس ؟

إذن .. فكل أمر ليس ذاتياً فإن الله تعالى يضع فى تشريعہ وفى منهجه ما يترك هذا التعالى . هذا التعالى الذى نسميه « الأغيار » ، ومعنى الأغيار : هى الأشياء التى لا تجت عند مكون واحد .

وما دامت لا تجت عند مكون واحد ، فلا بد أن يكون لها مكون أعلى من ذلك الواحد .

إذن .. فكل وسائل تعالَى الإنسان ليست ذاتية فيه وإنما هى موهوبة من الله تعالى . فإشياء الحق سبحانه وتعالى بما شرع من أركان الإسلام أن يضمن ذلك ليظل الإنسان مستخلفاً فى الأرض ، ليس أصيلاً فيها ، لأن الذى يقصد الكون أن الإنسان يظل أنه أصيل ، فيستغنى .

فتقول له : إن كنت أصيلاً فحافظ على مقومات تعاليك ! وما دمت لا تستطيع أن تحافظ على مقومات تعاليك فلت أصيلاً . وقرأ قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَشَقَّاءٌ ﴾ [العلق] .

فما دمت استغيت بشئ ليس ذاتياً فيك فأدب بعض الشرع ، وإذا تأدبت بعض الشرع فستذكر الواهب لك ، وإذا ذكرت الواهب لك فستتد منهجه .

الحج

١٢

ولذلك كانت أول الأركان أن نشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ خاصعين لأوامره . وما دمت أنا وأنت خاضعين لإله واحد فذلك أول مظهرية من مظاهر التساوى ، وما دمتا تساورنا فى هذه فالحق سبحانه وتعالى يدعونا إلى إعلان هذا التساوى فى أول ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهو الصلاة .

فإذا نودى للصلاة سعى الناس جميعاً إلى بيت الله ليؤدوا الصلاة وسعى الناس ساعة الداء لا يترتب مقاماتهم ، ولكن يترتب إجاباتهم للأذان ، فالذى سمع الأذان وباهر متوجها يذهب أولاً .

كل هذا يدل على أننا جميعاً نصدر عن أمر واحد ونهى واحد ، فلا تعالَى لإنسان على إنسان .

وحين يكون الإنسان عبداً لله تعالى يكون غيره عبداً لله أيضاً . ويقولون دائماً : « عبدٌ غيرك حُرٌّ منك » ، حتى فى البشر ، لو أن إنساناً عنده عبد ، هذا العبد عندك أنت عبد فقط ، أمّا صاحبك فلا يقول له أنت عبد ، لأنه عبد لغيره .

وكذلك الإنسان ، إذا ما استحضر عبوديته لله وعبودية غيره أيضاً لله تعالى شئ مبداً تعالَى فى الأرض .

○○○

الحج

١٣

صاحب الجاه ، هذا استطرار يتأتى فى الملح الذى نخرج إليه وقد نسيت أقدارنا . ولذالك يؤتى الله تعالى فينا مقومات هذا الاستطرار فيقول : إنكم تختلفون فى بيتكم ، وتختلفون فى حياتكم ، وتختلفون فى لباسكم . فكل واحد يحدد مكانه فى مجتمعه وعندمه ولباسه ونوع الأمتعة ونوع التفضيلة ، ونوع الهوية التى عليها : منسوبة جينا أم لا ، مكرية أم لا ... وهذه الهوية تختلف فيها مقامات الناس ، فيريد الله أول كل شئ فى الاستطرار أن يخلع هذه الهوية جميعا ، وأن يلبس لباسا واحدا لا يختلف فيه أبدا . حتى تطلع أول فتوى لهوية الإنسان ، لأن من الذى يعطى النعمة للإنسان ، أمر ماله الذى فى البرك ، أو ماله الذى عنده فى الخزنة ؟ أمى ضيعته . أمى عمارته ؟ هل ساحل العمارات أو الشيكات أو القول للناس ها أنا ذا ؟ بالطبع لا . إنما الذى يبين مكانة الإنسان فى مجتمعه هيئته ، فنقول له : أول شئ فى الهوية أن تنتهى حتى تفصلها . لا تتفعل ، ولا تتخبط ، ليس فقط فماشها ، لا ، وبأنى بالإزار والرداء ، كلنا بوازار ورداء يكاد يكون كله شكلا واحدا ويكاد يكون كله نوعا واحدا ، فإذا ما لبسنا لباسا واحدا انتهت أول مظهرية من مظاهر المساو والتماثل ، البهيات والزلات .

وبعد ذلك يخرج الله عما ألف : من أهل ومن ولد ، ومن مال ، ومن بيته ومن حياؤه رنية ، ومن وسائل مرفهة فى تقلاعه ، كل هذا يخرج منه .

وبعد ذلك يعلمه أدب الجوارح . فيقول له أنت كنت حرا فى أن تتربى ، وأن تطيب ، وأن تقصر شعرك ، وتعلم أنظارك . لا . التزم هنا ، أنت فقط تتربى وتطيب وتستحم إلى أن تحرم ، وقبل ذلك أنت حُر فى أن تُرجل شعرك وكذا ... الآن إياك أن تفعل شئيا فتسقط شعرة .

انظر إلى الأدب مع اللات ، إياك أن تسقط شعرة منك ، إياك كذا ، إياك كذا . أدب فى تكوين اللات !

وأدب مع الجساد ، وأدب مع النبات : إياك أن تقلع هذه الشجرة . إياك أن تصطاد هذا الحيوان . وأدب مع الناس : إياك أن تجادل ، إياك والفسوق ، فأخبره الله تعالى من كل مقومات تكريمه ، وقبوله : وطناً ، أهلاً ، مائلاً ، هنداماً ، كل هذا يخرج منه .

المح ٢٥

المساواة فى الصلاة والمحج

إن الصلاة حين ندعى إليها نذهب جميعا ، لا بأقدارنا فى ذواتنا ، ولكن بأقدارنا بالنسبة لنهج الله ، فالذى يسرع خطواته ساعة النداء إلى المسجد ، يذهب أولا ليجلس فى الصف الأول ، ولا يراحمه من يأتى بعده ، ويتبع على المسلم أن يتخطى الرقاب ليصل إلى صف لم يؤمله زنت له (١) ، وبعد ذلك تكون أقدار الناس واحدة ، فالمعظم يراه من دونه فى حركة الحياة ، وهو ذليل بين ربه ، وساجد بجهته مثله ، وضارح إلى الله دعاء ورجاء .

إذن .. فالمعظمة والأهبة خارج المسجد التبت ، وكل واحد منا شهد الغير على مشهيد من اللذة لإله واحد . حين يرانى من هو أعظم منى فى حركة الحياة خارج الصلاة ويرأى من دونى يرانى مثله ؛ استطرق الحياة ، واستنحى الإنسان بعد ذلك حين يخرج من المسجد أن يظهر عليه التماثل ؛ لأنه مسجد لمن سجد له ، وركع لمن ركع له ، وبكى لمن بكى له ، وتضرع لمن تضرع له . إذن .. فالمساواة هنا واحدة ، وما دامت المساواة واحدة فإن مبدأ الاستغناء والتماثل فى الخلق لا يتأتى .

وكان الحق سبحانه وتعالى يريد بذلك فى ركن الصلاة أن يبين ذلك التساوى ، ولكن إعلان التساوى فى الصلاة يقولون إنه إعلان يبنى ، يبنى : كل جمعة فى مسجد من المساجد رأوا بعضهم البعض فى عبودية وضراعة وتخضوع وقالة لله تبارك وتعالى . ويريد الله أن يصنع لهما الاستطرار ليس بيعة محدودة ، بل بيعة عالمية . فعالمية الاستطرار لكل أجناس أهل الأرض ، الأمم القوية ، الأمم الضعيفة ، الغنى ، الفقير ،

(١) روى أبو داود (١١١٨) والتساوى فى السن الكثير (١٧٠٦) وأحمد فى المسند (١٨٨/٤) وابن حبان فى صحيحه (٢٧٩٠) واللفظ له عن عبد الله بن بسر رضى الله تعالى عنه قال : و كنت جالسا إلى جنب النبي يوم الجمعة ، فجاء رجل يخطب رقاب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : واجلس فقد أدبت رأيت . وقال الأثرأوط : إسناده صحيح على شرط مسلم . وهو عند ابن ماجه (١١١٥) عن جابر رضى الله تعالى عنه ، وصححه الألبانى .

المح ١٤

إذن فالإنسان هو السيد . وما دام هو السيد فحقه كم عبد ؟ الحيوان عبد ولكن الحيوان عبد وسيد أيضا ؟ لأن النبات يخدمه والجملاد يخدمه ، إذن فهو عبد لمن هو أعلى منه ، سيد لمن هو أدنى منه ، لأنه يأكل من النبات ، وكل الخصائص التي في الأرض تنفعه .

والنبات : سيد ، ولكنه عبد للحيوان وعبد للإنسان ، وسيد للجملاد ؛ لأن الجملاد هو الذي يعطي له غذاءه وعناصر تكوينه .

والجملاد : عبد للكل . إذن .. فهو أدنى منزلة في الوجود .

فإنه سبحانه وتعالى أدنى مع نفسه حركة وعندما . وأدنى مع النبات ، لا أقله ، وأدنى مع الحيوان فلا أسطاده ، يبقى أن يوثقى مع الجملاد ، فجعل حجرا يوضع في الكعبة ، ويقول لي : لا يصلح حجلك أو عورتك إلا بأن تسلم عليه ، أو تقتله أو تلمسه ، أو حتى تشير له فقط !!

إذن .. الإنسان الأعلى يخضع هنا لهذا المجر الذي هو الأدنى ١٢

نعم .. فهذا هو الاستطراق ، انظر كيف أنزل الله الإنسان من كبرياء سيادته إلى أدنى السيد والتخلقات وهو الجملاد .

إذن .. فالإنسان استوفى كل الاستطراقات مع الكون ، ويصبح عظمة كل فرد في الكون بأداء مهمته ، لا يوجد شيء عظيم بذله ، ولكن عظيم بأداء مهمته .

وما دام بأداء مهمته ، فمن له اختيار في أداء مهمته ؟

إذن .. فلا تعالى لحيوان على نبات ، ولا نبات على جملاد ، ولا شيء من هذا ، إنما التماثل من الإنسان على هذه الأشياء .

ولذلك في الملح - وهو الركن الخامس الخاتم لأركان الإسلام - يقول له : الهم أدبك والزم حذك وانزل من سيادتك إلى أن تتقف حتى تستلم هذا المجر .

وحى لا تنهم إبه حجر لأنه حجر ، لا .. فكان مراد الله تعالى أن ينزل الجنس الأعلى إلى الجنس الأدنى ، فاصبح ذلك مشروطا في صحيح الإيمان .

إذن .. هو أدب مع الكون : بداية مع النبات يقول له : إياك أن تتلع هذه الشجرة ، تبركها ، إياك أن تصماد هذا ، إياك أن تقتل أسدا ، إياك أن تجادل أسدا ، إياك ... كل هذا لأنك ذائب إلى بيت الله .

ما هذا ؟ ما هذا القلب الجديد الذي يأتي الإنسان الذي استكمل كل مقومات الحياة ؛ لأنه ما أصبح مستطيا للملح إلا رصده كل شيء تنفعه إلى أن يعود ، فحينئذ يقول له : تأدب إذن هنا .

وبعد ذلك يذهب إلى البيت في أدب من أرق أنواع الأدب : مجموعة أحجار ، والله تعالى نصيبها في مكان البيت وقال لك : طف حولها ، وحج منها ، بكل هذا المجر ، أو يكفي أن تسلم عليه مباشرة . إنما رجيت أنك لا بد أن تلمس المجر ، فحاول وتماز حتى تلمسه ، وإن لم تلمسه تقول لا بد أن أطرف مرة ثانية حتى ألمسه !! فما هذا المجر ١٣

إنك لو نظرت إلى أجناس الوجود لوجدت هذا الجملاد هو الجنس الأدنى في الوجود ؛ لأن أجناس الوجود إن تفاوتت ؛ فإنما تفاوتت بقدر تقاضها في الخصائص ، الإنسان لماذا هو السيد في هذا الكون ؟ لأنه مستغنى عن الأجناس كلها بأن عنده فكر ، يوره الله بهذا الفكر عن الحيوان ، مع أن الحيوان له أجهزة وله دورة دموية ، ودورة كذا ؛ لكن ليس عنده الفكر .

إذن .. فانا أخذت خاصية الفكر ، وهو نقص فيه . فصار جنسا أدنى يفقد خاصية الكمال فيه .

والحيوان أيضا زاد على النبات بالجنس والحركة ؛ والنبات زاد على الجملاد في النمو ، فالمعجزة تظل ملقاة وتطوؤها بالأقدام ، أما النبات فينمو وفيه حياة .

إذن .. فوجد تمايزات في الأجناس : جنس أدنى ، يأتي له نمو فيكون نباتا ، وآخر يأتي له حسن وحركة فيكون حيوانا ، وآخر يأتي له كل هذا ثم يوره الله تعالى بالفكر فيكون إنسانا .

البكاء عند رؤية الكعبة

كثير من الناس يقول لك : أنا حين أدخل البيت أو أطوف تتأني حالة من البكاء لا أعرف لها سببا ، فإذا سأله لماذا يبكي ؟ لا يجيبك بشيء ، البكاء هنا غسول لكبرياء ما فيه ، فيأتي أبهى هذه الكعبة التي هي منية من هذه الأحجار وفيها الحجر الأسود فيبكي . وهذا البكاء هو مظهرية الضعف ومظهرية الخوف .

لأن الإنسان بغضته التكبرية أدرك أنه كان يوجد تمايلات متعددة . التمايلات كلها ذهبت ، ولكنها أتت من العقل الباطن ، وهو لا يشعر بها ، ولكنه عندما يبكي ، ويظل يحكي أنه يبكي بشيء من الفرحه ؟ فها دليل على أن البكاء صنع معه توازنا كيماريا في ذاته ، كمية الكبرياء التي كانت عنده مخفية توازن انتهت ، ففراخ .

إذن .. فكأن تكوين من التكريات يأتي على نفسه إن كان على غير ما أراد الله وشعره . فعندما يبكي على قدر ما أسرف ، وعلى قدر ما أتى وعلى قدر ما خالف ، فيجد نفسه ارتاحت ، ثم يشاق إلى ما يبكيه ، ويتشأن أن يأتي مرة ثانية ويبكي كما يبكي المرة الأولى .

ولذلك لا يبكي كل مرة مثل الأولى ، في المرة الأولى يبكي بحرارة شديدة ، أما التي بعدها فيبكي أقل ، والتي بعدها أقل ، حتى يأتي عنده استطرار صفائي ويوجد نفسه وذواته وتكرياته اعتدلت في ذاتها ، وما دامت ذواته اعتدلت في ذاتها فقد أصبح إنسانا سويًا ، وما دام أصبح إنسانا سويًا فقد أصبح راضيا ^(١) .

(١) ورد في السنة للثقة على صاحبها صلاة الله تعالى وسلامه عند دخول مكة رؤية الكعبة ودخول المسجد الحرام ما يلي :

أولًا : عند دخول مكة المكرمة : « الله أكبر ، اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحجنا رؤيا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابة ورؤيا ، وزد من تحفته أو اعظمه تكريمًا وتشريفًا وتعظيمًا ومهابة » ^(٢) .

(٢) رواه البيهقي في الكبرى [٨٩٠هـ] وابن أبي شيبة في مصنفه [٢٩١٢هـ] من مكحول رضى الله عنه .

إذن .. فالجنس الأدنى أصبحت منزلته هنا والجنس الأعلى سراء ، ولكن يالك أن تفهم أن الحجرية هنا ملحظ ؛ لأن الذي أدرك هنا أن تسلم هذا الحجر وتقبله أو حتى تشير إليه إن لم تتمكن قال لك لرحم حجرا آخر ، حتى يخرج من فمك أن هناك سيادة للحجر كجنس .

فصحيح كل المسائل منتهية في أنه لا جنس أفضل من جنس إلا فيما يؤدي به كل جنس مهمته . وكل جنس من الأجناس ما عدا الإنسان يؤدي مهمته ، فلا تعالى بينهما أبدا ، لم تر أبدا شجرة تفتح تعالت على شجرة طماطم ! ولم تر أبدا طاووسا تعالى على أرنب ، كل شيء في الوجود لازم عُدْ أدبه مود لمهته إلا الإنسان : هو كَلَّا يَكُ الْإِنْسَانُ يُفْقِرُ ﴿١﴾ أن تَرَاة استغنى ﴿٢﴾ [العلق] . فإذا ما ذمب الإنسان وطاف حول الكعبة حيثما يستشعر ذل العبودية ، ويلزم حده .

○○○

وقد كان علما ولا تزال في الدنيا ، وكل واحد مشغول بنفسه ، ولذلك السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها لما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ستخسر عروا قالت : يا رسول الله : الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض وهم عرايا ١٤ فقال : الأمر أكبر من أن بهمهم علما ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ^(١) . وكذلك نرى هذه الصورة في الحج .

○○○

(١) رواه البخاري [١٥٢٧] بسط : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخشرون حداة مائة غزلا . قالت عائشة : قلت : يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال : الأمر أشد من أن بهمهم ذلك » .
ورسلي [٢٨٥٩/٥٩] والسنائي [٣٠٨٤/٢٠٨٦] وابن ماجه [٢٤٧٦] وأحمد في المسند [٥٢/١٦] من عائشة رضي الله تعالى عنها .

ثم إننا نلاحظ أن الناس جميعا في هذا المقام - وهم لا يزالون في الدنيا - كل واحد حول الكعبة مشغول بأن يستحضر : بماذا يدع ، ماذا يقول ، كيف يقى . وقد أصبح مدهورا ضمن حوله ، يعني أنه لم يعد مشغولا بالخلق ؛ لأنه في بيت الخلق ، وما دام في بيت الخلق فهو لاء الناس لم يعودوا يشغلوا باله ، ولذلك تجد الناس يقرئون : يا أنبي النساء والرجال يخطبون في الحج والرحام كلما وكلا ١١ وهل يشعر أحد بشيء ، وإليك ربما تطرف ولذة الأجنبية في كنفك وأنت لا تدري من يحورك .

= اللهم إنا هنا البلد بئذك ، ولبيت بئك ، جئت أطلب رحمتك وأؤم - وأتعد - طاعتك ، شيئا لأورك ، وأرضا بقورك ، فجئنا لأورك ، أسألك للعصم إليك ، العتق من عذابك أن تعطيني وأن تحجاز عني برحمتك ، وأن تدخلني جنتك ^(١) .
ثانيا : عند رؤية البيت الحرام : اللهم زد هذا البيت تشريفا وذكريا وتعظيما وبرا ^(٢) .
ثالثا : عند دخول المسجد الحرام بدخل برحله ليسى ويقول : بسم الله ، وأحمد الله ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ^(٣) .
رابعا : عند رؤية الكعبة المشرفة تقول مشرا إليها بئذك البني : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله . اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ورحمة ^(٤) . اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، جئنا ربنا بالسلام ، اللهم إني أسألك رضاك والجنة ، من الكفر والظفر ، ومن شقي الصدر ، ومن غلب القبر . اللهم إني أسألك رضاك والجنة ، وأعوذ بك من سخطك والثر . اللهم أدخلني الجنة بلا حاقة عذاب ، ولا حاققة حساب ، وحاشي يا رب حسابا يسيرا بغيرك وكرمك واحسانك ، أستغفر الله ، أستغفر الله العظيم وحاشي يا رب حسابا يسيرا بغيرك وكرمك واحسانك ، أستغفر الله ، أستغفر الله العظيم وأتوب إليه ، اللهم صل على النبي محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليما كبيرا .

(١) ذكره صاحب شرح المذهب ، ونقله في الدين المعلى .
(٢) رواه القشيري في مسنده [٢٨٥] من ابن جريج رضي الله تعالى عنه .
(٣) رواه ابن ماجه [٢٧٢٦] من عائشة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد يقول : « بسم الله وسألتك على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك » . وفيرواني [٢٣١/١٤] ، وأحمد في المسند [٢٨٢/١٦] وقال الأثرأؤود : « صبح لغيره يومئذ قوله : اللهم اغفر لي ذنوبي » .
(٤) سبق ترجمته .

هنا ، ونعظم هنا ... لا نعظم المكان الذي كنت تتجه إليه في بلدك فقط ، لا . إذن ..
فلا بد أن تعرف^(١) .

○○○

(١) وذلك تحية المسجد الحرام ليس بعملية ركعتين كنية المسجد ، وإنما هي بالوقوف حول البيت
سبعة أشرطة ، وسأفنى دليل ذلك إن شاء الله تعالى في الطرف .

سر الاتجاه للكمية

الإنسان منا حين يكون في بلده يتجه في صلاته إلى الكمية اتجاهها مضبوطا ، يعني :
تجهه شرق ، وتجه شرق ، توجه غرب ، توجه غرب حسب موقعا من البيت ، فمثلا
الذى في القسم الشرقي يتجه للغرب ، والذي في القسم الغربي يتجه للشرق ، والذي
في القسم الشمالي من الكمية يتجه للجنوب ، والذي في القسم الجنوبي يتجه للشمال ،
والذى في الجهات الفرعية يتجه بحسب جهته .

إذن .. فلكل مكان في الأرض نقطة ثابتة ، القبلة التي تصلها لها هنا هي القبلة كل
يوم لا تتغير .

إذن .. لماذا في سيالي الكمية اتجاه وخط ؟ لأنني غالب مقبب وبعيد عنها .

إذن .. فأتجاهي هنا ، والقابل لي في ظاهره اتجاهه غير اتجاهي ؛ لأنني متجه شمالا ،
وهو متجه جنوبا ، وهذا متجه شرقا وهذا متجه غربا .

وحسب بذلك هذا ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَزَيَّنَّا لِلْجَنَّةِ أَبْوَابَ رَبِّكَ يُخْرَجُ مِنَ الْجَنَّةِ فِي بُيُوتٍ يُخْرَجُ مِنْهَا كَذِبٌ كَرِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٠] .

﴿ فَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني : إياك أن
تعتقد يا من تتجه إلى الشرق أن الله في الشرق ، وإياك أن تعتقد يا من تتجه إلى الغرب
أن الله في الغرب .

لا .. كل مكان فيه متجه ، فإذا ما كنت غربا كان لك متجه فأتا اتجاهه عملا ناحية
الركن اليساني ، وآخر يتجه ناحية الركن اليماني ، وثالث يتجه ناحية الركن الشمالي .

فإذا ما ذهبت هناك إلى أي متجه تتجه ؟
نحن كما تتجه في الغيب للمكان الذي يؤدي بنا بخط معتدل إلى الكمية .

فإذا ذهبت أنا هناك . أتجه إلى المكان الذي كنت أتجه إليه في بلدي ؟ لا .. أصبحت
الكمية كلها لك متجها ، فلا بد أن نعظم كل مكان في الكمية ، نعظم هذا ، ونعظم

أول بيت وضع للناس

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْفَىٰ يَتَّىٰ وَبُيْعَ الْكَافِرِينَ لِلَّهِ يَبْكُكُمْ مَبَازِغًا وَإِذْ يَصْرَوْنَ ۚ ۝٤٩١﴾
 إن بعض الناس يظن أن إبراهيم عليه السلام هو الذي بنى البيت . ولكن هذا القول نرد :
 لفهم القرآن منا . إن على هذا القول يتناقض القرآن ، لأن القرآن قد قال : ﴿وَإِذْ أَوْفَىٰ يَتَّىٰ وَبُيْعَ الْكَافِرِينَ﴾ وهذا يوضح أن إبراهيم كان من قبله أناس سابقون له .
 إذن .. فكيف لا يكون للناس من قبل إبراهيم بيت ، وكذلك للناس من بعد إبراهيم^(١) .

(١) من أي فرضى الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟
 قال : ه المسجد الحرام ، قال : قلت : ثم أي ؟ قال : ه المسجد الأقصى ، قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، ثم أينما أدركك الصلاة بعد فقله ، وإن العمل فيه .
 رواه البخاري [٢٣٤٢٥٠٢٣٦٦] ومسلم [٢١/٥٢٠] ، وابن ماجه [٢٧٥٢٦] ، والبيهقي في الدلائل [٢٤٤/٧] ، وأحمد في المسند [١٥٠/١٥٠] .

ومن عائد بن حمزة قال : سأل رجل حيا رضي الله تعالى عنه من هو أول بيت وضع في الأرض ؟ قال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة والهدى ، ويتم إبراهيم ، ومن قبله كان آباء ، وإن شئت لجللت كيف بدأه . وإن الله تبارك وتعالى ، أوصى إلى إبراهيم عليه السلام : أن ابن لي يثاق في الأرض ، فثاق به ذوقا ، فابسل الله هو رجل إلى السكينة ، وفي ربح يخرج لها رأس ، فليبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطرق إلى موضع البيت تطرق إليه ، فبنى إبراهيم ، فكان يبنى هو ساقا كل يوم ، حتى إذا بلغ مكان الجبر ، قال لابه : ابني حجرتا فاقس ثم حجرتا حتى أتاه به ، فوجد الحجر الأسود قد ركب ، فقال له ابني : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لم يكل على يثاق ، جاء به جبريل عليه السلام ، من السماء فأتاه . قال : فسر عليه الأمر ، فانهلهم ، فبنت الصائفة ، قال : فسر عليه الأمر ، فانهلهم ، فبنت حجرهم ، فسر عليه الأمر ، فبنت قرش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يؤمذ رجل شاب ، فثاقا أرادوا أن يؤمرا الحجر الأسود اختصموا له ، فقالوا نضعكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من خرج عليهم ، فقتل منهم أن يحمله في موط ، ثم رفته جميع القبائل كلهم . ورواه : عديج : شديدة .

من أسرار الطواف .. ولماذا سبعاً ؟

قالوا : في الطواف كان يمكن أن يكون مرة ، حتى يحقق هذا المعنى ، وأما حين أصبحت في الكعبة مشاعدا لها ، فكل مكان فيها يجب أن تضطه .
 وقالوا : إن الكعبة على شفت البيت المور . يعني : أنه فوقها ، فكان جو الكعبة ملاما يصير في الجو إلى أن يتعدى إلى البيت المور .

قالوا : يقولون في الدور الثالث من الكعبة وفي الحرم ، يتجهون بوجوههم إلى أي شيء ؟

مل ينظر المصلي إلى أسفل لينظر إلى الكعبة التي هي أسفل منه ؟
 أم ينظر أمامه أيضاً ؟ بالطبع ينظر أمامه في محل سجوده .

والى أي شيء يتجه والكعبة لارتفاعها لا يتجاوز عدة أمتار ، فهي لا تغاذي حتى الدور الأول فقلنا من الثاني والثالث ؟

قالوا : يتجه إلى جوها . وكذلك من هو أعلى من ذلك يتجه إلى جوها ، فمن يصلي في الطائرة أيضاً يتجه إلى جوها ، والذي يركب الصواريخ أيضاً يتجه إلى جوها .
 إذن .. جوها بداية من أول مقامها في الأرض إلى أن تلتقي بالبيت المور .

فكل طواف تطوفه حول البيت يثقل مصمما ومراجعا من مدارج السماء ، حتى إذا ما قضيت السبعة أشواط كانت حرجت إلى السج مسارات ، ولكن بشرط أن يكون بالسماء الإسرائي .

فإذا ما جئت وذميت لعملي ركعتين بعد الطواف مثلاً فمن الناس من يقول : تضليها عند مقام إبراهيم ، ومقام إبراهيم بعد من الكعبة بمقدار خمسة أمتار .

○○○

كان الناس يتجهون إلى نفس المكان ، وعندما تقلى نحن في الطابق الثالث في الحرم فأتانا نجهة إلى الهواء الموجود فوق الكعبة ، ولو حفرتنا تنقنا تحت الأرض بألف متر ، وأردنا أن نقلى فأتانا مستجه إلى أساس الكعبة . إذن فحبر الكعبة و كعبة و فعل إبراهيم عليه السلام كان في إيجاد المكان لا المكان ، لقد رفع البيت .

ولفترًا بالثهم الإيماني ما حدث لإبراهيم عليه السلام ، لقد أخذ إبراهيم حاجر وابنها إسماعيل وخرج بهما ليضعهما في هذا المكان ، فمادًا قالت حاجر لزوجها : هل أتوك الله هذا المكان أم أنه من اختيارك ؟ إنها تعرف أن مكورات الحياة هي المياه والهواء والثرث ، وهذا المكان لا توجد به حتى المياه ؛ لذلك قالت حاجر سائلة إبراهيم : كيف تركنا هنا ؟ وهل أنزلنا هنا بركابك أم بتوجيه من الله ؟ فقال لها إبراهيم عليه السلام : إنه توجيه من الله . لذلك قالت : لقد أصلمت والله لا بعضنا أبدًا ، إنه الإيمان العالي ؛ لذلك لم تتلق حاجر ؛ لأن إبراهيم اتجه إلى ما أمره الله .

مكنا نرى الإيمان في قسته ، ولو لم يكن الإيمان على هذه الدرجة الرفيعة فأق قلب لأم تترك الزوج بدمع بعيدا عنها ويترك ابها في هذا المكان الذي لا يوجد به طعام أو ماء ، إبا لا تؤمن بإبراهيم ، ولكنها تؤمن بحرب إبراهيم .

وعندما قرأ القرآن الكريم تجد قول الحق سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم : **هُوَ رَبِّي إِنَّكَ أَشْكُكَ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ بَعِيدٍ عَنِ مَنِّكَ الْفُحْمُ رَبَّنَا لِلْيُسْرَا السَّكَرَةِ فَاتَّخِذْ أَقْبَدَ نِكَ النَّاسِ تَجُودَ الْيَمِّ وَارْزُقْهُمْ مِنَ النَّسْرَةِ لَنُكْفِرَنَّ بِكُفْرِهِمْ رَبَّنَا إِنَّكَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ** . مكنا نعرف أنه ساعة إسكان إبراهيم لدرجه كان هناك بيت محرم ، وعندما قرأ عن رفع البيت الحرام تجد أن إبراهيم عليه السلام لم يرفع قواعد البيت بغيره ، بل شاركه إبه إسماعيل عليه السلام **هُوَ وَابْنُ بَيْتٍ إِزْرِعُ الْوَكِيدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاسْتَكْبِلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** . مكنا نعلم أن إسماعيل بن البيت واستكبل ربنا تقبل ربنا تسبح له أن يساعد والده خليل الرحمن إبراهيم عليهما السلام في إقامة قواعد البيت الحرام ، لكن عندما كان إسماعيل طفلًا فقد أسكنه والده إبراهيم عند البيت الحرام .

إن الذين كانوا يمشون قبل محج إبراهيم عليه السلام لهم نفس الخشوق عند الله التي وضعها لمن بعد إبراهيم ؛ لذلك فلا بد أن الله قد جعل بيت لهم ، وأنس القرآني : **هُوَ يَا أَكْرَمُ يَتِيحُ لِلنَّاسِ كُلِّهِمَا دَامَ قَدْ جَاءَ الْعَمَلُ مَبْنِيًا لِلْمَجْهُولِ فَوَاضِعُهُ خَيْرُ النَّاسِ** . مل هم الملاذكة ؟ قد يصح ذلك ، وأن يكون الملاذكة قد تنقرو الأمر من الله بوزارة هذا البناء ، لكن قول الحق : **هُوَ وَكُنَى الْيَتِيمَ** . فهذا البيت أيضًا هدى للملاذكة لأنهم عالم ، وهذا يعني أن البيت قد وضعه الله من قبل ذلك ، ولا أحد يقدر أن يصنع الكون على قدر العقل البشري .

إن على العقل البشري أن يكون في ركاب الكون ، وإياك أن نجعل أبها المؤمن الكون في ركاب عقلك ، أما مسألة أن إبراهيم قد بنى الكعبة فهذا عدم فهم للنص القرآني : **هُوَ وَابْنُ بَيْتٍ إِزْرِعُ الْوَكِيدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاسْتَكْبِلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** . والبقرة : ١٢٧ ما هو الرفع ؟ في الآية إيجاد بعد الارتفاع ، فحين الطول والعرض ؟ إن وجود الطول والعرض سابقان للارتفاع دليل على وجود البيت قبل أن يتم إبراهيم عليه السلام ارتفاع البيت .

إذن .. فالتالي كان مضمونًا هو القواعد والارتفاع ، إن وجود الطول والعرض هو الذي يحدد المكان ، أما البنية فهي التي تحدد ؛ ولكن ؛ وعندما أتهم البيت الحرام ، رواء المحاكم في المستنك ٢٢٩٢/٢١ ، وصححه على شرط مسلم ورواه الذهبي ، ورواه ابن جرير في التفسير ٢٧١٩٩/٢١ ، والبيهقي في الدلائل ٢٥٩٥/٢١ ، والأوزني في تاريخ مكة ٢٥٩٢/٢١ . وذاك السير طي حروبه في البر ٢١٢٩/١١ لا ين أي شيء ولحقاق بن راعويه في مستنم رعد بن حديد ، والمبارث بن أبي أسامة وابن أبي حاتم .

وقال الخطاط ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ٢١٧/٢١ : أخرجه إسحاق بن راعويه وابن أبي حاتم ، وغيرهما بإسناد صحيح .
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : : جاء إبراهيم عليه السلام فوجد إسماعيل يسلع له يما من رواء زمره فقال له إبراهيم : يا إسماعيل إن ربك قد أمرني ببناء البيت ، فقال له إسماعيل : فألق ربك فيما أمرك ، قال : فألقى عليه ، قال : فقام معه فعمل إبراهيم بيته وإسماعيل يزاره الحجرة ، وبه لآن : **هُوَ رَبِّي تَقَبَّلْ رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** . رواء المحاكم في المستنك ٢٥٩٢/٢١ ، وصححه على شرطهما ورواه الذهبي وله شراعه من الأحاديث التي قبله .

اسمه النبات . و النبات ، هل هو النبات الجامد أو النبات المعطى التامى الذى مهمما أخذت منه فإنه ينمو أيضاً ؟ ونحن فى حياتنا العادية نقول : إن هذا المال فيه بركة مهما صرفت منه فإنه لا يتبقى . أى : أنه ثابت لا يتغير ويعطى ولا يتبدل ، وكلمة « بركة » فى حياتنا تنمى : تجمع من الماء تأخذ منه بعض الماء ، ولكن الماء باقى إليها مرة أخرى ، وكلمة : « تبارك الله » تنمى و ثبت الحق ولم يزل أولاً ولا يزال هو واحد إنه الثابت المطلق ، وهكذا نجد أن النبات فى معنى البيت الحرام ، إن البيت الحرام مبارك ، ولذا سأل أحد كيف ؟ نرد على هذا التعالق : أليست تعاضف فيه الخمسة (٢) ؟ ومن هنا نشأ بركة أحسن من هذه ؟ ومن هنا نشأ بركة أفضل من أنه بيت تنبى إليه ثمرات كل شىء ولا تقطع ، وقد كان الراسل إلى البيت الحرام يأخذ معه حتى الكفن ، ويأخذ الإبرة والحيط ، واللح ، والآن فإن الزائر لبيت الله الحرام باقى بكلمات الحياة من هناك . **﴿ إِنَّ أَكْرَمَ مَا يَنْتَهِى وَنُحَيْجُ لِلَّذِينَ يَكُونُ مِثْرًا وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَدِيمٌ ﴾** : إن الهوى هو الدلالة للروسة للغة ، ومن يتردد البيت الحرام يخرج من ذنبه كيدم ولذته أمه (٣) ، فهل احدى للجنة أم لا ؟ إنه يعرف بحق البيت الحرام الطريق إلى الجنة ، وحينما ننظر إلى هذه المسألة نجد أن الحق سبحانه وتعالى لما تكلم عن البيت ، لم يكلمهم إلا عن آية واحدة فيه مع أن فيه آيات كثيرة ، قال الحق : **﴿ هُوَ قَيْدُ عَائِشَةَ بَيْتُهَا مَقَامٌ رَازٍ وَمِنْ دُونِهِ كَانَ مَقَامٌ ﴾** ولقد عكس التأني حُجُ الْبَيْتِ حِينَ اسْتَأْذَنَ إِلَيْهِ سُبُلًا وَمِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ آتَى اللَّهُ نَجْوًى عَنِ الْكَافِرِينَ ﴿ زَالَ عَرَبَانِ ۚ ﴾ [٢٩٧] ، إننا نجد صيغة الجمع موجودة فى قول الحق : **﴿ هُوَ قَيْدُ عَائِشَةَ بَيْتُهَا ﴾** ، وبنات هى وصف الجمع ، وبعد ذلك قال الحق : **﴿ مَقَامٌ رَازٍ ﴾** ، يدل على الآيات البيات ، وقد يقول قائل : اليس فى التذود أن نضيف الأمان المستوح لى دخل البيت مع مقام إبراهيم ، لتكون هذه هى الآيات

(١) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبی صلى الله عليه وسلم قال : « وصلاة فى مسجدى ملائكة من ألف صلاة فيها سواء إلا المسجد الحرام » . رواه البخارى [١١٩٠] .

(٢) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج هذا البيت لم يمت بولت ولم يفسد رجع كما ولدته أمه » . وفى رواية : « كبرم ولذته أمه » . رواه البخارى [١١٨٩، ١١٨٢] .

هكذا يتبين أن البيت الحرم كان موجوداً من قبل إبراهيم عليه السلام ، وعندما تلقى
الأنبياء في معنى كلمة : « بكة » التي وردت في هذا القول الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، ونحن نعرف أن هناك اسماً للكان البيت
الحرام هو : « بكة » وهناك اسماً آخر هو : « مكة » ، وبعض العلماء يقول : إن « البكة »
و « الباء » يعلمانان ، وتلاحظ ذلك في الإنسان الأضعف أو المصاب بركام أنه يمشي
والسهم ، كأنها « باء » و « البكة » حرفان قريبان من طريق اللحن والأناط منها تأتي
بعض بعضها .

ولننظر إلى اشتقاق مكة واشتقاق بكة ، إنا نقرأ : بك المكان ، أي : اردحم
كان ، وهكذا نعرف أن قول الحق : **هُوَ إِنْ أَتَىكَ يَتِيْعُ فُتِيْحُ النَّاسِ لِلَّذِي يَبْكُ مَبَارَكًا**
: أي : أنه المكان الذي اردحم ، وهو مكان الارذحام الذي يقبى إليه كل الناس
كل الوقود ، لنحج بيت الله الحرام ، ولا أدل على اردحام البيت الحرام من أن الرجال
والنساء يحتضنون بعضهم بعضي ، والإنسان يطوف بالبيت الحرام ولا يدري أنه يسير
وقد يلمس امرأة أثناء الطواف . و **بكة** : هي المكان الذي فيه الطواف والكمبة .
و **مكة** : هو اسم مكان البيت الحرام ، إن **بكة** : هو اسم مكان البيت الحرام
و **مكة** : اسم البلد الذي يوجد به البيت الحرام ، و **مكة** : مأخوذة من **ملك** الفصل
الضريح : أي : امتنع كل ما فيه من لبن ، والنعفل - كما نعرف - هو صغير الإبل
أو صغير البقر ، وما دام النعفل قد امتنع كل ما في الضرع من لبن ، فنعنى هنا أنه جامع
وكما نعرف أن مكة ليس فيها مياه والناس يتكاد أن تتحس المياه القليلة عندما تجردما **١١** .
هُوَ إِنْ أَتَىكَ يَتِيْعُ فُتِيْحُ النَّاسِ لِلَّذِي يَبْكُ مَبَارَكًا وهُنَا الْإِكْبَادُ وَفِي كَلِمَةِ
و **مباركا** : نجدها مأخوذة من **الباء** والراء والكاف ، والمادة كلها تدور حول شيء
١١ : **بكة** : بالياء هي **مكة** : **هُوَ إِنْ أَتَىكَ يَتِيْعُ فُتِيْحُ النَّاسِ لِلَّذِي يَبْكُ مَبَارَكًا** : سبت بكة : الألبا
توك أعتاق من يعتق عليها ، كما سبت : الثائرة ، الألبا تقهر من يعتق عليها ، أو سبت
و **بكة** : الألبا توك أعتاق الأنعام التي تبيع صاحبها وقتها للكمبة ، من بك الشيء : هشمه
ونزعه أو من بكة : أي رصعه ، وبكك الناس جرحوا ، لأن الناس جرحوا فيها . وقيل : مكة
سائر البلد ، وبكة : مكان البيت .



۷۷

وكان إسماعيل يساعد فقط في ثقل الأحجار وكان إبراهيم هو الذي يحمل الحجر ، وعندما يحمل إبراهيم وزناً لا يحمله إلا إثنان ويتوقف ليرفعه فقلبه خاف أن يقع من على الحجر ، فهل يا ترى أن الله سبحانه وتعالى جعل قدرته ساعة أن رأى إبراهيم يحمال هذه الحيلة قال خليله : سأكيفك مؤثرة ذلك ، وحمل الحق القديمين تفوصان في الحجر غرضاً يسددا إن حي زلت ، والذي لا يتسع ذهنه إلى أن الله الآن لإبراهيم أخضر ، يقول له : إن إبراهيم قد احتال وخاف أن يتزلزل أو تزل قدمه من على الحجر فحقت مكائنا في الحجر على قدر قدمه ، وحتى يثبت قدمه في الحجر وحتى يستطيع أن يحمل ويرفع الحجر الذي يحمله اتان ، وهذه آيات يسات ، والذي يرجع فلما أننا نجد أن مكان التقيم في الحجر حي تعلية مستوية ؛ لأن الإرسال حين يضع رجلاً فإن الرجل يسمه خاصة ، لكن المكان القديم في حجر إبراهيم حفر بنفسه مكائنا للقدمين في الحجر (١) . إذن .. إما أن الله أفر وأعان إبراهيم ، لأن إبراهيم فكر أن ينشئ القواعد ويرفعها أكثر ما تطول بهاء ، ولذلك أعاناه الله ونحن تعلم أن الهداية تكون هداية الدلالة وهداية المروية : **﴿ وَاللَّيْلَةَ أَخَذْتُ زَادُكَ مَذَكِّي وَآتَيْتُهُمْ تَقْوَاهُ ﴾** [سجد : ٢١٧] . وما أن يكون إبراهيم عليه السلام هو الذي مسم مكان القدم فصارت له .

○○○

(١) قال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة :
وروى إبراهيم في الصخر روية على قدميه حائلاً غير فاعل

الموجودة في البيت الحرام ؟ لكن الآيات في البيت الحرام أكثر من هذا بكثير ، بل إننا عندما نرى مقام إبراهيم نجد فيه الآيات البينات ، ونحن نتراً : **﴿ هُوَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾** ، يفتح اليوم الأولى في كلمة : **« مقام »** ولا نطقها **« مقام »** بنص اليوم الأولى ، **« أن »** والمقام بنص اليوم تعني مكان إقامة إبراهيم ، أما **« مقام »** يفتح اليوم تعني مكان القيام . لماذا كان قيام إبراهيم عليه السلام ؟ لقد كان إبراهيم يقدم ليرفع قواعد البيت الحرام ، وكان إبراهيم يقدم على حجر ، وعندما تنظر إلى **﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾** فإنك تجد فيه كل الآيات الدنية لماذا ؟ لأن الله طلب من إبراهيم عليه السلام أن يرفع قواعد البيت ، وكان يكفيه حين يرفع قواعد البيت أن يعطيه الارتجاع الذي يؤدبه طول يديه وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام قد أدى مطلوب الله ، لكن إبراهيم عليه السلام تعود مع الله أن يؤدي كل تكليات الله بحب وإكمال وإقام ، لذلك تسام إبراهيم عليه السلام ، ولماذا لا أرفع البيت أكثر بما تطول بهاء ؟ ولم تكن هناك في ذلك الزمن القدم فكرة و السقالات ، ولم يكن مع إبراهيم عليه السلام إلا إسماعيل ، وأحضر إبراهيم عليه السلام حنجراً ووقف عليه ، وعندما أتى إبراهيم بحجر يفضمه تحت قدميه ليقف عليه ، فإنه يرفع القواعد قدر الحجر .

إذن .. فإبراهيم خليل الرحمن أراد أن ينفذ أمر الله بالرفع للقواعد لا بقدر الاستطاعة الدنية له ، ولكن بقدر الاستطاعة الدنية وبقدر الاحتيال على أن يرفع القواعد فوق ما يطلبه الله ، وهذا يوضح لنا معنى ما يقوله عن إبراهيم عليه السلام : **﴿ وَلَوْ أَنِّي لَبِيتُ بِإِبْرَاهِيمَ تُبْرَ وَيَكْفُرُ فَآتَيْتُهُمْ قَالاً إِلَى جَانِبِكَ وَالنَّاسُ بِمَا كُنَّا قَال قَوْمٌ مُّزَيَّبٌ قَال لا يَتَّيَلَّ عَهْدِي الْغَالِبِينَ ﴾** [هجرة : ٢١٢] أي : أنه أدى مطلوب الله أداء كاملاً ، ولا أدل على الأداء من أنه أخذ المجارة وأتى بحجر منها ليقف عليه وليريد من ارتفاع البيت قدر هذا الحجر ، نحن نعرف أن إسماعيل قد شارك في رفع القواعد للبيت الحرام ، وعندما ننظر إلى الحجر نجد لا يسع إلا ووقوف إنسان واحد عليه ، وهكذا نفهم أن إسماعيل كان يساعد ويقال والله الأحجار :

أما مكان الأقدام الموجودة في حلا الحجر فهما يعني أن إبراهيم عندما كان يقف وحمل حنجراً من للفروض أن يحمله اتان كان لابد من ثبات القدمين في مكان آمن ،

ومعنى الانتماء هو أن يحسب الإنسان نفسه على شيء ، وهذا الشيء يتطلب من الإنسان أن يسير على مقتضاه ، فمثلاً : قد ينتمى الإنسان إلى الأرض ، ولنا أن نعرف أن كلمة : الوطنية قد خرجت إلى الكون من أجل انتماء الإنسان إلى الأرض ؛ لذلك يقول للمصرى مثلاً : وطنى مصر ، وقد ينتمى الإنسان إلى الجنس فيقول الإسرائيلي : أنا من أبناء إسرائيل ، وهذا معنى أنه يختص نفسه بقبولة أنه من أجداد يعقوب عليه السلام بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، وقد يقول المسمى : أنا عربى . وهذا معنى أنه ينتمى إلى العروبة ، ولنا أن نعرف أن انتماء الإسرائيلى إلى بئرة يعقوب ذلك أن الاحتفاظ بسلالة نقية عبر عمود طويلة أمر غاية فى الاستحالة ، أما الانتماء للعروبة رغم أنه بدأ من سلالة إسماعيل عليه السلام ، إلا أنه انتماء لا يفتق بساكن للمستقيمة التى ينطق أهلها اللغة العربية .

وقد يكون الانتماء إلى مذهب ، ومثال ذلك : أن سكان البلاد النورية تتبع حكوماتهم وأغليتهم النظام الرأسمالى ، وسكان البلاد الشرقية المحافظة لحكومات شريعة يتبعون إلى هذا المذهب الشيعى .

إذن .. فمعنى الانتماء هو الجهة التى يحسب الإنسان نفسه عليها ليخدم قضيته ، وليس عند الله لونه من الانتماء من تلك الأنواع ، إن الانتماء للمعرف به عند الله هو الانتماء القوسى أى الانتماء للنهج الله ، فالإسلام لا يفرق بين وطن ووطن ، أو جنس وجنس ، أو دم ودم . إن الإسلام يهرف بالقيم التى يرتبط بها الإنسان بما كان لونه وبما كان جنسه ، وبما كان مذهبه ، إن الإسلام انتماء قوسى .

إذن .. فنقول الحق : هو لا يتأتى عبثى القليلين ﴿ هذا القول يحدد موقع الانتماء فى البشر ، وبعد ذلك أراد الحق أن يصفى أيضاً قضية بيت المقدس والقبيلة ، فثبتت الحق لنا أن بيت المقدس بيت حديث من إنشاء داود وسليمان ، لكن الكعبة هى بيت من اختيار الله ، فأبهما إذن أولى فى الاتجاه إليه ؟ أنتجته إلى البيت القديم باختيار الله ، لم تجمعه لبيت هو الله أيضاً ، ولكنه باختيار خلق الله ١٢

إذن .. فالتعامىا التى كان يناجر بها اليهود المأمرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين الأوائل فى الإسلام ، إنما كان الهدف منها أن يصيروا المؤمنين بالإسلام من

المحج ٢٣

إعادة بناء الكعبة فى عصر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

أوضح الحق لنا فى قرآنه الكريم أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام قد استحق الإمامة بجناحه فيما ابتلاه الله من تكليمات ، قام إبراهيم عليه السلام بأدائها وأنم القيام بها بأنفان وقام محيا لتكليف الله ، ولذلك كانا الحق سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام وجعله إماما .

وأراد خليل الرحمن أن تستمر الإمامة فى الأرض ؛ لتكون الإمامة سمة على وجود خلق يتمسكون بنهج الله على طريق الوفاء والإكمال والإتمام ، لكن الحق جل وعلا وهو أعلم بكل خلقه ، عرف أن بمسما من ذرية إبراهيم سيكونون على غير عهد الله وسخاثلون للنهج ، ولسوف يدعون لأنفسهم الأفضلية والتميز على كل البشر مجرد أنهم من نسل إبراهيم خليل الرحمن .

لذلك أخبر الحق جل وعلا إبراهيم خليل الرحمن أن عهده لا يباله الظالمون ، ولهذا جاء قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَاكَ لَفِيضٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ قُلْ أَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَكَ بِإِنَّا قَالُوا قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ أَن لَّهِ أَنبِيَا إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَنِ عَلَىٰ أَن بِمَسْمَا مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَقَدْ أَوْصَحْنَا أَن الْبِئْرَةَ لَهَا بَوْرَةٌ تَخْلُفُ عَنْ الْبِئْرَةِ فِى سَالَةِ الْبِشْرِ ، إِن الْبِئْرَةَ فِى الْبِشْرِ الْمَعْلُوفِ تَقْبِى الْانْتِمَاءَ الْمَعْرُوفِ أَوِ الْمَسْمَى أَوِ الْجَنَسِ ، أَمَّا الْبِئْرَةُ فِى الْأَنْبِيَاءِ فَهِيَ الْانْتِمَاءُ لِلْقَبِيلَةِ وَالنَّهْجِ لِلَّذِى يَحْيِى بِهِ النَّبِىُّ الْمُرْسَلُ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ سِبْغَتَهُ وَتَعَالَى ، وَلَنَا أَن نَعْرِفَ أَن الْانْتِمَاءَاتِ فِى ذَلِكَ الْكُونِ مُتَعَدَّةٌ .

المحج ٢٤

و اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد^(١٩) ، وتطلق الصلاة أيضا على الصلاة الشرعية التي نمرتها جميعا وهي التي تفتحها بالكبير وينتهيها بالسلم ويشترطها المخصوصة^(٢٠) ، وجيء نثني إلى المعنى العام في الصلاة ، فإننا نعقد الصلاة الشرعية فهي تشمل دعاء إلى الله ، وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشمل الشكل والمضمون ، والوارد المخصوص بالصلاة الذي أراده الله سبحانه وتعالى .

وقد يسأل أحد : ما معنى كلمة و مقام^(٢١) ؟ إن كلمة و مقام ، تأتي أحيانا مفتوحة الهم كما في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُثَلًّا ﴾ ، وتأتي كلمة : و مقام في أحيان أخرى مضمومة الهم كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَانَ تَحَاتُّبًا بَيْنَهُمْ يَكَاهِلَ بَيِّنَةٍ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ أُثْقَالًا وَيَوْمَئِذٍ يَمِيزُ بَيْنَ الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ إِلَى الْكُفْرِ وَبَيْنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَقَامِ الْحَسَنِ ﴾ ، وقد نزلت هذه الآية في بعض من ضمايف النفوس والناقصين الذين حاولوا أن يهربوا من مواجهة العدو ، وكان ضمايف النفوس هؤلاء من أهل المدينة ؛ لذلك اتفوا أن يترفعوا عورة ولا يد من حراسها ، وكان ذلك نقطة للهرب من الحركة^(٢٢) ولنا أن نعرف أن و مقام ، المفتوحة الهم هي اسم

(١٩) من كتب بن عبدة رضى الله تعالى عنه قال : يخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا : قد عرفنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : و قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، رواه مسلم [٢١/٤٠٦] .

(٢٠) من على رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و مفتاح الصلاة الظهور ، ويخرجها التكبير وتجليها التسليم ، رواه أبو داود [٢١/٨٦] ورحمحه الألباني .

(٢١) الشقام والشقام : قد يكون كل واحد منهما بمعنى الزيادة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام ، لأننا إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام أقام فمضموم ، وقرئ قوله تعالى : ولا مقام لكم^(٢٢) أي : لا مقام لكم ، وقرئ : ﴿ لَا مَقَامَ لَكُمْ ﴾ بالضم ، أي : لا إقامة لكم .

لسان العرب [٢/١٦١]

(٢٢) يقول الله تعالى مغفورا عن ذلك لما جعل جفنة نزلت الأحزاب حول المدينة ، والمسلمون محصورون -

دينهم ، ولذلك أراد الله أن يعطى هذه المتاجرة ، لذلك نزل حكمه الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ جَعْلُكُم مِّنْهُ مَثَافِئًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وما دام الإنسان يهرب إلى الله فلا بد أن يكون في أمن ، وما دام الإنسان في بيت الله فلا فرح ، وفنا : إن الله قد جعل يته آمنا فليس ذلك اختيارا منه لنا ، ولكنه طلب من الحق إلى المؤمنين به أن يجعلوا البيت الحرام آمنا ، فإن أطاعوا الله جعلوا البيت آمنا ، وإن لم يعطوا الله جعلوا الناس يفرعون فيه .

ونثني إلى قول الحق : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُثَلًّا وَكَيْدَ النَّارِ ﴾ ، واستمعيل أن كبريا بيني وبينك وبينك وبينك ، واتخذوا من مقام إبراهيم مثلا ، ومكان الإلهي المصادر بأن جعل من مقام إبراهيم خيل الرحمن صلى ، والصلى معناه مكان الصلاة ، والصلاة تطلق ويراد بها الدعاء^(٢٣) ، وفي ذلك يقول الحق جل وعلا : ﴿ وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ حَقَّهَا وَآتِهَا لِلرَّحْمَةِ ﴾ ، وما دام الإنسان يهرب إلى الله فلا بد أن يكون في أمن ، وما دام الإنسان في بيت الله فلا فرح ، وفنا : إن الله قد جعل يته آمنا فليس ذلك اختيارا منه لنا ، ولكنه طلب من الحق إلى المؤمنين به أن يجعلوا البيت الحرام آمنا ، فإن أطاعوا الله جعلوا البيت آمنا ، وإن لم يعطوا الله جعلوا الناس يفرعون فيه .

إليه ويرجعوا - لأنه بيت ربهم .

فإذا أروعك شيء فاذهب إلى بيت رحمة ربك لتجد رحمة ربك في استقبالك ، فخرج عنك كل ما يمكن أن يهلك في الحياة ، وما دام الإنسان يهرب إلى الله فلا بد أن يكون في أمن ، وما دام الإنسان في بيت الله فلا فرح ، وفنا : إن الله قد جعل يته آمنا فليس ذلك اختيارا منه لنا ، ولكنه طلب من الحق إلى المؤمنين به أن يجعلوا البيت الحرام آمنا ، فإن أطاعوا الله جعلوا البيت آمنا ، وإن لم يعطوا الله جعلوا الناس يفرعون فيه .

ونثني إلى قول الحق : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُثَلًّا وَكَيْدَ النَّارِ ﴾ ، واستمعيل أن كبريا بيني وبينك وبينك وبينك ، واتخذوا من مقام إبراهيم مثلا ، ومكان الإلهي المصادر بأن جعل من مقام إبراهيم خيل الرحمن صلى ، والصلى معناه مكان الصلاة ، والصلاة تطلق ويراد بها الدعاء^(٢٣) ، وفي ذلك يقول الحق جل وعلا : ﴿ وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ حَقَّهَا وَآتِهَا لِلرَّحْمَةِ ﴾ ، وما دام الإنسان يهرب إلى الله فلا بد أن يكون في أمن ، وما دام الإنسان في بيت الله فلا فرح ، وفنا : إن الله قد جعل يته آمنا فليس ذلك اختيارا منه لنا ، ولكنه طلب من الحق إلى المؤمنين به أن يجعلوا البيت الحرام آمنا ، فإن أطاعوا الله جعلوا البيت آمنا ، وإن لم يعطوا الله جعلوا الناس يفرعون فيه .

ونثني إلى قول الحق : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُثَلًّا وَكَيْدَ النَّارِ ﴾ ، واستمعيل أن كبريا بيني وبينك وبينك وبينك ، واتخذوا من مقام إبراهيم مثلا ، ومكان الإلهي المصادر بأن جعل من مقام إبراهيم خيل الرحمن صلى ، والصلى معناه مكان الصلاة ، والصلاة تطلق ويراد بها الدعاء^(٢٣) ، وفي ذلك يقول الحق جل وعلا : ﴿ وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ حَقَّهَا وَآتِهَا لِلرَّحْمَةِ ﴾ ، وما دام الإنسان يهرب إلى الله فلا بد أن يكون في أمن ، وما دام الإنسان في بيت الله فلا فرح ، وفنا : إن الله قد جعل يته آمنا فليس ذلك اختيارا منه لنا ، ولكنه طلب من الحق إلى المؤمنين به أن يجعلوا البيت الحرام آمنا ، فإن أطاعوا الله جعلوا البيت آمنا ، وإن لم يعطوا الله جعلوا الناس يفرعون فيه .

(١) من أي مبرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : و من صلى على راحمة ، صلى الله عليه عشرا . رواه مسلم [٢٧/٤٠٨] وأبو داود [٢١/٥٢٠] واللفظ لهما ، والرباعي [٢/٨٥٧] .

بشر غير مؤبد بالرحمى ، وكان الله يريد أن يثبت الناس أن العطرة إذا سلمت وإذا صفت ، فإنها بذاتها تستطيع أن تهتدى إلى حكم الله ، فكان الله لم يكتفنا بأى شيء فتشأ إنا مو يكتفينا بما بهدينا إلى العطرة الصافية السليمة ، ولكن ما أقل أن تصفو العطرة .

إنما عندما تحدثت عن عدالة عمر وحزم عمر ، إنما تحدثت عن العطرة فى قمة صفاتها ، ولقد أراد الله لنا أن يكون أمر العطرة الصافية واضحا فى واحد من الخلفاء الراشدين ، وأحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيد بالرحمى والذي اختاره الله أسوة حسنة ، إنها عطرة إنسان مؤمن تستطيع أن تصفو وأن تصل إلى حكم الله ، حكما كان أمر اتخاذ مقام إبراهيم معلى ، ومقام إبراهيم عليه السلام كان مكان قيام إبراهيم عليه السلام بناء البيت^(١) .

= قلت : إن اتبعين أو ليعلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم شيئا سكتا حتى أتت إحدى نسائه ، قالت : يا عمر إنما فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصف نساءه حتى تعطين أنت ؟ فأقول الله : ﴿ من شئ زئير أن يذكركم إبراهيم بيته يشكك شيئين ﴾^(٢) و (الحرم : ٥٠) .

والزئير مضمحل بلفظ : من أنسى رضى الله تعالى عنه قال : قال عمر بن الخطاب : قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم معلى ؟ فقلت : ﴿ وآيها من شكك إبراهيم نميل ﴾^(٣) .

(١) يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وآيها من شكك إبراهيم نميل ﴾ . وقد كان هذا المقام ملحقا بمقدار الكعبة قديما ، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب على اليمن المحرمة عنة المائيل من الباب ، فى الزمة المستقلة هناك ، وكان المليل عليه السلام ، لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة ، أو أنه اتقى عنده لبناء فركه هناك ، ولهذا - والله أعلم - أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف ، وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه ، وإذا أخره من جدار الكعبة أمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لحد الكعبة للمهدين والمخلفاء الراشدين ، اللين أريدوا بأبائهم ، ومزأحد الرجلين اللين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا باللين من بعدهم ، أين بكر وعمر » ، وهو الذى نزل القرآن بوقائه فى الصلاة عنه ولهذا لم يذكر ذلك أحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين [٢٩٦/١] .

(١) روله البخارى [٢٤٨٢] .
(٢) روله القرطبى ٢٩٦١ وسمحه الألبانى .

مكان من قام ، أما و مقام ، المفسومة اليم فوى اسم مكان من أقام ، وهكذا نقسم أن قول الحق : ﴿ وآيها من شكك إبراهيم نميل ﴾ كان هذا القول مقصودا به اسم مكان ، ماخوذا من الفعل قام . أى : أن الحق يبينها إلى أن المكان الذى قام إبراهيم عليه السلام عليه ليبدأ الكعبة هو المقصود بلك الجملة ، أى أن المحر الذى نراه فى الكعبة ، وعليه أراد إبراهيم أن يرفع قواعد البيت الحرام ، هذا المحر يمكن الصلاة حوله وبه ، ونحن متجهون بوجهنا إلى الكعبة ، فالمسلمون الأوائل كانوا يتصرفون من الصلاة فى هذا المكان ، لأن المقام كان موجودا بين الصلى وبين الكعبة ، وكان الناس يتصرفون أن يتيمرو الصلاة ويتيمرو بين الكعبة وشيء ، لذلك كان هذا المكان يخلو من المسلمين فلا يصلى فيه أحد ، وهنا قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا اتخذ من مقام إبراهيم معلى ؟ » لقد أراد ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن تتم الصلاة كل المكان بحيث لا توجد جهة من جهات الكعبة إلا وفيها صلاة ، وهنا نزل الحق تبارك وتعالى هذا القول الحكيم : ﴿ وآيها من شكك إبراهيم نميل ﴾ و (البقرة : ١٢٥) ، وكان هذا القول الحكيم من المواضيع التى وافق فيها القرآن الكريم عمر ، وهناك أكثر من موقف وافق فيها القرآن عمر بن الخطاب .

ما هو ذا ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله إن من زوار بيتك البر والتاجر ألا أمرت نساك بأن يحجبن ؟ » وينزل القرآن الكريم بآيات المحجاب ، وهناك أكثر من موقف نزل فيه القرآن ليؤيد رأيا لعمر بن الخطاب^(١) ، ونحن نلاحظ أن اللواتى التراتية لها ملاحظ تشريعى ، وعمر بن الخطاب

= فى غاية المهد والعيق ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم انبطوا واختبروا وزلزلوا وزلزالا شديدا ، فحيث ظهر اتفاق وتكلم اللين فى قلوبهم مرض ما فى أنفسهم .. الخ انظر تفسير ابن كثير [٤٥٥/٢] - [٤٥٦] .

(١) من أنسى رضى الله تعالى عنه قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه : « رانقت الله فى ثلاث - أو رانقتى روى فى ثلاث - قلت : يا رسول الله ألو اتخذت من مقام إبراهيم معلى . قلت : يا رسول الله يدخل عليك البر والتاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالمحجاب ؟ فأقول الله الله آية المحجاب . قال : « رانقتى منأبة التى صلى الله عليه وسلم بعض نساءه ، فدخلت عليهن -

إبراهيم عليه السلام ، وأقام البيت : أي جعل له ارتفاعاً ، وصار بذلك له طول وعرض وارتفاع أي صار له حجم ^(١) .

كان الحق تبارك وتعالى حين يقول : ﴿ وَكَانَ بَيْعُ إِبْرَاهِيمَ النَّوَافِلَةِ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ . كان التقصير والتقصير من ذلك القول : أن حبل الرحمن أقام الجدران تنطق أما الطول والعرض فقد كانا موجودين قبل إبراهيم عليه السلام ، وهكذا نعرف أن قواعد البيت قد انطسقت بالسبل أو عوامل التعرية أو استبدلات الزمن ، إن الحق أراد أن يظهر لنا الكين : وهو مكان البيت الحرام أي للمساحة التي أقام عليها إبراهيم جدران الكعبة ، والحق يوضح لنا أن قواعد البيت كانت مطرومة لإبراهيم عليه السلام ، ونحن نعرف أن الناس تفعل في أي مكان في العالم وتفتح إلى الكين ، وهو البيت الذي كان موجوداً قبل إبراهيم وأقام جدرانه إبراهيم عليه السلام . إن للكين هو مساحة البيت الحرام التي تبنيه إليها عندما تقيم الصلاة : سواء كنا في بطن الأرض أو في الفضاء أو في تفتق تحت الأرض أو على سطح الأرض . دليل آخر على أن الكين كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام ، هذا الدليل هو غيرة سارة عندما لم يُطيق وجود حاجر معها بابنها إسماعيل ، كانت سارة بغير ولد وكانت حاجر لها ولد هو إسماعيل ، وكان من الطبيعي أن تغار سارة من حاجر ، وأخذ إبراهيم عليه السلام حاجر وابنها إسماعيل إلى الكعبة إلى مكان البيت الحرام وهنا يقول الحق : ﴿ وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ بَيْعُ إِبْرَاهِيمَ النَّوَافِلَةِ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ . وهكذا نفهم أن إبراهيم أسكن ابنه إسماعيل وحاجر عند البيت الحرام ، ولم يكن مكان البيت الحرام محطاً بالفيض لإبراهيم ، إنه يعرف المنطقة لكنه لا يعرف للمساحة ولا يعرف حدود المكان .

○○○

(١) يقال : ارتفع الشيء ارتفاعاً بنفسه إذا علا .

لقد أمر الحق إبراهيم وإسماعيل أن يرفعا القواعد ، وأن يطهرا البيت ولم يكن هذا الأمر قابلاً للتنفيذ ، إلا بعد أن أوجده الله البيت وبعد ذلك ترفع فيه القواعد . إن المحجر الذي كان يقوم عليه إبراهيم عليه السلام ليرفع القواعد من البيت هنا هو المقام ، ويريد الله أن يلفتنا إلى أشياء هي أحداث قسمة هذا المقام .

إن العلماء قد اختلفوا في بداية البيت الحرام بعضهم قال : إن البيت الحرام قد تم بناؤه في عهد إبراهيم عليه السلام ، وبعضهم قال : إن البيت الحرام قد تم بناؤه في عهد آدم عليه السلام ، وبعضهم قال : إن البيت الحرام قد أوجده الله قبل آدم عليه السلام ، ونسطر بالنسبة والاستقراء العقلي أي الآراء الثلاثة هو الصحيح ^(١) .

إن العلماء الذين قالوا : إن البيت الحرام قد تم بناؤه في عهد إبراهيم عليه السلام لابد أن يقول لهم : لقد أقسم الله ليل على رؤسكم من قول الحق : ﴿ وَكَانَ بَيْعُ إِبْرَاهِيمَ النَّوَافِلَةِ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ . فكيف يمكن أن تكون تلك الآيات الثلاثة ؟ (البقرة : ١٢٧) .

لا بد هنا أن نفرق بين الرفع والبناء ، إن البناء يستدعي ألا يوجد البيت ثم يتم بناؤه لابد هنا أن نفرق بين الرفع والبناء ، إن البناء يستدعي ألا يوجد البيت ثم يتم بناؤه قبل بعد ذلك . أما الرفع فهو الإعلاء والصعود ، أي أن البيت الحرام كان موجوداً قبل

- ولطبت رواه الترمذي عن حذيفة بن اليمان [٣١١٦] من ابن مسعود رضي الله تعالى عنه [٢٨٥٠] ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا باليمن من يهدى من إسماعيل ، أي بكر وعمر ، واقتدوا بهدى عمر ، وقسروا بهدى ابن مسعود » . وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير [١١٤٦] .

(١) وقال عبد الرزاق أبقيا أخبرنا معمر بن قنادة قال : وضع الله البيت مع آدم ، أهدى الله آدم إلى الأرض ، وكان مهيطة بأرض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ، فكانت لللاككة تهايه فتفص إلى سجين فزفقا فحزن آدم إذ قد أسمرات لللاككة ونسبحهم ، فتسكا ذلك إلى الله عز وجل ، فقال الله : يا آدم إني قد أهديت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشى ورسلي عنده كما يمسلي عند عرشى ، فانطلق إليه آدم فخرج رمد له في حيطره ، فكان بين كل حيطرين مفارقة فلم يزل تلك المفارقة بعد ذلك ، فأتى آدم البيت فطاف به ومن يهدى من الأنبياء . انظر تفسير ابن كثير [١٧٠/١] .

البيت أى بيته له . فكان البيت كان موجودا والذي يشهد لذلك أن الله تعالى يقول فى هذه القصة : ﴿ وَنَحْنُ إِذْ أَنْشَأْنَاهُ مِنْ نُفُوسِهِمْ يَوْمَ ذِي الْقَعْدِ يَتْلُونَ الصُّحُوفَ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وهذا السكن كان حينما كان إسماعيل رضيعا صغيرا ، وتركه أبوه إبراهيم مع أمه هاجر فى هذا المكان المسمى الموضع .

وبعد ذلك كبر إسماعيل وساعد أباه في رفع قواعد البيت ، فهما يدلان على أن البيت كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام . والقرآن الكريم يقول : ﴿ إِنَّا أَوْفَيْنَاهُ وَبِيعَ الْبَيْتِ لِلْإِسْلَامِ فَكَرِهُوا لَهُمْ تَتَدَنَّسَ فَوَقَّفْنَا لَهَا أَنْ يَلْحَقَنَّهُمْ مِنْ جَمْعٍ مُطَاعٍ وَلَا رَفْءَ لَهُمْ فِيهَا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢٥] ، ولكن من هم الناس ؟ آدم وذريته إلى أن تقوم الساعة .

إذن .. آدم من الناس ، فلو كان البيت قد رُضِعَ للناس فلا بد أن يكون قد رُضِعَ لآدم أيضاً ، فوضع البيت كان قبل آدم ؛ لأن البيت موضوع للناس وآدم من الناس ، ومن هنا

• لقطة الزميمة : عددة سيدنا إبراهيم لأسماجيل عليها السلام : وحرم ابن كثر بأن الحليل أول من بنى البيت مطلقاً ، وقال : إنه لم يثبت خبر عن معصوم أن البيت كان ميثاقاً قبل الحليل . انتهى . وفيه نظر لا ذكر من الآثار السابقة واللاحقة .

قلت : واليت موجود قبل إبراهيم عليه السلام وقت حجه مرد وصلاح عليهما السلام ما ورد في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بولدي صفوان حين حج ، قال : « يا أبا بكر أرى رداء ملا ؟ » قال : وادى صفوان . قال : « لقد مر به مرد وصلاح على بكرات حمر ، عطشها اليف ، وأردتهم الحمار يهون يهون » .

رواه أحمد في المسند [٢٣٢٧/١]، رصفه الشيخ شاكر [٩٦/٢]، وقال ابن كثير في تفسير الألفية [١١٤/١]: إسماعيل بن عازر، زائد السيوطي عزوه في الشعر [٩٧/٣] لأبي يعلى وابن حبان. كما جده موسى وروى عنهم السلام بعد إبراهيم لا يورد في صحيح مسلم [٢١٦/١٦١]، وروى ماجه [٢٨٩].

حسبنا : اسم مرفوع بن الجملة ومكة على طريق اللينة إلى مكة المكرمة .
 بكرات : جميع بكرات ، وهي الفنية من الإبل .
 الحطم : جميع حطام وهو الجبل الذي تقاد به القاعة .

التعارف : جميع ذرة دوى النملة المخططة من طائر الأعراب كانوا اجلعت من لون النسر .
سبل الهدى والرشد [١٤٨/١] .

آل من بی

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ بَرُّاكَ لِيزِفِرَنَّكَ مَلَائِكَةُ بَئِيتٍ أَنْ لَا تَشْرِفَ عَلَيْهِ فَبَيِّنْنَا لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ إِنَّهُمْ شَكِرُوا ﴾ [الفتح : ٢٦] . ساعه أن تسمع كلمة : ﴿ وَلَوْ ﴾ فانهم أنها ظرف زمان لحدث يأتي بعدما الخبر الذي حدث في ذلك . فإذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ ﴾ فأنه يخاطب رسوله فإذا ذكر هذا الوقت الذي قبل فيه لإبراهيم علما الكلام .

إذن .. فكل كلمة : ﴿ كَوَافٍ ﴾ في القرآن الكريم معناها خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث وقع في ذلك الوقت وكلمة : ﴿ بَيِّنَاتٍ ﴾ من البينة ومعناها الرجوع يقول الله تعالى : ﴿ وَبَيِّنَاتٍ لِّتُنَبِّئَ النَّاسَ ﴾ ، أي : رجوعا بنفسي من الله ، والكتاب النبوي : بقية من الأرض يختارها الإنسان ليرجع إليها من معاصي حياته ، ورجوعها مستقرا له يعود إليه بعد قضاء مصلحته وإنهاء عمله .

فَالْبَاقِي مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَرْجِعُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ مِنْ حَرَكَةِ جِهَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ الْإِنْسَانُ إِلَى مَكَانٍ يَخْتَارُهُ مِنْ حَرَكَةِ جِهَتِهِ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ فِيهِ كُلُّ مَقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ ، وَلِلَّذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ سَبْعَ بَنِيَائِمَا جَيْتَ بَنَاتِهِ يُعْطِيهِمْ بِرَحْمَتِنَا مِنْ قَبْلِهِ وَلَا نُفْضِئُهُمْ أُخَرُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٦] .

إذن .. قوله تعالى : **هُوَ كَذَّابٌ يَكِيدُ** مكانك **آيَاتِهِ** أي جهنمه مباحة
موجع إليه من حركة جهنمه ، وأعلمناه بمكان البيت ، ونحن قلنا : إن المكان دائماً متغير
المكن . فالمكان هو القيمة التي تقع في المكن .

مسألة بناء البيت تكلم فيها العلماء كثيرا ، وبعضهم ذهب إلى أن أول من بنى البيت هو إبراهيم عليه السلام^(١) ، ونحن نقول : إن معنى أن الله يوأ إبراهيم مكانا

(١) قال صاحب سبل الهدى والرشاد في جلد الحرات التي بينها البيت :
الكرة الثالثة : عسرة أولاد آدم عليه السلام .

ففسه ثم يبلغ به أمت بعد ذلك ، حتى لا امرهم بأمر هو عنه بنجوى . فمغلاً جنهما
يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَوْى إِلَهُكَ وَلَا تُخَيِّبِ
التَّكْفِيرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، ثم يأتي ليعول لنا اتقوا الله يكون الأمر
مهيلاً علينا ، لأن الله أمر به ورسوله قبل أن يأمرنا به .

بعض الناس يفهمون أن كلمة اتق الله إلا أن يقال إلا أن حدث منه ما يخالف التقوى ، ومعنا ليس صحيحا ؛ لأن المعنى المقصود هنا : ابتأ حركة حيلان بتقوى الله ، واتقى سبحانه قال : ﴿ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ زَكَاةً مِنْ فَضْلِهِ خِزْيَانًا مَمْنُونًا ﴾ ذكر كلمة شيء لبني أهل مظهر من مظاهر الشرك والألوهية ، من شجر أو حجر أو زن مرصوم أو نجوم أو كواكب أو غير ذلك .
و معنى ﴿ وَطُفِرَتْ هَوَايَ ﴾ : يشمل الشهادة الحسية والطهارة المعنوية معا ؛ لأن الطوفان كان قد شيع معالم البيت الحرام وجرف إليه الرمال وأعواد الخشب وغيرها ، فلا بد أن يفهم مكانا بأن يعظمه من هذه الأشياء التي جاء بها السبل ، ثم يطهر عبادة بأن تكون العبادة فيه خالصة لله تعالى ، ولذا التطهير من أجل العائنين الذين يطهرون بالبيت ثم يحولون عنه ﴿ وَالْعَائِيَّةِ ﴾ أي : المتكئين في البيت للعبادة والصلوة باليت ثم يذكرون ﴿ أَلْمُدَّيْنِ ﴾ أي : هم الذين يمدحونه في وقت الصلاة (١) .

فإنك ثلاث حالات : إما أن يذهب الإنسان لطرف ثم يخرج ، وإما أن يقيم فيه مستكناً وإما أن يلقى إليه وقت الصلاة ليردها ، والركع السجود هم المصلون .

وبعد ذلك قال سبحانه : ﴿ وَذُنْ فِي أُنْثَىٰ يُلَاحِظُ يُنَاقِ بِكَآ لَا وَكَلَّ صُلَىٰ صُلَاحِبٍ بِأَنْتَ مِنْ كُلِّ فَعٍ صَيِّقٍ ۝۱۶۷ ﴾ . البيت بيت الله ولطائف كلهم خلق الله ، فلماذا تقتصر رؤية العين لبيت الله على من قدر على الذهاب والإقامة عند البيت مثل إبراهيم عليه السلام ؟

(١) في تقسيم ابن كثير ٢٠١/٦-٢١٦ : ﴿ وَتَجَسَّدَ بَنِي ﴾ قال قتادة ومجاهد : من الشرك ﴿ وَبَنِي آيَةَ وَبَنِي آيَةَ ﴾ أجمعه خصال هؤلاء الذين يبدلون الله وحده لا شريك له ، فأعترف به صروف وروى أمس البياض عند البيت فإنه لا يمثل بقية من الأرض سواها ﴿ وَبَنِي آيَةَ ﴾ أي : في الصلاة ولها قال : ﴿ وَبَنِي آيَةَ ﴾ الجرد ... الخ ، الطراب بالمدلة ، لأنها لا يشرعان إلا مضعين باليت ، فالطرف عنده الصلاة إليه ... الخ ،

فمن قال : إن الملائكة هي التي بنته فقد صدق ، ويكون إبراهيم قد ذهب إلى هذا المكان يومئذ من الله .

إذن .. هناك فرق بين إقامة ممكنة على مكان ، فالبيت موجود ولكن الطوفان لا جاء جرف معالم البيت ، فلما ذهبت معالم البيت أوحى الله لإبراهيم أن يبنيه في هذا المكان من الوادى ، ولما رأوا : إن الله سبحانه بعث سبحانه خلقت المكان وضقت وقالت : يا إبراهيم خذ علي قدرى^(١) .

إذن .. تنسّى إلى أن البيت كان قبل إبراهيم ؛ لأن إبراهيم لم يكن عمله في المكان وإنما كان عمله في المكان لقول الله تعالى : **لَوْ كُنَّا زَيْجَرًا يُبْعَثُ الزَّيْجَرُ الْتَوَاعِدَ مِنَّا لَيَقْبُنَا وَنَنصِلُ رَبَّنَا نَقْلًا إِنَّا كُنَّا فَتَاكُمُ الْبَيْتِ** وكلمة يرفع معناها أن يوجد البعد والتباعد ، لأن المساحة لها طول وعرض ، والارتفاع هو البعد الثالث ، فكان الذي يراه الله له هو المساحة طولاً وعرضاً ، وبعد ذلك أمره برفع التوراة وربنا في رفقها هو لسامعيل عليهما السلام ، وما قد أتيا إلى هذا المكان ليصليا البيت وبقية الصلاة لله سبحانه ، عليه أن يظهر هذا المكان من أي شيء ، ويشعر بالشرك أو القدر .

هنا أول أمر صدر إلى إبراهيم عليه السلام في الآية الكريمة : **هُوَ أَنْ لَا تُشْرِكْ** — في شَيْئًا وَلْيَهْتَزِئَ **بِكَ** والبيع ٢٦ : ٢٦ ، فأول أمر هو عدم الشرك . وهل كان معقولاً أن يدخل إبراهيم في الشرك ؟ فليس معقولاً أن يحدث منه هذا ، ولكن الله سبحانه حين يرسل رسلاً يصدر أمره إلى الرسول أولاً ، فهو أول من يتلقى الأمر من الله ليطيعه على

(١) روى البيهقي ، عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال : « لما أفرق الله الأرض رفع البيت فوضع تحت العرش ، ومكنت الأرض إبراهيم سنة ، ولم يزل على ذلك حتى كان إبراهيم عليه السلام قائم الله سبحانه وتعالى أن يلقى يده ، فبعثت المكية كأنها مسخرة فيها رأسه ورجلكم ، ولما رجع كوجه الإنسان ، فقالت : يا إبراهيم خذ قدر ظلني فاني عليه ولا ترد بيثقا ولا تنقص . فأتى إبراهيم قدر ظلها فمى فيه ، وسماها البيت ، ولم يحصل له مثقال ... » .

[illegible]

سبحانه طلب ما أشياء كثيرة ، ولكن الأركان في الإسلام ، أول ما نهى ، نهى أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهذه مرة واحدة في العمر للتدخل بها في الإسلام ، ثم بعد ذلك يتم الصلاة وتركى ركنوم وخمسة (١) .

انظروا إلى هذه الأركان تجدوا الركن الوحيد الذي يدخل المسلم نفسه فيه دون أن يكون مستعينا ، فيحرم نفسه ويحاول أن يستكمل المال اللازم لفتحات هذا الأمر ومو الحج ، ولا يتكلف هذه الشقة في عبادة أخرى أبداً ، وذلك لأن الله تعالى : **حُكِمَ وَقَالَ : ﴿ وَرَأَى ... يَاؤُكُ ﴾ [الحج : ٢٧] ، فهم يأتونه مسرعين إلى هذا المكان العاظم مصداقاً للماء إبراهيم عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً بَيْنَ النَّاسِ تَبْوَةَ إِلَهِكُمْ وَلَا تُقِيمُ بَيْنَ الْقَرْيَتِ لِمَا هُنَّ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] ، فالتلويح تهيئ إلى هذا المكان والتهيؤ أمر لا يملكه الإنسان باختياره ، لأن الإنسان ساعة أن يكون في مكان مرتفع ثم يسقط ويتفوي إلى أسفل لا يكون له اختيار في ألا يسقط ، فبعد الإنسان يكون قتيماً وقد يندخر من قوته وفورته حياته ويحرم نفسه من متع الحياة ؛ ليوفر من المال ما يساعده على السفر لأداء فريضة الحج ، ولا يفعل ذلك في أي ركن من أركان الإسلام بالثبات ، وفي الأمور الأخرى طلب الله من الناس قد يطالع فيها أو لا يطالع ، لكن في هذه القضية حكم الرولى سبحانه فقال : ﴿ وَرَأَى فِي النَّاسِ يَاؤُكُ بِسْكَالَا ﴾ .**

إذن صدق القضية موجود ، بعض أهل الفهم قالوا : حل الأمر بالأذان للحج كان لإبراهيم أو لأحد غيره ؟ قالوا : الأمر كان لأحد غير إبراهيم عليه السلام لأن الله تعالى يقول : ﴿ كَذَؤُكُ بِؤُكَا إِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ آيَاتِهِ لَئِى لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَكَلَّمَتَ رَبَّ بَلَايَةً وَالْكَافِرِينَ وَالرَّصِخَ السَّجُودَ ﴾ رضى ﴿ كَذَؤُكُ ﴾ كما قلنا : أى اذكرنا ما أنزل عليه كحى إذ يؤنأ لإبراهيم مكان البيت وأذن في الناس بالحج .

إذن .. الأمر هنا للرسول صلى الله عليه وسلم حل نجد نصرانيا أو يهوديا يأتي إلى الكنيسة ؟ لا . فهنا التسليم لا يشاهده في أمه من الأمم الأخرى إلا في أمه محمد صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على شخص : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » .

لذلك أراد الحق سبحانه وتعالى ليهبه أن يظهر الرؤية بينه والحرام ، لأن هذا هو بيت الله باختيار الله فهو سبحانه الذى اختره ووضعه للناس ، ومساعدتنا هذه هى بيت الله أيضا ، لكما يريتم الله باختيار خلق الله ، فالخلق سبحانه أراد أن يشرع ما الفضل على خلقه حتى يذهبوا للرؤية بيت الله الذى اختاره لهم .

كلمة : ﴿ وَرَأَيْنَا ﴾ معناها : أعلم بفتح الهمزة وكسر اللام ، والتعليم أول مرتبة من مراتبه ، الرسالة فيه السماع بالأذن ، وذلك الأذان هو الإعلام ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَرَأَيْنَاكَ زَيْنًا ﴾ أي ، مكنونكم لأريدكم ولكن صكتم إن عذركم لشيء ﴿ والراسم : ١٧٠ - ﴾ فمعنى آذن : أعلم ، وكلها جاءت من الأذن ، لأنها وسيلة السماع الأولى والمعلّاب البدني الذي به يتعلم كيف تقرأ ، قبل أن يتقرأ أبداً أن نسمع .

حينما قال الحق : ﴿ وَكَانَ فِي السَّمَوَاتِ الْمُبِينِ ﴾ لم يكن يعجز اليتيم الضال عن طريق الحق ، إبراهيم وزوجه وابنه إسمائيل ، في واد غير مسكون ولا مأهول ، ولئلا يبطلوا عنه ، فأمرهم سال ربهم ، ومن الذي سيسمع صرعى بالأذان يا رب ؟ فقال له الحق سبحانه : عليك أن تودن وتعلم أن أبلغ الأذان كلها ^(١) . وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ

(١) قال أبو جهم: وأمر إبراهيم بعد فراقه من البناء أن يؤذن في الناس بالفتح، فقال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال الله جل ثناؤه: أنذ وبلغ البلاغ ٤٠٠٠٠.

مجله الهی و الهیاد [۱۰۵۷/۱].

[illegible]

الأمانة التي أعطاهما لك فلان في مكان كذا ؟ أنكر له ذهب معه إلى هذا المكان أو أخذ منه شيئاً . فقال القاضي لمصاحب الأمانة : اذهب إلى المكان الذي كنتما فيه وابحث جيئاً ؛ فربما كنت قد نسيتهما هناك وطلت أنك أعطيتها له أو ربما يكون أحدهما منك ونسيها في هذا المكان .

فلما ذهب الرجل إلى هذا المكان وتأخر قال القاضي للمتهم : فلان تأخر ، فقال المتهم : المكان بعيد . فقبض عليه وعلم أنه أخذ الأمانة فعلاً . فالتسالة تحتاج إلى فطنة القاضي وبصيرته حتى يصل إلى الحق .

ومعنى **هو يَأْتُوكَ بِكَيْسَالٍ** كلمة : ه رجال ، بعض الناس يفهم أنها جميع رجل ولكنه جميع رجل^(١) ، وهو الذي يمشي على رجله ؛ والغالب^(٢) أي الذي يركب فرساً والغرس الغنار هو الضعيف من كثرة الجري ، ومن ضمن تأكيد النمل **هو يَأْتُوكَ** أنه ذكر الماشين قبل الراكبين ، والتبجح هو الطريق النجس ، والسميق هو الطويل الممتد . ثم يقول تعالى : **هو يَأْتِيهِمْ مَتَّبِعٌ لَّهُمْ وَيُخَوِّرُهُمْ أَنْسَمُ الْبَرِّ** أي يَأْتِيهِمْ مَتَّبِعُهُمْ بَرٌّ يُوَسِّعُهُ الْإِفْتِيحَ كَلَامًا يَتَابَعُهُمْ وَأَلِيمُهُمُ الْبَيَّاسُ التَّجْوِيزُ [المحج : ٢٢٨] فالحجيج يشهدون في الحج ضائع لهم ، هذه المنافع هل هي دينية أخروية أم دنيوية ؟ هذه المنافع تشمل الحاجتين مثلاً ، فالنبي يحج بسمند لهذه الرحلة فيجوز وسيلة ذكره مثلاً ، ويحضر لمن يعولهم مصالح حياتهم حتى يعود ، وبعد ذلك يذهب إلى الأماكن المقدسة ليزود الماسك في هذا الرادى الذي ليس فيه زرع ، فينقى ويشترى من البائسين فيها يبيع وهذا يشترى .

فإذا نظرت إلى المنافع المادية تجدها موجودة ، وكذلك الذي يبيع حينما يذهب إلى هناك يأكل ويشرب وينام . فلابد أنه سيؤخر البيت الذي سيقسم فيه هذه الثروة ، وهذه الأجرة يستفيد بها صاحب البيت ويبش عليها فترة بعد موسم الحج . والمالح نفسه

(١) الرجال : جميع رجل كل مائتي ، والرجل بخلاف القلوس .

لسان العرب [١١/٢٢٩١] .

(٢) البشير والبشير : الميزال وطاق البطن .

عليه وسلم مع أنه ثبت أن موسى عليه السلام حج إلى الكعبة^(١) . إذن فعل الأمر : **هو** وأذن **هو** إن أعدته على هذا المعنى كان المقصود به النبي محمد صلى الله عليه وسلم . تقول : صحيح ، إنما لا نجد أحداً من الأمم السابقة يحج إلى بيت الله الحرام ، ولذلك نحن نتبع عليهم حين يزعمون أن النبي هو إسحاق ، ويقول لهم : لو كان إسحاق هو النبي لكانت عبادة النبي والبقاء ورعى الجمرات وغير ذلك عندكم في الشام ، ولكنها هنا في مكة ؛ لأن إسماعيل كان هنا في هذا المكان ، ثم تذكرنا جيئاً أنكم تلثم في كبحكم في الإصحاح [٢٤، ٢٣ من سفر التكوين] إن الله سبحانه وتعالى أوحى لإبراهيم أن يصعد على جبل قارآن وأن يأخذ ولده الوحيد ويذبحه .

فولده الوحيد هو إسماعيل وليس إسحاق ؛ لأن الله تعالى أخبرنا في القرآن الكريم ، أنه فدى إسماعيل وبشر إبراهيم بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .

قال تعالى : **هو يَسْتَبَاطُكُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَلَامًا وَكَلَامًا جَعَلْنَا كَيْسَالِيكُمْ** [والبقرة : ١٢٧] فربما يقول الصدوق وزييد الحق ويحمل معانيد تخفى على من يكذب ، ولذلك يقولون : إن الذي يركب جريه لا يمكن أن يمنع الجريه الكاملة أبداً ؛ لأن الله تعالى يحمل فيها مثقالاً للحق يمكن من خلاله الإسماعيل بالجرم ومواقبه ، فمعنى الجريه لا تنيد : إنك لا تستطيع أن تحاط للجريه أبداً ؛ بل لابد أن تحرك فيها مثقالاً يدل عليك ويجرك إلى العقاب ، وهذه مهمة القاضي الفاضل الذي يستطيع بذلك أن يكشف الجرم .

عمل القاضي الذي جاهد أحد الناس يشكو إليه من صديق كان يجلس معه في مكان معين وأعطاه أمانة لحفظها له ، ولا طلبها منه أنكر أنه أعطاه ، فلما سأله القاضي : أين من ابن حاشى رضى الله تعالى عنهم قال : كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررتا بوادى فقال : **وَأَيُّ رُودٍ هَذَا ؟** . قالوا : ولدى الأروق . قال : **و** كائى أنظر إلى موسى عليه السلام -- تذكر من طول شهر شيئاً لا يحفظه ، ووادى -- وادى إسماعيل في أدبيه ، له جوارى إلى الله بالظلمة مراداً بهذا الرادى . قال : **ثم مررتا حتى أتينا على نبي فقال :** **ه** أي نبيه محمد ؟ قالوا : **شبهه فزقنى لم قلت .** قال : **و** كائى أنظر إلى موسى على ثلثة حمره عليه جبه صرف ، وضام تاه يوق غلظاً ، مراداً بهذا الرادى علياً .

رواه ابن ماجه [٢٨٩١] وصححه الألبانى .

ويظهر من كل مصفية ، وبعد ذلك نجد أن إزالة التمييز بين الناس في ملابسهم وهندامهم يجعلهم كلهم سواء ، فكلهم يرتدون ملابس الإحرام وكلهم شعث غير^(١١) مثل بعضهم ، ثم يؤيد الله جوارحهم فيأمرهم بعدم تمل الصيد أو قطع الشجر ، وعدم الخلق أو التعصير أو حتى خلع شجرة واحدة وعدم التعطيب إلى غير ذلك^(١٢) .

فيها انضباط أقوى من انضباط الجيود في الجيش ، فالطاج تأديب أو لا مع تقي جنسه في أن كل تميز أو فوارق بينهم انتهت ، ثم تأديب مع جوارحه ، فكل جوارحه لها عمل تأتمر به ، ثم تأديب مع اللبائ فلا يخطئه أو يقطعه ، ثم تأديب مع الحيوان فلا يمسكاه أو يتعرض له بأذى ، فهو بذلك تأديب مع كل الأجناس ولم يبق إلا الجمادات فقط ، ههنا

(١) في الحديث ، من عبد الله بن ضرور بن الماس رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إن الله عز وجل يأبى ملائكته عبثة عروة بأهل عروة ، فيقول : انظروا إلى عبادي أئروني شعما غيرا » .

رواه أحمد في مسنده [٢٢٤/١٦] وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

الفتى : اللير الراس ، اللتش الشعر الذي لم يمش . لسان العرب : [١٦٠/١٦] .

غيرا : أغبر الشيء ، حاله المأثر ، أي التراب . وأبى ركبهم طار الطريق لطول السفر وعدم الاعتناء بالظهور . لسان العرب [٥/٥١] .

(٢) قال عبد الرحمن الجوزي : نفي للأنواع الجبر من أشياء بعضها لا يحل فعله ، وبعضها يكروه منه : يحرم على الحرم عند النكاح ، وكذا الجماع ودواحيه ، ويحرم الخروج من صلاة الله أبي فعل محرم ، ويحرم المخاضة مع الرقاء والمكدم وغيرهم ، ويحرم التبريض لعبد الغير بالتقل أو اللبغ ، ويحرم استعمال الطبيب كالكس في ثوبه أو بدنه ، وقلم القنتر ، ويحرم على الرجل أن يلبس مخفيا ، أو سحيا بدنه ، أو يمشه : كالقميص والسرويل ، والمسامة واللبية ، ويحرم أن يخال شعر رأسه بالخلق أو القص أو غيره كما يحرم إزالة شعر الرأس .

الفتى على اللامب الأريمة [١٦٠/١٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧] .

روى سالم من أبيه قال : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يترك الحرم من الثياب ؟ قال : « لا يلبس القصص ، ولا القريش ، ولا السرويل ولا المسامة ، ولا ثوبا مسه درس ، ولا زعفران ، ولا الخفين ، إلا لمن لا يجد الخفين ، لمن لم يجد الخفين فليلبس الخفين ويلبهما حتى يكونا لسبل من الكعبين » ، روى أبو جازد [١٨٢٣] وصححه الألباني .

لكي يجمع هذه الأموال أدى حركة حياة في الكون وصل واجتهد ليحصل عليها ، هذه الحركة كان فيها نفع لغيره من المجتمع وإن لم يشعر بها ، فمثلا حينما يشتري الحاج خروفا ليبيعه في الحج ، ههنا الخروف اشتراه فاجر وجاء به لبيمه للحجاج ، وهو اشتراه من متجر يربي هذه الأغنام ويبيعهما بلرعاية . فهذا التبع انتفع والتاجر انتفع ، وكذلك الراعي انتفع والسيارة التي تقلت هذه الأغنام انتفع صاحبها أيضا ، وحتى الذي سيبيعه انتفع أيضا لكل هذه وغيرها منافع دينية ورزق يسوقه الله إلى أهل هذه البلاد الطيبة . وهناك أيضا البضائع التي يشتريها الحاج من هناك من ملابس وهدايا وحلى ، والمصريون مشهورون بهذه الصفة ، قبل أن يؤدي الحاج المصري نسكه تجده يشتري ما يحب من ملابس وسجاجة للعملة ومسايج وغيرها من الهدايا الأخرى .

فيهمه وغيرها من المنافع المادية التي يشهد بها الحاج حينما يذهب إلى هذه الأماكن ، كذلك فإن الحاج منذ أن يبري الحج ويبدأ في تجهيز نفسه والإعداد لهذه الرحلة تجده يمسو بنفسه في ملكوت الطاعة ، ولا يمكن أن يفكر في مصفية ، بعد ذلك حينما يحضر للملابس ويرى السفر ويرتدي ملابس الإحرام يقول له : انتبه هناك أشياء كانت مباحة لك قبل ذلك ، أصبحت غير مباحة لك الآن ، فملايك وهدايك^(١) الذي كنت تتفخر به لا بد أن تتساه حتى نهاية الرحلة ، لأن الناس يحذرون من بعضهم

بهندامهم فانت تعرف قلتر الناس عادة من ملابسهم . فالحق سبحانه عيبد أن ينهى ههنا التميز والاختلاف بين عباداه المؤمنين فيجعل الجميع يلبسون شيئا واحدا هو ملابس الإحرام ، وبعد أن كنت ترتدي من الثياب أفخرها وأجملها وأطيبها ، ومن المنظر أركاما ، وتذهب إلى الحلاق لتقص شعرك ، أصبح كل ههنا عورعا عليك ، وههنا كله نوع من الأدب والالتزام والمساواة بين الناس أمام الحلاق

سبحانه وتعالى . فاستعداد المسلم للحج يجعل إنسانا آخر لا يفكر في مصفية ، بل يسعى في الطاعة ويسعى إلى أعمال الخير ، لأنه يحجز نفسه لهذه الرحلة التي يحو الله بها ذنوبه وخطاياهم (١) ههنا : قال الأزمري : الهيام لمن الله . انظر لسان العرب [١٦٢/١٦] .

وكت ضربت لكم مثلاً بالبرغوث وهو حشرة ضئيلة ، ولكن لأن الله لم يسخره لك ، فهو يستطيع أن ينفخ عليك عيشك ، يحررك من النوم ويحركك من الراحة ، كذلك أي قبان صغير يستطيع أن يفرغ مجموعة من الناس ويرعبهم ، ومنه أي ذئب أو حيوان مفترس ، لكن انظر إلى الجمل هذا الحيوان الضخم الذي يتوود مثل صغير إنسان ؟ لأن الله سخره لك وذلكه .

فإنه تعالى يريد أن يذكر أنك لم تذلل لنفسك هذه الأشياء ولكن الله هو الذي ذللها لك وسخرها لخدمتك .

مع أن هذا الجمل أو هذه الجاروسة أو البقرة ، لو صاحت لما استطاع أحد أن يقف في طريقها ، ولكن أنت تستخدمها وتستفيد بها وتشرّب ألبانها وتأكل لحومها ، لأنها مسخرة لك من الله .

وستنهي التذليل أن الحيوانات التي أحلها الله لك تغل تنفع بها طوال عمرك ، فإذا حدث لها أي شيء ، يرقى روحها تجدها تعد رقبها طائفة الذبيح ، والقلاحون عندما يقولون : و البهيمة طلبت الحلال ، فكانها تقول لك أنا لم أعد أنتمك في حياتك ، فاجهد أن تأكل لحس يذكى .

والحيوان الذي لم يخلق الله لنا أكله تجده يموت دون أن يجد رقبته للذبيح فسيحان الله ! فالشكر لله يكون على أنه خلق لنا هذه الحيوانات النافعة وذلكها لنا مع أن فيها ما هو أضخم وأقوى منا ، ونحن لم نستطع أن نخل ما هو أضخم وأضمر منها .

ولذلك الفلاح يستخدم حماره في حمل مختلفات وروث المواشي إلى الحقل لتسميد التربة ، ويحمل عليه التلال إلى السور ثم يركبه ويقضي به مصاعه في المدينة ، والحمار في كل ذلك مطيع لصاحبه لا يكل ولا يعل ولا يترد ، لأنه مدلل .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكُمْ يَبْنِي رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ الْآيَاتِ الْغَيْبِ ﴾ مع أن الذبيح في الحج مقصود به إطعام الفقراء والمحتاجين من أهل الحرم ، إلا أن الله تعالى في هذه الآية قدم الأكل على إطعام الناس الفقير ، وذلك لأن السادة من العرب قبل الإسلام كان الواحد منهم إذا ذبح ذبيحة للفقراء والمساكين يستكف أن يأكل منها ، وما دام يستكف أن يأكل منها فلا يهتم أن تكون سنية مطيبة بالتحنن والرحم ، أو أن تكون نحيبة موزنة

الجهد الذي تغيره أدنى الأجناس سيأخذ منك دوراً ، فتلقى للحجر الأسود لا بد أن تستلمه وتجهده في أن تقبله ^(١) .

والحجر رمزية الجهاد ، لأن الجهاد كل شيء ليس فيه النمو أو الحس فنجهد الحاج الذي لا يتمكن من تقبل الحجر الأسود بعز وبنصر أن شيئاً قد نقص من حجه ويحاول ويصعب ويواجه حتى يتأكل هذا الشرف ويقبل الحجر .

فانظر إلى انكسار نفس هذا الإنسان ، وهو السيد الأعلى لجميع الأجناس يتأرب مع كل الأجناس ويأبى لأنى الأجناس ليقبله ، فانظر إلى طمأنينة النفس البشرية إلى أدنى أنواع أجناس الأرض .

إن المنافع التي يشهد بها الحاج تشمل المنافع الدينية والدنيوية ، لأن الحاج يظل في طاعة لله ومرتبة له وهو يقول : و ليك اللهم ليك و معنى ليك ، أي أن كل مشاغل الدنيا تطلبني وأنت يا رب طلبتني ، فإنا إليك أنت أولاً ؛ لأنك جلتى وخالق الأشياء التي تشغلني عنك ، والأهم للمعلومات هي : أيام التشرى .

معنى : ﴿ وَهَلْ مَا نَزَّلْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِهِ الْغَيْبِ ﴾ [الحج : ٢٨] أي : يذكر الله ويشكره على الرزق الذي أعطاه لهم من بهيمة الأنعام استعانة بها أكلا ، واستعانة بالإنسان بها ، وقبل ذلك تشكر الله على أنه سخر لك هذه الأشياء ^(٢) ؛ لأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً ذلله لنا قال تعالى : ﴿ وَزَلَّزَلْنَا أَلْجَافَ نَهْمٍ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيَا الْعَمَلَا فَمِمَّ لَهَا تَبْلُوكَ ﴾ [زكزلنا لهم قيتنا زكزلهم زيننا تأكلون] ﴿ وَكَمْ يَبْنِي مَنَاجِ وَتَشَارِبَ أَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [س] فإنت لم تأخذ هذه المحلوقات وتطوعها لخدمتك يقولك أنت ؛ بل لأن الله هو الذي ذللها لك ، ولذلك الحق سبحانه برك بعض خلقه غير مستأنس ولا مدلل ، ليعين لك أنه لو أن الله سخر لك هذا وذلل ما كنت تستطيع أن تستغنى به .

(١) من ابن شهاب عن سالم أن أباه حدثه قال : حل صر من المطالب المحرم ثم قال : وأنا والله لقد علمت أنك حجر . ولو لا أي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما قبلت ، وراه مسلم [٢٧٠/٢٧٤] وفي لفظ : و رأيت رسول الله بك حقيقاً .

(٢) يعني : الأبل ، والبقر ، والغنم كما فعلها سبحانه وتعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَكَذَلِكَ نَفَعْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ مَّا كَرِهَ الْإِنْسَانُ ﴾ [الأنعام : ١٤٣] .

فالأكل يكون من علوم الهدى التي تطوع بها البيت دون أن يكون عليك شيء ، لكن إن نذرت هدنيا لا تأكل منه ، وإن كان دم قرآن لا تأكل منه ، وإن كان دم فتحة لا تأكل منه ، وإن كان دم جبر للبيت صنعت في الإحرام لا تأكل منه ، وإنما تأكل من الصدقة الخفية أو الطمع الخفية .

وانظر إلى رحمة الله تعالى في أنه أراد أن يحصل الشيء القادر هو الذي يشتري الجمل أو البقرة أو الخروف ، ثم يلبسها ويبحث عن الناس الفقير المحتاج يأكل منها . ثالثي هو الذي يتعب ويبحث ويشتري ويذبح ، والفقير لا يكلف نفسه عناء شيء من ذلك ، وما عليه إلا أن يأكل ويشكر الله ، فكان الله تعالى يقول للفقير : أنا لم أحرمك ولكن سخرت لك من يتعب من أجلك .

بعد ذلك يقول سبحانه : ﴿ وَثَرَّ بَقْعًا مَكِينًا وَلِيُنَبِّئَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَلِيُنْذِرَهُمْ وَبَلَّغَ لَأَمْرِهِمْ مَقْصُودَهُمُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ ﴾ [الحج : ٢٦] القصد إما أن يكون قضاء من الله على الإنسان بأمر لازم محكوم به ، وإما أن يكون قضاء من إنسان بين اثنين متخاصمين والقضاء يعطى المحصنة أولاً .

إذن .. القضاء هنا معناه التطوع أي : يطمعوا بتنهم ، ولكن ما هو الغنى ؟ قال الربيعي : والله ما عرفنا كلمة الغنى في لغتنا إلا في القرآن الكريم ، فلم تكن كلمة موروثة ودائرة على ألسنة العرب . فلما سألنا رجلاً من البادية عن معنى الغنى قال : هو الوسخ الذي يأتي على الجسم من التراب والبرق مثلاً ، لأن الحاج يعطى مدة يلبس - ٩ - دم قل السيد : تقول صر لن قل خطياً : وهذا إلى شاء فادفعها وتعقد بلحمها وأسن إمامها .

ومن احتاج إلى الملقن وهو محرم فهو مغفر بن ثلاثة :

- ١ - صرم ثلاثة أيام .
- ٢ - إلهام عشرة مساكن .
- ٣ - فبح شاة للقرآن . لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ كَانَ يَكُفِّرُكُمْ قَبْلَهَا قُلْ يَوْمَ أَتَى الْقَوْمَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ نَبِيٌّ يَقُولُ أَتَكْفُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٦] من تعبد فيها قلته علمنا علماً عليه ظل ما قل من العلم - لو إلهام مساكن أو عدل ذلك ميثاقاً .

ليس فيها شيء من ذلك ، لكن لو عرف أنه سيأكل منها لابد أن يختار ما سميت وسميته باللحم^(١) .

والناس^(٢) هو الذي يبدو على شكله وحيته أنه مسكين ، لكن الفقير قد لا يملك شيئاً ولكن هنا لا يمنع أن تكون ملازمة نظيفة وحيته مقبولة ، والأكل يكون من علوم الهدى التي تطوع بها دون أن يكون عليك شيء ، مثل القرآن أو دم النسخ ، أو دم غير مخالفة من الخفافات في الإحرام فتجبر به ، مثل التمسك خلال فترة الإحرام ، أو تعليم الأظفار ، أو قص الشعر ، أو تقصيره ، كل هذه تستوجب الكفارة بدم^(٣) .

(١) وقال شيخان ثوري من شعور عن إبراهيم ﴿ وكذا إذا شاة ﴾ قال : كان للمتركون لا يأكلون من ذابحهم ، فرفض المسلمون فمن شاء أكل ومن لم يشأ لم يأكل .

تفسير ابن كثير [٢/١١٦] .

(٢) البرزس ورأس الرأساء : السنة والكره إلا أن البرزس في الفقر والبرزس آخر ، والرأس والرأساء في الفكاهة . معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني [٣/٦] .

(٣) لقائه في المطبخ :

- ١ - دم معنى : وهو ما يهدى من النسم للمرم ، ولا يكون من الأول ماله خمس سنين فأكثر ومن فقير ما له ستان فأكثر ، والنسم ما له سنة فأكثر ، وهو واجب على من ترك واجبة من واجبات المطبخ أو للمرأة كالنسخ والقرآن أو ترك الملقن أو التفسير .
- ٢ - الهدى المفقور : وهو واجب بالبر .
- ٣ - مدى التطوع وهو ما يطوع به الحرم وفي الهدى خلافات كثيرة مفصلة في كتب الفقه والأشياء التي إذا تركها المطبخ لزمه دم :
- ١ - عند ترك الإحرام من الميثاق .
- ٢ - عند ترك طواف الإفاضة .
- ٣ - عند ترك طواف السعي .
- ٤ - عند ترك واجب من واجبات المطبخ - الرمي - البيت حرمي - الوجود بالردائنة .
- ٥ - عند فعل ما يعمل المطبخ فله دم وطبق القضاء .
- ٦ - دم الإحصار : ﴿ وَكَانَ لِمَنْزِلِهِمْ أَنْ يَنْتَقِرُوا مِنْ أَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة : ١٦٦] .
- ٧ - الفصح : ﴿ قُلْ يَنْتَقِبْ إِلَى اللَّهِ يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٦٦] .
- ٨ - القرآن : ليدبّر آياته بالبيان : أن الذي صلى الله عليه وسلم ذبح شاة من وكان قرآناً .

فأبروه حين أراد أن يهدم الكعبة أهلكه الله ودمر جيشه بأن سلب عليه أضعف جند من جنود الله وحى الطير الأبايل ، وجعله عبرة لكل طائفة يحاول أن يمس بيت الله بالسوء . وحتى الغيل وهو حيوان أصحى كانوا إذا وجوهوا إلى الكعبة يرك^(١) . وقد ذكر أن الغيل كان اسمه محمود وقيل له في أفنه : أيرك محمود وأرجع راشدا ، فأبأن في بلد الله الحرام ، فرفض الغيل أن يتحرك خطوة واحدة إلى الأمام .

وحينما ذهب عبد المطلب إلى أبروه ليكلمه في الإبل التي أخذها جيشه قال له أبروه معالينا : كنت قد تهيتك لأنك سيد قريش ، وبعد ذلك تأتي لتكلمني في مائة بعير أصبتها لك ولا تذكر أى شيء عن البيت الذى فيه مجدكم والذى جئت لأهدمه ؟ لقد سقطت من نظري . فما كان من عبد المطلب إلا أن قال له : أنا رب هذه الإبل ، ولييت رب يحميه . وهذه حجة قوية فهو لم يترك البيت لصيره خوفا أو ضعفا ، وإنما تركه : لأنه يعلم يقينا أن له ربا يحميه ويدافع عنه ، وهذا الكلام زلزل أبروه وأغاظه^(٢) .

• أعتقد من الفرق أيام العرثان ، دليله قوله تعالى : **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ** فكانت آيتي في هذا دليل على أن البيت رفع وتقي مكانه . وقيل : إنه أعتقد من الجاهزة ، ولم يدعه منهم أحد . وقيل : سمى حيفا لأنه لم يحكه أحد ، والأول أولى .

• لسان العرب [٢٣٦/١٠]

(١) برك البحر : إذا أفاخ في موضع غزوه .

(٢) قصة أصحاب الغيل مروية متواترة ، وحملها العرب مبأ تاريخ غزويون به : ففقرولن : حدث ذلك عام الغيل ، أو بعد عامين من عام الغيل ، وهكذا .

والقصة كما تروى : أن أبروه بن الصباح ملك اليمن من قبل أحمدة النجاشي ، بنى كيسة في صنها تسمى « القليس » ، وزعم على أن يعرف سبع العرب إليها كما يفتح إلى الكعبة فحكه ، فخرج رجل من بني كنانة فقدم فيها ليلا ، ويقال : إنه قضى بها حاجته أو أنه أحرها ، فانفس الملك ذلك ، فحلف ليهيمن الكعبة .

فخرج بالأحباش رابعا يلا عليها قويا كبير الخفة لم ير مثله ، يقال له : محمود ، ويقال : فخرج بها الأحباش ، وكان معه اثنا عشر قنلا غيره لإزلهب العرب فاصفا مكة متقبلا على كل من وقف في طريقه ، حتى وصل إلى للنفس قرب مكة رسمه رجل من قبيل يقال له : « أبو رغال » دليلا . ثم =

الإحرام لا يتطلب ولا يحلق شعره أو يقص أطرافه أو شاربه لكل هذا من التفت بعد أن يحلل من إحرامه يقطع هذا التفت^(١) .

فسمى : **فَمَنْ تَعَبَهُمْ فَمَنْهُمْ** أي : يقطعون ويحلقون الأدران التي حلقته من الترام موجهات الإحرام ، وإن كان على أحدهم نذر فليوفه ، ثم يظفرون بالبيت العتيق طواف الإفاضة . والطواف هو أن تدور حوله شيء فنبأ من تقطة وتتهى عندما .

والطواف حول الكعبة معروف .

والبيت العتيق : هو الكعبة المشرفة ، وكلمة عتيق تستخدم في اللغة استعمالا واسمة ، والعتيق : بمعنى القديم ، وما دام هو أول بيت وضع للناس فهو قديم .

والعتيق يمدح : لأن الشيء حين يكون قديما فمعنى ذلك أنه هام ومحافظ عليه ، ولا يحافظ على شيء إلا إذا كان مهما أو له مكانة في النفوس ، ومن ذلك الآثار والحف ، والعتيق أيضا : هو الشيء المجهل الحسن .

والعتيق : هو للعروق من سيطرة الغير مثل عرق المبد أيام وجود الرق والاستعباد ، فبيت الله عتيق لقدمه ؛ لأنه أول بيت وضع للناس ، وعتيق بمعنى تيس ومهم ؛ لأننا حينما نزره يظهرنا الله من الذنوب ، وهذا شيء يجهه ويتناه كل مسلم ، كما أنه بيت الله ، وهو أيضا معزق من سيطرة الغير ؛ لأن الله يحميه من سيطرة الجاهزة ويحكمهم^(٢) .

(١) التفت : هو تحرق الشعر ، وقس الأظفار ، وتكيب كل ما يحرم على الحرم ، وكأنه المخرج من الإحرام إلى الإحلال .

(٢) **فَمَنْ تَعَبَهُمْ فَمَنْهُمْ** قال ابن عباس : التفت : حلق الرأس ، وأخذ من الشاربين ، ووقف الإبط وحلق اللسان ، وقس الأظفار ، وأخذ من المراضين ، ورمى الحجارة ، والوقوف بمرقة والمروقة .

(٢) عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا نرى البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جمل » . روى الترمذى [٢٣٧٠] وللطحا له ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وضمنه الألبانى ، ورواه الحاكم في المستدرک [٢٣٨٩/٢] وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجه .

والبيت العتيق بكذا لقدمه ؛ لأنه أول بيت وضع للناس ، قال الحسن : هو البيت القديم ، دليله قوله تعالى : **فَمَنْ تَعَبَهُمْ فَمَنْهُمْ** أي : يقطعون ويحلقون الأدران التي حلقته من الترام موجهات الإحرام ، وإن كان على أحدهم نذر فليوفه ، ثم يظفرون بالبيت العتيق طواف الإفاضة . والطواف هو أن تدور حوله شيء فنبأ من تقطة وتتهى عندما .

البيت قبل إبراهيم .. والله 'لدى' أرشده إليه

قال الله تعالى : ﴿ وَرَبَّنَا بَنَّاكَ إِبْرَاهِيمَ مَكَانَتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُقْرَبَ بِهِ كُتُبًا وَتُحْمَرُ سَبِيحَتُهُ وَلَقَدْ بَنَيْنَا الْكُرْسِيَّ وَالْأَرْشَ عِزًّا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ هُوَ الَّذِي أَرْشَدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَكَانِ ، أَيْ إِلَى مَكَانِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَصَاحِبَهُ بِالْعَبِيدِ ، لَيْدًا بَعْدَ ذَلِكَ إِقَامَةَ الْبَيْتِ وَمَعَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ كَبَّرَ قَبِيلًا لِيَمَارُونَهُ فِي رَفْعِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ .

إِذَنْ .. نَعْرِفُ هُنَا عَلَى التَّرْتِيبِ التَّالِي :

أَوَّلًا : أَنَّ الْمَكَانَ كَانَ مَوْجُودًا مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثَانِيًا : أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَحْفَظُ الْمَقْعَةَ الَّتِي يَوْجَدُ بِهَا الْبَيْتُ الْحَرَامُ - الْمَكَانَ - وَأَنَّ كَانَ لَمْ يَعْرِفْ بَعْدَ عَلَى مَسَاحَتِهِ بِالْمُتَّحِدِ .

ثَالِثًا : أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْكَنَ حَاجِرَ رَأْيِهَا إِسْمَاعِيلَ فِي هَذِهِ الْمَقْعَةِ .

رَابِعًا : صَدَرَ أَمْرُ الْحَقِّ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يَتِمَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ بَعْدَ أَنْ أَوْضَحَ لَهُ مَكَانَهُ بِالْعَبِيدِ . لَقَدْ أَوْضَحَ الْحَقُّ مَسَاحَةَ الْمَكَانِ وَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتِمَّ الْفُرَاعِدَ لَهُ هُوَ رَأْيُهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

خَامِسًا : إِنَّا عِنْدَمَا نَبْحَثُ أَيْ أَمْرًا أَوْ قَضِيَّةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَإِنَّمَا نَجْمِعُ كُلَّ مَا يَحْتَلِقُ بِهَا مِنَ الْقُرْآنِ ، حَتَّى لَا نَبْحَثَ فِي آيَةٍ يَجُوزُ عَنْ أُخْرَى ، وَلَمْ نَحْثَرِ تَبَارُكْ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ يَتَرَفَعُ وَيُنْفَخُ الْفَنَاءُ لِلَّذِي يَكُونُ مَبَارَكًا وَكَفَى لِلْمُتَكَلِّمِينَ ﴾ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ قَدْ أَوْضَحَ لَنَا أَنَّ هَذَا يَكُونُ لِلنَّاسِ هُوَ أَوَّلَ بَيْتٍ وَصَمَهُ الْحَقُّ لِلخَلْقِ (١) مِنْ قَبْلِ أَنْ يَهْبِطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ ، ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ هُمُ آدَمُ وَزَوْجُهُ وَلِبَنَاتُهُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ .

(١) عَنْ أَبِي خُرَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْ مَسْجِدَ رَضِيَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ : وَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، قَالَ : قُلْتُ : لِمَ أَيْ ؟ قَالَ : وَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى ، قُلْتُ : لِمَ كَانَ فِيهِمَا ؟ قَالَ : وَ أَلَمْ يَكُنْ سَنَةً ، ثُمَّ لَمَّا كُنَّا كُنَّا الْعِلَادَةَ بَعْدَ نُفُوسٍ ، فَإِنَّ الْفَتِيلَ فِيهِ . وَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ [٢٣٢٦٦] وَالتَّحْقِيقُ لَهُ ، وَرَسُولُ [٢١/٥٧] ، وَابْتِغَاءُ [١٥/٥٠] .

○○○

- أَرْسَلَ أُرْمَةُ رَجُلًا مِنَ الْمَدِينَةِ يَقُولُ لَهُ : الْأَمْرُ مِنْ مَقْعُودٍ لِيُغِيرَ عَلَى الْأَمْكَةِ الْقَرِيبَةِ ، فَسَأَلَ إِلَى أُرْمَةِ أَمْرًا قَرِيبًا ، وَبَعَثَ مَعَهَا بَعْضَ بَعْضِ الْمَطْلَبِ بِنَ حَاشِمٍ ، وَبَعَثَ حَاشِمًا الْمَدِينَةَ إِلَى مَكَّةَ لِيَأْتِيَ بِهِ . فَلَمَّا مَلَكَ الْبَيْدَ وَشَرَفَهُمْ ، لَجِزُهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبِهِمْ وَإِنَّمَا أَيْ لِهَدْمِ الْبَيْتِ الْحَقِيقِ . وَقَالَ : إِنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ أَقْبَلَ عَلَى أُرْمَةِ ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا حَسَنَ النَّظَرِ ، فَلَمَّا رَأَى أُرْمَةَ أَجَلَهُ وَأَعْظَمَهُ وَأَكْرَمَهُ ، فَقَالَ أُرْمَةُ عَنْ سِرِّهِ ، فَجَلَسَ عَلَى بَسَاطَةٍ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى جَنْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِحَرْجَمَانِهِ : قُلْ لَهُ مَا حَاجِبُكَ ؟ قَالَ : حَاجِبِي أَنَّ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مَاثِي بَعْضِ أَسْأَلِهَا لِي ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ أُرْمَةُ لِحَرْجَمَانِهِ : قُلْ لَهُ قَدْ كُنْتُ أَعْلَمْتُ حِينَ رَأَيْتُكَ ثُمَّ وَدِدْتُ لِيكَ حِينَ كُنْتُ ، أُنْكَلِمُ فِي مَاثِي بَعْضِ أَسْأَلِهَا لَكَ ، وَتَرِكَ يَدًا هُوَ قَدِيفَتُكَ وَفِيْنِ أَبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ ، لَا تَكْثُرْ فِيهِ ؟ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : أَيْ أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ ، وَأَنَا لِلْبَيْتِ رِبَا سَجَنَةً ، وَقَالَ : مَا كَانَ لِيَسْتَعِ مَنِي ، قَالَ : أَيْتَ وَذَلِكَ .

ثُمَّ رَجَعَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَعْرِزَةِ الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ وَالتَّحَصُّنِ بِالْجِبَالِ ، وَذَهَبَ هُوَ إِلَى الْبَيْتِ يَدْعُو وَيُحْمَرُ فِي الدَّمَاءِ .

وَمَا أُرْمَةُ جِئَتْهُ فِي الصَّبَاحِ ، وَهَاجَتْهُ ، فَلَمَّا رَجَعُوا الْبَيْدَ وَمَعْمُودٌ ، إِلَى مَكَّةَ أَقْبَلَ فَقَالَ بِنَ حَاشِمٍ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِ الْبَيْدِ لَمْ يَأْتِ بِأَنَّهُ ، فَقَالَ : أَمْرُكَ مَعْمُودٌ ، أَمْ لَرَجْعٍ وَنَاقًا مِنْ جِئْتُ جِئْتُ ، فَإِنَّكَ فِي بِلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ أَدْنَاهُ ، فَبَرَكَ الْبَيْدَ وَشَرَحَ فَقَالَ بِنَ حَاشِمٍ يَسْتَعِ حَتَّى مَعْدَ الْبَيْدِ ، فَكَانُوا كَمَا رَجَعُوا الْبَيْدَ إِلَى جِهَةِ الْبَيْتِ بَرَكَ وَلَمْ يَرِحْ ، وَأَنَا وَجْهَهُ إِلَى الْبَيْتِ لَمْ يَسْلَمْ لَمْ يَشْرُقَ أَسْرَعَ وَدَمَرُوا .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَرْسَلَ اللَّهُ حُرَّ رَجُلًا جَدِيدًا بِمَعْمُودَةٍ مِنْ سَجَلٍ عَلَى جَنْبِ أَعْدَانِهِ ، فَشَارَ لِحَرْبِهِمْ وَتَسَاقَطَ ، وَمُكَبَّرًا فِي كُلِّ طَرَفٍ وَدُوبٍ ، وَحَفِظَ اللَّهُ يَدَهُ وَرَحِمَهُ حَرَمَهُ ، وَرَجُلٌ قَتَلَ يَقُولُ :

أَيْنَ لِلْفَسْرِ وَالْإِلَهِ الْفَتَالِيبِ وَالْأَشْرَمِ الْمَلُوبَةِ لِمَنْ الْغَالِبِ

قَالَ السَّهْلِيُّ فِي الْهَرُوسِ الْأَكْفَى : إِنَّهُ مَسَحَ مِنْ يَقُولُ : إِنَّ الْفَتِيلَةَ صَنَفَ مِنْهَا يَبْرُكُ كَمَا يَبْرُكُ الْبَيْدُ .

وَرَجَعَ : السُّورَةُ الْقُبُورَةِ لِأَمِنْ حَقْلَمِ [٢١٦/١] ، وَلِطَرُوسِ الْأَكْفَى لِلْسَّهْلِيِّ ، وَرَسُولِ الْبَيْدِ وَالرَّشَادِ لِلْسَّهْلِيِّ [٢١٤/١] ، وَالْفَسْرِ الْكَبِيرِ لِلْفَتْرِ الْفَرَزِيِّ [٢١/٣٦] ، وَغَيْرِهِمْ .

أن هناك أرضاً ليست وضعت للناس ليؤوبوا إليه ، وبعد أن كثّر إسماعيل ذنوباً تلقى إبراهيم المعلم عن الله بمكان البيت الحرام ليقبمه مع ابنه إسماعيل .

إن قصة إسماعيل الحرام تبدأ منذ اللحظة التي أراد فيها الحق أن يجعل في الأرض حليمة خلق الله الأرض وقد فيها قوتاتها ، وأعد الله لآدم وزوجه بيتاً ، ليؤوب إليه آدم وأبناؤه من بعده ليكونوا في أمان .

ونبقى إبراهيم عن الحق المعلم بمكان البيت فأقام جدراؤه ، مقام إبراهيم بستان المهمة التي كلفه بها الحق . لقد أقام إبراهيم جدران الكعبة على قدر ما تطول يداه ، فذلك الزن لم يكن به أدوات بناء كالتي نرى فيها حالياً بل كان زمناً بدايياً ، لذلك أراد إبراهيم عليه السلام أن يحتال بالمقل البشري وأراد أن يزيد ارتفاع جدران البيت فأوجد الحجر الذي ينف عليه ليزيد في الارتفاع .

إذن .. فاتخاذ المقام الذي وقف عليه إبراهيم وهو يعني ، إنما هو دليل على أن إبراهيم عليه السلام لا يؤدي تكليفات الحق أداءً شكلياً إنما يؤدي أداء الحبيب . لقد أحب إبراهيم عليه السلام تكليف الرحمن له فحمل خبزاً يضي به الجدران للبيت الحرام ، وهو حجر من حرم متوسط يستطيع أن يحمله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام .

ولذلك فعندما يرى المسلم الحجر الذي وقف عليه إبراهيم يعلم جدران البيت الحرام فإنه يجد أن ذلك الحجر من ناحية الحجر والوزن ، في عائق الإنسان أن يحمله مع ابنه . إن هذا الحجر هو سمة الحجة لإكمال التكليف ، وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يتفعلان هذا الحجر من مكان إلى مكان ، يضيح إبراهيم الحجر فوق الحجر وإسماعيل ببارك الأحجار ، ولقد وجد الناس في مقام إبراهيم خبزاً يشبه القديمين وليس فيه التوربات التي توجد في القدم ، وعندما شملت عن سر علم وجود التوربات قلت بالاجتهاد البشري : يمكن أن نفكر أن تحليل الرحمن قد حفر هذا القدر في الحجر ليثبت به قدميه وهو يرفع الحجر فوق الحجر ليعلم من جدران البيت الحرام ، وهكذا جعل الحق هذا المقام سمة وآية بيته ليرى الدليل على حبه التكليف الرباني .

- إن كل منبج الله بالنسبة لخلق هو تكليف ، ويزيد الحق أن يضي مقام إبراهيم تحليل الرحمن سمة طيب التكليف الرباني ، وكان الحق يريد أن يعلم الحق أن إبراهيم كان

إن الحق يوضح لنا أن البيت وضع للناس قبل أن يوجد الناس ، وهكذا نعرف أن البيت الحرام كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام ، بل وقبل آدم عليه السلام ، إن آدم لم يضيح البيت ولكنه نزل إلى الأرض ليحد البيت^(١) ، وهكذا يرد الحق على الملق بأنّه هو الذي أمر الملاكمة أن تتقيم البيت ليستقبله آدم وأبناؤه من بعده ، ليصير البيت حامية للناس جميعاً من أول آدم ، وعندما جاء إبراهيم عليه السلام إلى د المكين و كان يعرف

(١) قال صاحب سبل الهدى والرشاد ١/ ١٤٦ في عدد المرات التي بينها البيت :
الأولى : عمارو الملاكمة :

روى الأوزني عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً سأله ما بدء هذا الطواف بهذا البيت ؟ ولم كان ؟ وأني كان ؟ وحيث كان ؟ فقال : أما بدء هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تعالى قال للملاكمة : هو إني يأتى على أربع أساطين من زرجد وضامن يملأه حرارة ، الله سبحانه وتعالى تحت العرش يضا على أربع أساطين من زرجد وضامن يملأه حرارة ، رسي البيت للشرائح ، ثم قال للملاكمة : طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش . فخلعت الملاكمة بالبيت تركوا العرش فصر أعور عليهم ، وهو البيت المصور الذي ذكره الله تعالى ، يمدله كل يوم وليلة سمور ألف ملك لا يمدون إليه أبداً ، ثم إن الله سبحانه وتعالى بعث ملائكة فقال : إبرا لي يضا في الأرض عتاله وقدره ، فأمر الله سبحانه وتعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يعرف أهل السماء بالبيت المصور .

المرّة الثانية : عمارو آدم عليه السلام :

روى البيهقي في الدلائل عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و بعث الله تعالى جبرائيل إلى آدم وحواء فقال لهما : انبيا لي يضا ، فخط لهما جبريل ، فحمل آدم بحفر وحواء تنقل حتى أحياه الله وتودى من تحت : حسبت يا آدم . فلما بناء أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به ، وقيل له : أنت أول الناس ، وهما أول بيت وضع ، ثم تأسخت الثورود حتى حجه فرح ، ثم تأسخت الثورود ، حتى رفع إبراهيم القواعد من البيت . ونظر أول من بنى الكعبة من فيها العمارو الثالثة ، والربمة .

ودواه ابن حاتم وابن جرير والطبراني موقوفاً . وزادوا : زعم الناس أن آدم بناء من خمسة أجيال : من حواء ، وريثان ، وطور زينا ، وطور سبابة ، والموردى . وذكر البيهقي في الهدى في ذكر السال ١٣٩٧١ حواء واليهي وابن حنكر ، قال : وقال البيهقي : تقرر به ابن لهيعة مكلما مرفوعاً .

أو ساجد في أي مكان في الدنيا.

بیتا (النساء: ۱۳۶) .

على رسوله ، والكعب السابعة لليرة على الرسل .

موجود ، وإمكانية استخراج هذا القوت بالزراعة غير متوافرة .

معرفة أي تسبها الف ولام في قوله تعالى

2

وإسماعيل. تنطق البيت رغم أنها قد اكتملت بناء فورا؟

البیت^(۱) ولكن لمن يتم تطهير البيت الحرام ؟

إبراهيم عليه السلام بإقامة البيت الحرام^(١).

ويجلس فيه عاكفا ، ويقيم الصلاة فيه ، فيصيح من الراكبين الساجدين .

المرکز علیہ الناس .

• للذكور بالعلماء السابقين .

كَانَ اللَّهُ يَقُولُ الْإِبْرَاهِيمَ : إِنِّي جِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ الْخَلْقَ إِلَى الدُّنْيَا أَسْتَعِينُكَ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ ، وَرَسَخْتُ مَا فِي الْأَرْضِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، وَمَا دُمْتَ قَدْ أَسْتَعِينُكَ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ فَلَا يَدُ أَنْ أَضْمِنَ لَهُ مَقْرَمَاتِ حَيَاتِهِ ، لَكِنْ حَسَابُ الْقِيَمِ يَخْتَلِفُ ، إِنْ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَقْلَلَ فِيهِمُ الْإِمَامَةُ ، لِأَنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ اتِّبَاعُ التَّوْحِيدِ وَالتَّكْلِيفِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ بِحُبِّ أَمَّا الْكَافِرُونَ فَلَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ فِي الْآخِرَةِ .

○ ○ ○

بمساجدهم وروعتهم في الثانية بين المؤمنين نربنا على الآية الثانية ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ فمعناه أنه في الدنيا مكتول للكافر والمؤمن لم يحضره الله سبحانه على أحد من خلقه ليقيم حريته اختيار المعبودة وعدم الإكراه عليها كما قال تعالى: ﴿لَا أَكْرَاهُ فِي الْأَشْيَاءِ قَدْ تَجَشَّعْتُ الرَّقِيقَ مِنَ الْآثَرِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] . قلوا إن الله تعالى حرم الكافرين لكنهم دخلوا الإسلام جهرا ، ولو أن الله حرم المؤمنين اعتقادا للربب الآخر والكفر بغيره ، ولما لم يرد الله تعالى إذا قال : «فمن شاء فليؤمن - وله الجنة - ومن شاء فليكفر - وله النار» . وانظر تفسير ابن كثير [٣/١٣٦] . من عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أركانكم ، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من أحب ، فمن أمهاته الله الذين قد أمهه...» جزء من حديث رواه أحمد [٢٨٧٨/١] وضمنه الشيخ شاكر في السند [٣١٧٢] وقال الأثراروط : إنناؤه ضيف .

إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ بِإِسْتِثْنَاءِ الْوَلَدِ مَا نَفَعْنَا لَكُمْ إِشْرَافَهُمْ ،
[إبراهيم : ٣٥] . إِنَّا دَعَا إِبْرَاهِيمَ بِخَلْفِهِ فَاسْتَضَاهُ

ولما أن ملحقاً فقلته النبوة في دعاء إبراهيم حين قال : **هَوَيْتُ نَفْسِي هَكَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا رَبِّهِ أَفْعَمْهُ** مِنَ التَّوْبَةِ مَن عَامَّتْ نَفْسُهُ بِإِلَهِهِ **الْأَكْبَرِ** إِنَّ دَعَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوْضِحُ أَنَّهُ حَصَرَ مَعْلَمُهُ فِي رُزْقِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، هَذَا الدَّعَاءُ يُوْضِحُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ اسْتَرْعَبَ الدَّرْسَ الَّذِي سَبَقَ أَنَّ لِلَّهِ هُوَ لَا يَتَأَلَّاهُ عِبَادَتُهُ الْفُتَيْيَّةُ لَهُ ، لِذَلِكَ قَعْدَمَا جَاءَ هَكَذَا كَانَتْ الْيَقِظَةُ فِي اسْتِجَابِ الْكَائِفِ عَنِ اللَّهِ ، وَهَكَذَا كَانَ آدَبُ التَّعَلُّمِ عَنِ اللَّهِ ، لَكِنْ رَحْمَةُ اللَّهِ لَا تَوَقُفُ ، إِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَادْرَاةٌ عَلَى اسْتِجَابِ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ مَعًا ، إِنْ الرُّزْقُ فِي الْأَرْضِ مَعْدَرُ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، إِنْ الْحَقُّ بَيْنَهُ إِبْرَاهِيمَ وَيَحْيَى لَهُ : **هَوَيْتُ نَفْسِي هَكَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا رَبِّهِ أَفْعَمْهُ مِنَ التَّوْبَةِ مَن عَامَّتْ نَفْسُهُ بِإِلَهِهِ الْاَكْبَرِ** وَيُقْبَلُ التَّعْبِيرُ **إِنَّ الْحَقَّ يُلْغِي الدُّنْيَا الْإِمَامَةَ فِي الْقِيَمِ أَمَا فِي** الْمُؤْمِنِ مِنْ ذَوْبِهِ لَهُ رُزْقُ الدُّنْيَا وَجَنَّةُ الْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا الْإِمَامَةُ فِي الْقِيَمِ أَمَا فِي رُزْقِ الْمَادَّةِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ فَذَلِكَ نِعْمَةُ لِلْمُؤْمِنِ وَنِعْمَةُ لِلْكَافِرِ رَغْمَ أَنِّي أَغْضِبُهُ فِي الْآخِرَةِ (١٧)

[illegible]

إن الاختيار من الله سبحانه فهو الذي اختار المكان ، وأمر إبراهيم بالإقامة فيه ، ولذلك قال : ﴿ وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ عبارة ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ هي جنبه الرضا بالكليف ، مكانه أحب هذا المكان رغم تنوره ، طاعة له سبحانه . مثلما تقول لأحد : اذهب إلى مكان كذا لتقابل فلانا فيقول لك : يا أخي المكان بعيد ، والرواحات ضعبة ، ولكن سأذهب من أجل فلان هذا ، لأنني أحبه وأتقنى خدمته .

إذن .. فهناك أمر تكليفي سينفذ برضا وجب وسأعتمد صاحبه ثوابين ثواب حب التكليف وثواب القيام بالتكليف .

رحب التكليف على الرجل الذي قال : اللهم اني عصيتك ، ولكني أحب من يعطينك ، فأجعلها قربة لي ؛ لأنه يفرح بتقبل التكليف ولو من غيره ؛ لأن في تنفيذه حتى من غيره مصلحة له ؛ ولذلك فإن ربطا سبحانه حين علمنا أن نتاجه في فاتحة الكتاب في أول الصلاة قال سبحانه : ﴿ هُوَ يَسْمَعُ أَلْفَ أَكْثَرِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ﴿ إِنَّا أَنْتَ نَعْبُدُكَ وَإِنَّا أَنْتَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿ وَالْحَمْدُ ﴾ . ومع أن المصلي الذي يتقرأ فاتحة في الصلاة فرد وليس مجموعة ، فإنه لم يقل إياك أعبد ؟ وإنما قال : ﴿ إِنَّا أَنْتَ نَعْبُدُكَ وَإِنَّا أَنْتَ نَسْتَعِينُ ﴾ فحضر نفسه في زمرة العابدين ؛ لعل الله يقبلهم من أجل واحد فيهم ؛ فيكون الصلوة رابطة فكأنه يقول : يا رب اقبلي وأنا عاصي من أجل هذا المصلي من عبادك الصالحين ، ولذلك فإنهم يقولون : إن الذي يفعل معصية لا يقض من الطامنين بل يفرح بهم ؛ لأن فرحة بالطائفين دليل على حب التكليف لكنه لا يقدر

- في الدلائل [٤٧/٦٦-٥٢] . وقد عرله الحافظ في التلخيص للطراف على الأكراف [٤٢٩/٤] ، لسعيد بن طراد في تفسيره ، وللطبري في تفسيره [١٥٤-١٥٢/١٧] .

وأما الحافظ ابن حجر في فتح الباري [٥٠٠-٥١٠/٧] فقد عرله : لأن السكن والإسماعيلي والناكشي والأذني وعمر بن شبة في كتاب مكة ، وأبو نعيم في المستخرج .

= عليه السلام ، وتوحيه بيت هبة بابه . فما جاء إسماويل قال : ملئناكم من أمد ؟ قالت : نعم ، أنا شيخ حسن الهيئة - وأنت عليه - فسأني عنك فأخبرته ، فسأني كيف عينا فأخبرته أنا بخبر ، قال : فأرسلناك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ صلوات السلام ، وأمرنا أن تحت عية بابل . قال : ذاك أي وقت لصية ، أمرني أن أفسح ، ثم لست معهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك راسماويل يري نبلا له تحت دوحه قريبا من زبرم ، فلما رأى قام إليه ، فقصا كما يصبح الولد بالولد ، والولد بالولد . ثم قال يا إسماويل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فأصحب ما أمرناك به . قال : وتوحيه ؟ قال : رأيته . قال : فعد ذلك وما التواضع من البيت ، فعمل إسماويل إلى أكمة مرتفعة على ما حوله - قال : فعد ذلك وما التواضع من البيت ، فعمل إسماويل بالنبي بالمجدرة لإبراهيم يعني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهما المجر فوضعه له . فقام عليه وهو يعني راسماويل يناديه المعجزة ، وما يترلان : ﴿ وَرَبَّنَا قَتَلْنَا نَحْنُكَ أَنْتَ آخِصُّ الْغَيْبِ ﴾ فعملا بينان حتى يدورا حول البيت ومسا يقولان : ﴿ وَرَبَّنَا قَتَلْنَا نَحْنُكَ أَنْتَ آخِصُّ الْغَيْبِ ﴾ انتهى . روى البخاري [٢٣٦١:٤، ٢٣٦١:٥، ٢٣٦١:٦] واللفظ له . والسائل في الكبرى [١/٨٣٧] روى حديث أبي جهم : و كان إبراهيم يزور ما حاجر كل شهر على البراء يندو غدوة فأتى مكة ، ثم خرج فيقول في منزله بالعلم ، قال الحافظ في التلخيص [٥١/٧] : زوروا الناكشي من حديث علي بن إسحاق حسن نحوه .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : و فنادما جبريل قال : من أنت ؟ قالت : أنا حاجر لم ولد إبراهيم ، قال : فإني من وكلكما ؟ قالت : إني الله ، قال : وكلكما إلى كفاف .

رواه الطبري بإسناد حسن كما قال الحافظ في فتح الباري [٥٢/٧] . ومن عهد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم قال : و لا كان بيت إبراهيم وبين أمه ما كان خرج بإسماويل ، معهم شاة فيها ماء ، فعملت لم إسماويل تشرب من الشاة فغير لبها على صحتها حتى قدم مكة فوضعا تحت دوحه ، ثم رجع إبراهيم إلى أمه فابته لم إسماويل حتى لا يلدوا كداه فلو أنه من ورثه : يا إبراهيم إني من تحرك ؟ قال : إني الله . قالت : رضيت بالله . وفي نسخة آخر : و ... فجهه لم إسماويل فقالت : يا إبراهيم إني تلعب وتحرركا بهما الولد الذي ليس فيه إني ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلبثت إليها ، فقالت له : والله : أترك بهما ؟ قال نعم . قالت : إذن لا يضيحا ، ثم رجعت ... روى البخاري [٢٣٦٢:٤، ٢٣٦١:٥، ٢٣٦١:٦] واللفظ له . والسائل في الكبرى [١/٨٣٨، ٨٣٧] ، والبيهقي -

فالتربية الرحمة التي يدخل الناس أنفسهم فيها وهم غير مطالبين بها إلا في حالة الاستغاثة هي المحج ، تجد الإنسان غير مستطيع مالياً ومع ذلك يطلب سنوت يحرم نفسه ويذبح حتى يحقق رغبته في أداء المحج .

إذن .. هي مسألة قلب ؛ وبذلك تتضح علاقتنا بتعالى الله تعالى : هو أَعْلَى مِنَّا ؛
 أَنَّا بِيَسْرٍ هُوَ كَلِمَةً : هُوَ تَهْوِيٌّ هُوَ الهاء والواو والياء ؛ لها معان متعددة ؛
 « تَهْوِيٌّ بِهْوِيٍّ » بالكسر أى : سقط على مكان ولا إرادة له فى السقوط ، فساعة
 يستقل حجر من أعلى كأنه مقهور على السقوط ، إنما « هَوِيٌّ بِهْوِيٍّ » بالفتح بمعنى :
 أحب . إذن : فهذا ميل قلب ، وذلك ميل قلب وقوله سبحانه : هُوَ وَارَثَهُمْ وَنَبَهُ
 الْغُرَبَاءِ أَكْلَهُمْ يُشْكِرُونَ هُوَ يبنى : أنهم سيكبرون فى مكان ليس فيه رزق ولا شيء من
 مقومات الحياة .

ومع ذلك فقد شاءت إرادة الله أن يكون هذا المكان القاحل المنقر ، شيئاً آخر تماماً ، لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ يَجْعَلُ إِلَيْهِ قُصُورًا ۚ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا ۚ وَالنَّعْسُ ۚ ١٧٧ ﴾ . فكانت كل خيرات الدنيا تأتي إلى هذا المكان حتى قبل أن يُكتشف البرول ويتم الخير وبإياك أن تعلم أن ذلك باختيار الذين يأثرون البيت الحرام ، لأن الله قال : ﴿ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا ۚ وَكَلِمَةٌ ۚ يَجْعَلُهَا كَأَنهَا حِجَابٌ يُبْصَرُ ۚ أَسْمَوْسُ قَتَى الطَّائِفُ مَعْلًا أَنْوَاعَ كَثِيرَةٍ مِّنَ الْفَائِكَةِ وَالنَّارِ جِنْعًا تَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ لِمُشْتَرِي يَبْدُلُون لَكَ ۚ هَذِهِ ثَمَارُ مَكَّةَ ، اسْتِرَاعًا مِّن مَّكَّةَ شَيْءٍ عَجِيبٍ ۖ ۱١ وَقَوْلُهُ سَبْحَانَهُ : ﴿ يَجْعَلُ إِلَيْهِ قُصُورًا ۚ كُلُّ شَيْءٍ كَلِمَةٌ ۚ يَجْعَلُهَا فِي الثَّمَرَاتِ قِيَارًا ۚ إِنَّ سَافِرَتَ إِلَى الْبَيْلِ الْحَرَامِ تَجِدُ فِيهِ نَازِكَةَ الشَّيْءِ مَوْجُودَةً فِي الصَّيْفِ ، وَنَازِكَةَ الصَّيْفِ مَوْجُودَةً فِي الشَّيْءِ وَكَذَلِكَ .

على نفسه فكأنه يقول : ما دمت أحب الكلبين فما رب أكرمي من أجل ذلك . لماذا تقول هذا الكلام ؟ لأن قوله : **هُوَ عِنْدَ رَبِّكَ الْمَحْصُونُ** يعني أن إبراهيم لم يأت إلى هذا المكان من نفسه وإنما جاء تنقيلاً لأمر الله سبحانه وتعالى ، ولذلك مستقول له زوجته بعد ذلك : ما الذي جأه بك إلى هذا المكان ؟ هل هو أمر ربك ؟ أم من عندك ؟ فيقول لها : ربا هو الذي أمرني بهذا . فتقول له : لماذا لم تأمرك بهذا فلن يضيعنا .

أما معنى قوله تعالى : **هُوَ رَبُّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْكَاثِبُ** من بُرْهَانِي بِرَأْيِي غير ذي رَدِّع **عِنْدَ رَبِّكَ الْمَحْصُونُ** ربا هو ربك فلا بد أن يهبط فيه . ربا يقول أحد : يوت ربا لماذا هذا المكان هو بيت الله المحرم فلا بد أن يهبط فيه .

كبيرة ، فتقول له : هناك فرق بين بيت الله باختيار خلق الله ، وبين بيت الله باختيار الله فإن خلا بيت من يوت الله التي أقيمت باختيار خلقه فليس هذا كما يخطر بيت الله .

[illegible]

زوم .. وصديق التوكل على الله

حنا يجب أيضا أن تنبه إلى شيء آخر ، وهو أن الحق سبحانه وتعالى حيثما أتى بعض الأشياء وحملها نسكا أراد أن يجعل الناس على ذكر من أصول مناسكهم ، فمثلا : السعي بين الصفا والزروة ، عرفنا أن السيدة هاجر سمت بينهما لطلب الماء لوليدها إسماعيل عليهما السلام سبعة أشواط ، ولم تجد ، ثم وجدت ابنها ضرب برجله فخرجت زوم .

إذن .. فزوم تحمل شيئا في الحقيقة ، بصرف النظر عن كونها : مباركة ، وأنها ضمام طعم^(١) ، السعي تحمل رمزية الأسباب وزوم تحمل رمزية التوكل على السبب حيث الرزق من حيث لا نحسب .

إذن .. فلا بد للإنسان أمام ظروف الحياة أن يكون له حالين : حال يسير فيه مع الأسباب فيجد ويجهد كما جدت السيدة هاجر عليها السلام في أنها ذهبت إلى الصفا فالزروة وكررت ذلك ، ولكن هذا لم يأت لها بالماء ، وجاء لها الماء من حيث لا تحسب بوفرة قدم من ابنها الصغير الضعيف ، وعلى هذا فالزوم بين أمرين : بين أسباب تشغل حواره ، وتوكل على الله يشغل قلبه ، ولتأكد هذا المعنى ، ليس أن تقول هله زوم التي كذا ، التي جاء بها الله من حيث لا تحسب السيدة هاجر ، وكذا وكذا ، لا . بل ونشرب منها ، والله يجعل فيها الفائدة ، بلوحة أن المحدثين في السيرة حدثونا أن بابا فر حينما جاء من بلاده بعد أن سمع خبر بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك ضيفا على أحد في مكة ، وترك ضيفا في المسجد ، وقد سأل الناس ويقولون : لماذا مع أن كل واحد يأتي من البداية له واحد من الحضر ؟ فكل واحد يأتي من البداية يكون له قريب أو صديق يترك عليه ، ولذلك كان زاهر بن حرام هو البدرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني عندما يترك رسول الله الصحاء يترك على سيدنا زاهر بن حرام - وكان يحبه جدا وله دعاءات معه كثيرة جدا ، للدرجة أنه رآه مرة

عند قدي إسماعيل .

(١) جزء من حديث رواه مسلم [٢٤٧٢/٢] ، وروى عبد الرزاق في المصنف [١١٨/هـ] عن

طائوس عن أبيه قال : زوم طمام طعم وشفاء سقم .

المسح

التيتم لله . قال بعض الصالحين : لو قال الحق سبحانه فاجعل أفئدة الناس أو قال : فاجعل الناس يهتدون إليهم لو كان النص كذلك لما رُعيد لأحد به مكان ولو لم يقل : هو أفئدة نيك الآخرين لله لكان الصغاري واليهود يذهبون لبحرهما . ثم يقول : هو زومًا أنك تتذكر ما تحيي ، بعد أن اطمأن على أنه أصبح بلدا ، وتحقق له الأمن المأم والأمن الخاص ، واطمأن على أنه سيأتي الرزق ، وأخيرات عارضة التوابع إلى الخيء لهذا المكان ، لأنه سترك زوجته هاجر وابنها إسماعيل فأصبح مشغولا بهما ، ولذلك قال تعالى : **فَإِذْ تَتَذَكَّرُ أَنَّكَ تُحْيِي وَكَأ تَحْيِي** .

الصغير هنا بالجمع وبعض المفسرين يقول : قوله : **فَإِذْ تَتَذَكَّرُ مَا تُحْيِي** . أي : ما أخفى من الحب لهاجر وإسماعيل ، وما تملن أي من الخفاء أمام سارة لهاجر وابنها كان الماتى النفسية عارضة عندما حم بالرجل تقول له : قوله : **فَإِذْ تَتَذَكَّرُ مَا تُحْيِي** دليل على أنها ليست مسألة سهلة أن يترك هاجر ولديها في مكان ليس فيه نزع ولا ماء ولا بشر . فهي مسألة صعبة على النفس ، ولذلك فإن هاجر صبرت مدة طويلة لم تسأل إبراهيم عن شيء حتى هم بالرجل فقالت له : كيف ستركنا في هذا المكان ؟ حل هذا من رأيك أو أمر ربنا ؟ فقال لها : ربنا هو الذي أمر ، فقالت له : إذن فلن يضيئنا .

وتأكدت لها هذه المسألة عويلا ؟ فيمضئ ابنها وينفذ الماء الذي في السماء ، ويأكلهم الرضيع من العطين فماذا تتم ؟ تقوم بجهود بشرى ، نظرت إلى الوادي ، جبال هنا وهناك فتجري إلى الجبل لتلها ترى شجرة عند ما ماء أو أحدا قادما معه ماء ، تقصاري ما تقعله امرأة في هذه السن أن تجرى بين الصفا والزروة سبع مرات هذا أكمل مجهود بشرى ، ولكن هذا الجهد البشري لم يأت نتيجة ، وبعد هذا التعب وجدت الماء عند قدي وليدنا .

إذن .. نصدق قولها : لن يضيئنا ، ولا فلو أنها وجدت الماء عند الصفا أو عند الزروة لما كان قولها : لن يضيئنا مدلول ، ولكنها أخذت بالأسباب ولم تجد الماء ، ثم وجدتة عند قدي إسماعيل .

○○○

المسح

٧٠

ابتلاء إبراهيم في ولده

إذا كان الله يترك تبارك وتعالى ابتلى إبراهيم عليه السلام بالنار في مطلع حياته ؛ فقد ابتلاه إذاً آخر أيامه بأن أمره بذبح ولده الوحيد . والإنسان في أول حياته تكون ذاتيه هي المسيطرة على نفسه ولكنه في أواخر حياته تكون ذاتيه أولاده فوق ذاتيه . فقد اقتربت حياته من النهاية ، ولذلك فهو يريد أن يعطي أولاده كل شيء ، ويريد أن يحقق لهم ما لم يحققه لنفسه ، وهكذا عندما كبر إبراهيم وصار شيخاً جاءه الابتلاء الثاني بأن يذبح ولده . ولتبن قوة هذا الابتلاء على نفس إبراهيم نقول : إن إبراهيم أصبح في سن كبيرة . وحسب عالم الأسباب من المشكوك فيه أن عمره قد يولد آخر ، إذن ، . فإسماعيل هو كل عزوة إبراهيم في الدنيا . وإذا بالأمر يصدر من الله ليس بأن يقتل إسماعيل ، فربما كان ذلك حيناً على النفس بأن يعطي إبراهيم ولده لعدد من الناس يأخذونه بعيداً عنه يقتلونه . كان في ذلك نوع من الرحمة في القضاء ، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم بأن يأخذ ابنه ويذبحه يده ، ابتلاء كبير جاء عن طريق رؤيا لإبراهيم ورؤيا الأنبياء حتى (١) .

إبراهيم عليه السلام يعلم يقيناً أن الحق سبحانه وتعالى لا يطلب من خلقه إلا الاستسلام لقضائه ، ولذلك إذا رابت إنساناً طال عليه القضاء في أي شيء في مرض ، في مصيبة ، في مال ، فاعلم أنه لم يرض بما وقع له ، ولو أنه رضى لاتوى القضاء ، فلا يرفع قضاء حتى تكون نفس من ابتلى به راضية ، وما دام علم الرضا موحداً فالتاس هم الذين يطولون على أنفسهم أمد القضاء ، لأنهم لا يرضون به ، فإذا قال لك إنسان إنه راض بقضاء الله وإن القضاء لم يرفع عنه ، فاعلم أنه يقول ذلك بلسانه ولا يحصى عنه .
بقيله .

(١) قال حيد بن صحر : روى الأبناء رضى ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَكَانَ بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكَانٌ يَمْشِي عَلَى سَحَابٍ ﴾ قال يحيى النخل جابوثر سبيطاً : إن كلمة الله في القرآن كثيرة [المصافات : ١٠٢] ، راجع تفسير ابن كثير [١/٤٦١] ، وانظر الفيحاء [١٣٨] . وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والرويا والصالحة جزء من سبعين جزءاً من لقوة » روى مسلم [٩/٢٦٦] .

في السرقة ، جاء من البادية ولم يذهب إلى رسول الله ، فراه صلى الله عليه وسلم في السرقة فباعه صلى الله عليه وسلم دعابة بين لما منزله عند رسول الله ، كان لونه أسمر قليلاً ، فباع رسول الله من خلده - كما نصنع نحن مع أجهلنا - ووضح يديه على كفه وقال : من يشتري المبد ؟ فوقف زاهر بن حرام صرت رسول الله ، فقال : اذن تجدني ، يا رسول الله كما سمنا .

قَالَ لَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
وَكَيْفَ عِنْدَ اللَّهِ رَيْحٌ ^(١) .

فالشاهد أن كل يدعى له حضرة يتزل عليه والمكس صحيح ، فليتنا ابو در
الغضاري لا جاء لم يذهب لمن يتزل عليه من الحضرة ، بل ذهب إلى الحرم - لماذا ؟
نحن ، بعضنا في هذه الأمة ، ما دام له مكان يتزل فيه عند أهل مكة ، لماذا لم يذهب

五

قالوا : لأن المسألة في استقبال الرسول كانت البيوت مختلفة ، بيوت أمّت به ، وبيوت كبرت به ، والبيت الواحد فيه من آسن وفيه من كفر ، فقال : لو ذهب عبد أحد فاحتمال أن يكون هذا الرجل الذي سألني عنه روحه ليت معه ، أو روحه ميت يشهد له ، أو روحه ضده فيشهد ضده ، فلا داعي لهذه ولا لهذه ! وذهب إلى بيت الله الحرام .

وَمَكَتَ سَبْعًا حَتَّى جُمِعَ . وَتَبَيَّنَ لِي بِرُؤْيَايَ .
وَرَأَيْتُ لَعْنَةَ تَكْسِرَتِ عَمْرِو بْنِ لُطَيْفٍ ، يَتَنَبَّأُ : سَمِعْتُ حَتَّى صَارَتْ بَيْنَهُ طَلَاتٌ .
إِذَنْ .. فَصَدَّقَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . وَصَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِيهِ ، أَنْ قَالَ : « زَيْرُكُمْ طَعَامُ طَعْمٍ وَشَفَاءُ مَقْتَمٍ » (١٩) .

○
○
○

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير [١٧٤/٥، ٥٣١] وقال الشيخ في مجمع الزوائد [٣١٩/٩] (٢) رجاله مثوثون .
(٣) سبق تخرجه .

بمقدمهم ، وأما القول بأنه إسحاق فباطل ، يأكل من عشرين رمتها وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : هذا القول إما هو متعلق من أهل الكتاب مع أنه باطل بمعنى كلامهم ، فإن فيه : إن الله لم يرهم أن يبيع ابنه بكرة - وفي لفظ - وجمده ، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسحاق هو بكر لأو لاده ، وبأنه غير أصحبه هذا القول : أن في التوراة التي بأيديهم : « أذبح ابنك إسحاق » . قال : وجمدة الزيادة من تحريمهم وكذبهم : لأنها متناقضة قوله : « أذبح ابنك ووجده » . ولكن اليهود حسدت نبي إسحاق على هذا الشرف وأحسوا أن يكون لهم ، وأن يسرقوه منهم وحسنوه دون العرب ، وبأن الله إلا أن يحمل فضله لأهله وكبشهم ، وأن يقول : إن الذي إسحق ولله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبأنه يعقوب ؟ فقال تعالى : **سورة البقرة** : **وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** .

[illegible]

لم يقول : وأيضاً فلا ريب أن المسيح كان بحكة ، وبذلك جعلت القريتين يوم السحر بها ، كما جعل السعي بين الصفا والبرية روسي الجمار تذكرياً لسان إسماعيل وأمه وإفانة لذكر الله ، وطمعوا أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بحكة دون إصحاق وأمه ، ولهذا اتصل مكان المسيح وزماته بالبيت الحرم الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل ، وكان السحر بحكة من تمام حجة البيت الذي كان على يد إبراهيم وأمه إسماعيل زمناً ومكاناً ، ولور كان المسيح بالشم - كما نؤمن أهل الكتاب ومن تلقى عنهم - كانت القريتين والسحر بالشم لا بحكة .

وأيضاً فإن الله سبحانه سعى للبيع علينا، ألا لا أعلم عن أسلم نفسه للبيع طاعة لربه، ولا ذكر إسحاق سبحانه علينا فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ بَايَعَ الْكُفْرَاءَ﴾ ﴿١٠٠﴾ أي كُفْرًا =

إبراهيم عليه السلام عرف هذه القضية من علم المالكوت ، عرف أنه لا يرفع قضاء

حتى يرضى به فانتقل الأمر لله ، ولكن حب إبراهيم لأبيه جعله لا يريد أن يجعل
إسماعيل غير بئيرة مسخطة فلا يفرز برضا الله ، ولذلك لم يأخذه رفعا عنه وبأبيهه ؛ لأن
في هذه الحالة قد يكون إسماعيل غير راضٍ ، فيحرم من الجزاء على هذا الإيلاء . فيقول
في هذه الحالة قد يكون إسماعيل غير راضٍ ، فيحرم من الجزاء على هذا الإيلاء . فيقول
إبراهيم عليه السلام لولده : ﴿ هَذَا يَلِجُ مَعَهُ الْعَتَمُ ﴾ كَمَا يَلِجُ بَنُو أَبِي أَيْ إِلَى الْإِسْتِغَارِ أَيْ
وَكَلَّمَا يَرِيدُ إِبْرَاهِيمَ لَأَبِيهِ أَنْ يَأْخُذَ ثَوَابَ الْإِسْتِغْلَامِ بِغَضَاءِ
اللَّهِ ، وَمَعْلَا يَرِيدَا حُبَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ يَحْرِمَهُ فِي هَذَا الْإِيْلَاءِ مِنَ الثَّوَابِ .
مَازَا يَقُولُ الْإِبْنُ ؟ يَقُولُ لَهُ : ﴿ هُوَ يَحْبِبُنِي أَفْعَلُ مَا تَوْفَّرَ مَسْجِدُهُ لِئِنْ كَرِهَ اللَّهُ مِنْ الشَّكْرِ حِفْظًا
[ههنا : ١٠٠] وَلَمْ يَفْعَلْ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ بِأَبْتِ الْعَمَلِ مَا تَرِيدُ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : الْفُلُ مَا تَوْفَّرَ
حَتَّى يَأْخُذَ الْإِبْنُ ثَوَابَ عِبَرِيَةِ الْعِلْمَةِ ، وَيُضَيِّقُ الْإِيْلَاءُ وَيَقُولُ ابْنُ : ﴿ هَذَا يَلِجُ مَعَهُ الْعَتَمُ ﴾
فَيُجِيبُ : ﴿ وَتَكُونُ أَنْ يَحْبِبُوكَ ﴾ قَدْ سَلَّمَ الرَّبُّ لَهَا كَلِمَةً تُجِيبُ الْحَسْبِيَّةَ ﴿

إِذْ قَالَ ۖ فَعَلِمَ أَهْلُ الْبَيْتِ أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ آلَ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ يَرْفَعُهُمْ أَجْمَعِينَ ۚ إِنَّهُمْ قَوْمُ اللَّهِ وَلَهُ جَنَّةٌ مَّا أُورَثُوا فِيهَا ۖ لَا يُدْخِلُهَا إِلَّا الْمُسْلِمُونَ ۚ

(١) قال ابن كثير في تفسيره [١/ ٢٠-٢١] : فذهب أهل الكتاب وجماعة من أهل العلم إلى أن النبي هو إسحاق ، وحكي ذلك من طائفة من السلف ، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضا ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما نقل ذلك عن علي إلا من أخبار أهل الكتاب وأبعد ذلك شيئا من غير جهة ، ومما كتب الله شامد ويرشد لي أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بسلام حلم في نوح : ﴿ تَبَشِّرْهُ بِأُنثَىٰ سَمِيحًا ﴾ [المافات : ١٠١] ، وذكر أنه النبي في قوله : ﴿ فَتَنَادَىٰ مِنَ الْمَنَىٰ نِسَاءً يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْنَاكَ مَنَاقِبَ نِسَاءِ الْكَاذِبِينَ ﴾ . ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَتَبَشِّرْهُ بِنِسْوَةٍ لَّيْسَ بِكِ تَمَالِكُ الْعَقْلِيَّةُ ﴾ [المافات : ١١٢] .

ويقول ابن القيم في زاد اللامع في حدى غير اللامع: انجزه الأول في فصل حسب الرسول صلى الله عليه وسلم: راسخا في هو الدحيح على التورل المربى عند علماء الصحابة والافاضة ومن

وهكذا يهربنا الحق سبحانه وتعالى من اسرار ملكوت السموات والارض ويرفض نهائياً الأشياء ، وأن كل قضاء لله له حكمة ولو لم نفهمها . فمن أصيب بعمية فما عليه إلا أن يعرض ، وما دامت العمية لا تدخل حركة الإنسان فيها أياً أضرها عليه الله ، فلا بد أن تعلم أنه لا يوجد خالق يفسد ما خلق ، ولا صانع يفسد ما صنع .

إذن .. فلا بد أن تكون هناك حكمة للخالق وإن لم نفهمها ، وعلى ذلك فإن طريق الخلاص من أي نائية من التراب هو بالرضا ، وما دام يوجد رضا حقيقي ينتهي كل شيء ، ولكن الذي يعجزنا أننا عندما نصاب بعمية لا نرضى ، ونفتح باب الجحيم ولو كنا حقيقة نعمل ونفكر لأغلطنا باب الجحيم وفتحنا باب الرضا ، ولكنا قد علمنا أن ما أخذ منا فحقن مومنون بخير منه لو رضينا ، ولذلك يقال : إن المصائب ليس من حدثت له مصيبة راقنا المصائب من حرم التراب ، فتكون النتيجة أننا قدقنا عزيراً نحيه ثم لا تأخذ عليه ثوباً بالجنة ، ولو أنك كنت تحب هذا العزيز الذي قدقته ، لكان لابد أن تأخذ بسبب قدته الجنة ، تلك هي حقيقة القضاء في عالم الملكوت .

○○○

= هَتَّوْ حَتَّارًا حَتَّارًا فَاقْ حَتِّمْ قَوْمَ شَكْرُونَ ﴿١٠٠﴾ تَرَىٰ إِلَىٰ الْيَمِينِ جَنَّةً يَجْزِي سَيِّدُهَا ﴿١٠١﴾ قَرَّتْهُمُ الْيَمِينُ كَذَّابًا ﴿١٠٢﴾ تَأْتِيهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ قَالُوا لَا تَحْنُفُوا وَتَكْشُرُوا بَيْتَكُمْ كَثِيرًا ﴿١٠٣﴾ وَلَوْلَا إِسْحَاقُ بَلَا رَبِّمْ وَلَا هُمْ مِنْ أُمَّرَتِهِ وَهُوَ لِلْغِيَةِ بِهِ ، وَأَمَا إِسْمَاعِيلُ فَمِنْ السَّيِّئَةِ . وَلَيْسَ بِأَيُّهَا تَبْرَاهُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْيَأْسِ مِنَ الرَّبِّ وَهَلَّا بِخِلَافِ إِسْمَاعِيلَ قَاتَهُ وَكَذَّابًا ذَلِكَ .

• وأيضاً فإن الله سبحانه أبقى المادة البشرية أن بكر الأولاد أُسب إلى الولدين عن بعده ، وأمرهم عليه السلام لا سأل به الولد روحه له ، تنقلت شعبة من قلبه بجمته ، والله تعالى قد اتخذ خليلاً ، ولطيفة : نستحب يقتضي توحيد العرب بالحقبة ، وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها فلما أخذ الولد شعبة من قلب الولد ، جهلت غيرة الخلقة تتزعجها من قلب الخليل فأمره بذبح الخبز ، فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم حده من محبة الولد خلعت الخلقة حيفاً من شرب الخمر ، فلم يبق في الذبح مصلحة إذ كانت الشريعة إياها هي في البرء وتزويج النفس به فقد حصل للتعود ، فسبح الأمر وزلزل الذبيح وصدق الخليل الرؤيا وحصل مراد الله . ومعلوم أن هذا الاحتقان والاحتجاز إنما حصل عند أول مولود ولم يكن ليحصل في المولود الأخير دون الأول ، بل لم يحصل عند المولود الأخير من براحة الخليل ما يقتضي الأمر بالبعد ، وهما في غاية الظهور .

وأيضاً فإن سارة امرأة الخليل إمرأته عليه السلام غارت من حاجر وإبها أشد الغيرة ، فأبها كانت جارية ، فلما ولد إسماعيل وأصبح أبوه اشتدت غيرة سارة ، فأمر الله سبحانه أن يمد فيها حاجر وإبها ويسكنها في أرض مكة ليرد عن سارة غيرة الغيرة ، وهذا من رحمته ورأفته ، فكيف بأمره سبحانه يمد هذا أن يذبح لإبها ويذبح لمن الجارية بهالة ؟ هذا مع رحمة الله لها وإيمانه الغرور عنها وجهره لها ، فكيف بأمر يمد هذا يذبح لإبها دون لمن الجارية ؟ بل الحكمة البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية ، فيجعل ورق قلب السيدة على ولدها ويبدل قسوة الغيرة برحمة ، ويظهر لها بركة هذه الجارية وللحما ، وإن الله لا يضيع بيت هذه وإبها منهم ، وروي عنه جبره يمد الكسر ، ولطفه يمد الفتنة ، وإن عاقبة صبر حاجر وإبها على البعد والرحمة والغيرة وتسليم إلى ذبح الولد ، أكت إلى ما أكت إليه من جمل أكرهها ومروءتها أقدمها عنك ليمهه للزوجة ، ويصبلت لهم إلى يوم القيمة ، وهذه من تملئ ليس عريضة رضى من خلقه ، أن ين عليه يمد استغفاره وذكه وتكسره ، قال تعالى : ﴿ تَوَدُّعَ أَنْ يَدْعُوا عَلَىٰ آلِهِمْ لِئَكُونَ لِلدُّنْيَا مِجْرًا ﴾ في الآخرة ويصليكم كريمة ويصليكم الكريمة ﴿ القصص : ٢٠ ﴾ ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . اهد [بصرف بصير] .

بركة البيت .. والحج البرور

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ رُحُوتِ رُحُوتِ لَكَ لِيَكُنْ بِكَ مَبَارَكًا وَلَكُنْ بِكَ مُبَارَكًا ۖ ﴾ [آل عمران : ٩٦] .

البركة أن يعطى الذي تتفاعل معه فوق ما كنت تتصوره . هذه هي البركة .
فمثلا يزرع مزارع قديان قمح ، وقديان التمسح مثلاً عادة يخرج عشرة أرباب . ولكن هذا القديان أعطى أكثر مما هو متوقع منه ؛ وفاق مثيله عند الآخرين . فيقول لك : إن هذا ربنا مبارك له في رزقه .

مبارك له في رزقه يعني : أن رزقه يؤدي أشياء فوق المظنون أن تؤدي به .
لأن هذه البركة لها أسباب متعددة ، فهناك بركة الرضا ، وبركة أنه يمنع المصارف ، وبركة أنه يمنع المصائب عن الإنسان .

فإذا ذهبت إلى هناك إلى بيت الله الحرام ، اعتلت تسلك خشية لربك وتواضعا مع الآخرين ، واستطعت أن تنهم عطائات الله لكل خلق الله .

والأشياء التي كانت تورثك غرورا في حياتك انتهت منك ؛ فإن كان لك طمع في الدنيا لم يبق لك طمع ، وإن كان لك شراعة لم يبق لك شراعة ، فتأني هنا البركة .
وأيضا : فإن الزمن هناك البركة فيه على قدر ما يعطيك من ثواب . كيف ؟ الإنسان في بيته مشاغله وأموره في الحياة آخذة منه كثيرا من حركته . هذا لون من البركة .
اللون الآخر : إن الإنسان الذي ذهب إلى مكان ليس فيه توطئه وليست فيه إمكانياته التي تعود عليها فهو يعيش عيشة غير رتيبة . والبسطة غير الرتيبة تتطلب منه كثيرا من الحزم في تصرف الأمور .

ولذلك نجد الإنسان في بيته ربما ضايق بأن بيت معه واحد في حجرة ، أو بيت معه اثنان ، ولكننا نلاحظ في هذه الأمكنة أن صدور الناس تتسع للناس ؛ إذن فالأماكن ليست هي التي تتسع ، وإنما الصدور هي التي تتسع .

فنجدها أن أناسا جلسوا في مكان : عشرة في حجرة . كيف يقضون حاجتهم في هذه الحجرة ، وكيف يضمنون فيها أمتعتهم ، وكيف يتأمنون ، وكيف يرتاحون . ونجد أن الماء

الحج

٧٨

الذي لا يكتفى إنسانا في رتابة حياته في بلده يكفهم قليل منه ، والطعام كذلك . كل ذلك لون من البركة فيما آتاه الله للإنسان ، وهذا إذا نظرنا إلى البركة في معادها الموقوت بهذا المكان ، ولكنك إذا علمت البركة إلى غيرهما من الأمكنة فإنك ستذهب إنسانا آخر بعد الحج ، إنسان حجه يجب أن يكون مبرورا والحج البرور لا يتم فيه .
إذن .. فقد ضمن أن فترة من الزمن مرت به في عبادة ، لا يتم فيها ولا فجبور ولا فسوق ، تلك هي بركة ، وإلا فالزمان في غيره صالح لأن يكون فيه هذا وأن يكون فيه هذا ، إنما الإنسان في بيت الله يستحي أن يمر عليه خاطر السوء ، ليس أن يفعل خاطر السوء ، فتكون بركة ؛ لأن الزمان الذي يعيش فيه ببارك الله فيه فلم يكن فيه إلا الخير ولم يكن فيه إلا الحسنة ولم يكن فيه إلا أن يفكر في مصالح الناس ولا يكون فيه أن تغتاب أحدا .. كل ذلك لون من البركة .

فإذا ما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة »^(١) ، فهذه بركة واسعة جدا ، بركة امتدت من الدنيا إلى الآخرة .

كذلك إذا رأيت أن الإنسان في الحج البرور تكون حياته بعد الحج خيرا من حياته قبل الحج ، فالأشياء التي كان يتساهل فيها كاللحم مثلاً ربما يمنع نفسه عنها فتكون بركة البيت قد امتدت إلى خارج هذا المكان .

وأيضا فإن الحق سبحانه وتعالى يحب من الإنسان أن يعيش منهجه ، ولا تستطيع أن تلحظ عيشة الإنسان التامة وفق منهج الله إلا في هذا المكان ، فإن الإنسان يكون :
خارجا من وقت الظهور - مثلاً - ويذهب إلى راحته وتتغير أذنه أذان الوقت الذي بعده وعندما يؤذن نجد الكل يهرول في الذهاب للمسجد ، فونفك دائما مشغول بربك ، ليرهن للإنسان أنه ليس المكان الذي يعطيك حرصك على أن تؤدي المنهج كما يريد

(١) روى أحمد في المسند [٢٤٦/٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وقال الأنازوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وأبو يعلى في مسنده [٦٦٦٠٦] والطبراني في المعجم الكبير [١١/١١٢٩/١٤٦/١١] وقال الهيثمي في المجمع [٢٠٠٨/٣] : وفيه يحيى بن صالح الأمل قال العقيلي : روى عنه يحيى بن بكر مناكير . وله شاهد عن حديث جابر بن أحمد ولنا حديث الشيخ الألباني .

الحج

٧٩

كلمة : ﴿ هَاتِيكَ ﴾ جمع آية ، و ﴿ يَتِيْتُكَ ﴾ جمع بيته ، يعني : كل آية بيته :

والجميع : ﴿ هَاتِيكَ يَتِيْتُكَ ﴾ .

لكن بلا حط من الأداء القرآني عندما قال : ﴿ فِيهِ هَاتِيكَ يَتِيْتُكَ ﴾ أراد أن يبينها لنا ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ فِيهِ هَاتِيكَ يَتِيْتُكَ ﴾ وصف مجمل .

ما هي الآيات البينات ؟ لم يجرى القرآن الكريم فيها إلا بتمام إبراھيم عليه السلام : ﴿ فِيهِ هَاتِيكَ يَتِيْتُكَ مَعَكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وآل عمران : ٢٩٧ فقط .

كان الله سبحانه يود أن يلتفت إلى شيء : هذا الشيء أن لا تنظر إلى وحدة الشيء ؛ ﴿ مَعَكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ هو الحجر الذي كان يقوم عليه وهو موضع قواعد البيت .

إذن .. فالآيات البينات تثبت بغيره ، مع أن آيات بينات جمعت ، فالترقيع أن يقول : مقام إبراھيم وكذا وكذا ..

ولكنه قال : ﴿ هَاتِيكَ يَتِيْتُكَ ﴾ ، وقال : ﴿ مَعَكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

بالتالي في هذا إلى أنك لا تنظر إلى وحدة النعمة ، ولكن انظر إلى مكونات هذه النعمة . لم تنظرت إلى مكونات النعمة لوجدت في كل مفرد من النعم قسم ، فالت مثلا إذا نظرت إلى النفاحة على أنها نعمة ، انظر فيها إلى العناصر التي سمطت ، سمطت الرابحة ، سمطت المسفور ، سمطت الصدودوم ، أشياء كثيرة ما يكون منها جسدك .

إذن .. فالخلق سبحانه وتعالى حينما يذكر نعمة من النعم يقول ، إياك أن تنعم على أنها نعمة واحدة ، ولكن وفق النظر وحققه تجد في طي هذه النعمة الواحدة نعمة كثيرة . ولذلك تجد الحق تعالى يقول : ﴿ وَكَانَ مَعَكُمْ إِسْمَاعِيلُ عَبْدٌ نَذِيًّا ﴾ [النحل : ١١٨] ولعمد يقتضي تكرار واحدة ؛ تعد الشيء يعني واحدة مكررة ، فكانت بقياسنا نحن البشر نقول : وإن تعدوا نعم الله .

ولكن قال سبحانه : ﴿ مَعَكُمْ إِسْمَاعِيلُ عَبْدٌ نَذِيًّا ﴾ كيف تعد نعمة واحدة ؟ والله : كما قلنا تكرار واحدة تحسب : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ إلخ .

ومر سبحانه وتعالى لم يقل : و نعم الله ، حتى تكون أشياء مكررة بل قال :

﴿ يَسْمَعُ الْكَلِمَ الْغَنِيَّةَ ﴾ فلا تنظر إلى نعمة الله على أنها واحدة ؛ ولكن انظر إلى ما في طيها من النعم .

الله ، ولكن اشتغالك الدائم بربك وحرمك على تأدية ما افترضه عليك هو الذي يملك ، ولذلك يقول بعض لعالمين : إذا أكرمت نفسك خارج البيت بما تلزم به نفسك وأنت في البيت ترى من الخير هناك ما رأيته هنا .

إذن .. فالمسألة مسألة الإزام ؛ لأن الإنسان في بيت الله يستحي أن يفكر في معصية ، يستحي أن يجز عليه الوقت ولا يصلي ، يستحي أن لا يصلي إلا في جماعة وفي المسجد فبات إنسان في لندن وبعد ذلك قاعد متربح الأذان وعندما يسبح الأذان يجري ويهرول إلى المسجد ويؤدي الصلاة ، ولا يشغل نفسه إلا بطاعة الله ، فإنه أيضا يرى الخير .

فإذا ما كان الإنسان قد أخذ قربة على الخير في أن يعيش مسبح الله دائما ربنا لربنه هذه المادة إن عاد إلى بلده ؛ لأنه بعد ما أدرك الخلاوة التي أدركها هنا يحارل جامعا أن يطبقها في بلده ، فيكون هذا لونا من البركة .

وقوله تعالى : ﴿ وَهَلْ كَانَ لِقَائِكَ فِي الْأَنْفُسِ ﴾ وآل عمران : ٢١٦ . المالمين جميع عالم ، والمالم : ما سوى الله ، وما سوى الله : أجناس متعددة ، هذه الأجناس المتعددة منها ما هو غير مكلف لأنه مطبوع على الخير ومطبوع على إطاعة الأمر فهم : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ ﴾

أمرهم ويقتلون ما يؤمرهم به [النجم : ٢٢] وهم الجهاد ، والميثاق ، واللاذكية ، أي : كل شيء ما عدا الإنسان والجان .

النوم الذين يذهبون إلى المسح تختلف أجناسهم ، وتختلف ألسنتهم ، وتختلف ألوانهم . فإذا ما التقى هؤلاء جميعا ووجدوا أن جامع ألسنتهم شيد واحد : و ليك اللهم ليبيك ، هتاف واحد ، وقيل واحد هو : طواف ، هو سمي ، هو كذا هو كذا هو ربي جمل ، هو وقوف بركة ، لربط الناس جميعا برباط واحد ، يتطلب على فوارق ألسنتهم ، وفوارق ألسنتهم ، وفوارق حضراتهم ، وشهد المسلم أنه لم يعد مؤمنا وحده بعنسه ولا بفرقه ، بل هناك أجناس متعددة شيد ربنا سبحانه وتعالى ، أجناس تؤمن بمن آمن به ، أجناس متعددة بعضهم الخير ، كل ملا يكون للمالمين .

وهنا يكون : ﴿ وَهَلْ كَانَ لِقَائِكَ فِي الْأَنْفُسِ ﴾ وآل عمران : ٢١٧ :

وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فِيهِ هَاتِيكَ يَتِيْتُكَ ﴾ وآل عمران : ٢٩٧ :

كلها ، ولكن خلا فيه خصلة ومثلا فيه خصلة .. ، جعل المير موزعة ، أما إبراهيم عليه السلام فكان أمة في الخير ، يعني : فيه هذه الخصلة ، وهذه الخصلة ، وهذه الخصلة ، يعني : جميع فيه من الخير ما يجمع في أمة .

وَأُورِدَ اللَّهُ سِجَّانَهُ وَمَتَّى أَنْ يَمْلِكُنَا لَمَّا جَعَلَهُ : **﴿ هُوَ أَنَّهُ ﴾** ولماذا جعله : **﴿ إِنَّمَا ﴾** فقال سبحانه ومتى في أمة أخرى : **﴿ هُوَ كَرَاهٍ أَنْ يَكُنَّ إِتْرَافُ وَيَكُنَّ قَاتِلُهُ قَالَتْ إِي جَابِلَاتٍ لِلنَّاسِ إِنَّمَا ﴾** والنبوة : ٢١٢٤ .

قوله : **﴿ قَاتِلُهُ ﴾** يعني : أدى ما أمره الله به على أحسن ما يكون من وجهه الكامل . و ده مقام ه بضم النيم - يعني : مكان إقامة ، و ده مقام ه بفتح النيم - يعني : مكان قيام .

فأدى يرفع التواعد لا يرفها وهو قاعد ، بل يقوم حتى يمتلى ويطلب الله من إبراهيم عليه السلام أن يرفع قواعد البيت ، والله لا يكلف نفسا إلا ما في استطاعتها **﴿ لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا جَاءَهَا ﴾** والملاقى : ٢٧ **﴿ هُوَ لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَاسِعَهَا ﴾** والنبوة : ٢١٦١ .

إذن .. فانكليف على قدر ما أتى من الأسباب وعلى قدر الوسع ، فحين يطلب الله تعالى من إبراهيم عليه السلام أن يرفع التواعد هو واسعا على السلام ، كان يمكنه في أداء التكليف أن إبراهيم يرفع البيت على أقصى ما تقدر به ، ويكون قد أدى ما أمره الله تعالى به .

لكن إبراهيم عليه السلام لم يكف بهذا ، وإنما أراد أن يرفع التواعد إلى أعلى مما فصل إليه به ، فمثلا عمل ؟

بالطبع لم يكن يوجد كما فعل الآن مثالات ، فأتى بهما الحجر وقوله في هذا المكان ووقف عليه ، واسعا على بنائه وهو يبنى ويرفع البناء .

فإذا قست ارتفاع الحجر يكون هو الارتفاع الراكذ في ارتفاع البيت ؛ لأنه وقف على هذا الحجر .

فإبراهيم عليه السلام أراد أن يؤدي ما أمره الله تعالى به في رفع قواعد البيت ليس كما يستطيعه بلدته ، بل بالحيلة ، والاحتيال ، فأتى بالحجر ووضعه في هذا المكان ليملئ البناء ، ثم قلله في جانب آخر ثم صمد عليه كذلك ليملى البناء ، وهكذا .

وطبها من النسم هو ما كلفه لنا العلم الحديث من تحليل الشيء الواحد إلى العناصر التي يتكون منها .

ومثلا ما وقف عليه علم الخلق في تكويره ، ومن يدري أن كل عنصر من هذه العناصر بعد ذلك سيكون فيه عناصر جنة متعددة ، فإن ارتقت آليات الأشياء في ضبط القليس واللازئين فستخرج لنا أشياء كثيرة إن شاء الله تعالى .

إذن .. قول الحق : **﴿ هُوَ يَدِيرُ كَيْفَ يَشَاءُ مَقَامُ إِرْهَافٍ ﴾** وآل عمران : ٢١٧ هي مفردة وهو شيء واحد ، وهو حجر قام عليه إبراهيم ؛ ولكن لو تفهمته فستجد آيات وافيحات في هذا الواحد .. كيف ؟

الحق سبحانه وتعالى حين يكلف عبده بتكليف : يطلب منه أن يؤدي التكليف على أتم وجهه وأكمل ، لا أن يؤديه كما تقول في حياتنا : و كماله عدد ه ، ولا أن يؤديه كما تقول فقط : و إراء للذمة ه .

ولذلك فإن الناس من أهل الحكمة يقولون : إن أردت أن تعمل لغيرك عملاً فقدر هذا العمل بعمل لك ، وكما تحب أن يعمل لك فاعمل أنت أيضاً له .

فإن أنت أعتت ما يذك لك لغير الله الغير أن يتقن ما يده لك .
إذن .. فالحق سبحانه وتعالى يريد من كل مكلف بعمل أن يتقنه .

ولذلك نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام وضع القيمة المحلية في الكون ، في قوله : **﴿ وَ إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتِمَّهُ ﴾** (١) .

فما دام سيتقن عمله فالله سبحانه وتعالى سيطلبهم الغير أن يتقن له .

إذن .. **﴿ هُوَ يَدِيرُ كَيْفَ يَشَاءُ مَقَامُ إِرْهَافٍ ﴾** وآل عمران : ٢١٧ : إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال الله سبحانه وتعالى عنه في القرآن العظيم : **﴿ هُوَ إِنْ يَرِئَهُمْ كَانَتْ أَتَمَّة ﴾** والحمل : ١١٠ وقوله سبحانه : **﴿ هُوَ أَنَّهُ ﴾** لأن جعل الحجر لم يستل عليها أحد

(١) رواه أبو يعلى في المسند [٢٢٨٦١] وقال محققه : إسناده لين ، والطريق في المصحح الأوسط [٨١٧] من عائشة رضي الله تعالى عنها .

أميجرا أيام الله لاصفة ، ودخل ابن فرسط ، وأخذ يتنقل في المرحومين ، وأصبحوا في
أيام أنورت .. ولم يزمينا ، مع أن ربنا سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَنَسِيتُ كَذِبُكَ كَذِبًا ﴾ .
فبقول لهم : أتم أصدقوا ما على أنها قضية كريمة ، يعني : أن الله حكيم بأن من
يدخله لا بد أن يكون آتيا لا ؛ بل هي قضية شرعية ، ﴿ وَنَسِيتُ كَذِبُكَ كَذِبًا ﴾
يعني : من دخله فليور . يعني : أمر تكليفي ، وما دام أمرا تكليفا فيكون غرضه أن يطاع
وغرضه أن يعصى ، فلهذا أطاع نبي من دخله ، ومن عصى لم يؤمن من دخله .
فإذا ما حدث في الكعبة شيء يملك أن تقول إن ذلك يناقض القضية ، لأنك لا تعتبرها
قضية كريمة ، ولكنها قضية تشريعية .

فيجب أن ننقل إلى أن قول الله : ﴿ وَنَسُوا مَا بَيْنَهُمْ ﴾ قضية شرعية ، مطلوب من أن تؤمن من دخله ، فإن كنت مسلماً ومصلحاً لوجهك فأياك أن تهج إنسانا دخلا . ولكن إن أمأجه فيكون ملأ اللعنة الأخرى التي لا ينهمها بعض الناس على رجمها الصحيح ، وهي قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ لَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] فنقول : نحن نرى رجلاً طلياً يتزوج امرأة خبيثة ، ونرى رجلاً خيلاً يتزوج امرأة طيبة ، وهذا مناقض لقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا حَقَّ عَلَيْهِ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

نقول : إن هذه ليست قضية كنية ، وإنما ليس محاماً أن لا بد أن لا يتزوج الطبيب إلا الطبيّة ، وأنّه لا يتزوج إلا طبيّة . بالطبع لا .. فهى قضية شرعية ، يعنى احترازاً - أو زوراً - للطبيب للصبيات وزوجوا الميتين للخيفات ؛ ليضمن فى الأسرة التكافؤ فلا يوجد فى الأسرة أحد يرمو به على الآخر .

إذن .. تعزية الطيبين للحيات والطيبين للحيوات فنية ليست كونه بمعنى أدق لا ترى إلا حيا مع ضية ولا حيا إلا مع خيضة . بل هي كما قلنا فنية شرعية ، إن أحسن استعمال منبج الله ، وأطمان الله تعالى فيما أمر ، فإذا ما جاء إلينا الطيب نزرجه الطيبة ، أما بحيث فلا نزرجه الطيبة أبدا .

ولا بد أن يكون الحجر في طائفة اثنين ، يحمله هو وإسماعيل .
فلما لاحظنا الحجر ، وجدنا أن به قمتين ، الأولى قالوا : إنه لا كان يقوم على الحجر
فمكان التدينين عُلم عليه وهما كلام يقال ليس له دليل !!
إما عندما يبحث القمل هذه المسألة يجد أن إسماعيل يساعد أباه ، وأبوه حمل الحجر
ورضه هنا ليُلبى الكعبة على قدر قيمة الحجر والأقرب إلى المعنى أن إبراهيم أحال
لنفسه في أنه عمل لنفسه مكاناً . لكل قدم مكان ، حتى إذا أخذ الحجر ووقف عليه ،
تتمكن قدمه من المكان الذي أعده لها ، فلا يبل الحجر .

إذن احتمال كم احتمال ٢
احتمال أولي أن أن يزيد في علو البيت فقيمة الجبر ، واحتمال لنفسه حتى لا يتخلل
حركه بأن عمل لنفسه هذين المكانين .

فهذه آيات نزلنا على أن كى تكليف من الله للخلق يجب أن يورى بحكماله ورحمته ؛ لأن كل إنسان لو أدى ما كلف به بحكماله ورحمته أُناس نعمة فى الوجود ، هذه النعمة : كل ما يورى الإنسان شي جيد متيقن يقول : الله . الله ، يورى هذه يقول : الله ، ويرى هذه يقول : الله .

قَالَ لَا يَنْفَعُ عَمَلَهُ بِكَوْنٍ قَدْ رَجَعَ الرَّجُودُ مِنْ تَطْلُقِ فُطْرَى عَلَى أَنَّ كُلَّ جِمْالٍ تَرَاهُ
 عَيْنَكَ لَا يَتَقَبَّحُ عَلَيْهِ إِلَّا بِكَلِمَةٍ : وَاللَّهُ هُ ، فَكَانَ اللَّهُ هُوَ مَصْدَرُ الْجِمْالِ ، وَهُوَ مَقْتَبِمْ
 الْجِمْالِ ، وَهُوَ شُكْلُهُمُ الْجِمْالِ .

تلك مسألة ظهرت في بناء الكعبة ليس فقط لتظهر في بناء الكعبة ، بل لتكون أسوة ، أسوة لكل واحد يكلمه الله تلييناً أن يحول أن يؤدي التكليف لا يقدر الاستطاعة اللبائية فقط ولكن يقدر الاستطاعة والجدية للربادة من جنس التكليف الذي أمر الله تعالى به . وقوله تعالى : ﴿ وَرَمَى دَكَّانًا كَذِبًا ﴾ (١٧) ، لماذا لا نعتبرها أيضاً داحلة في الآيات التي جاءت في مقام إبراهيم ؟ وهذا قضية شرعية :

حتى الآيات التي جاءت في مقام إبراهيم ؟ وما قضية شرعية :

الذي يحدث فيه ليس عند بعض المفكرين - أو بعض المسككين ، أو بعض الذين يحدون في دين الله - يقولون : من دخله كان آتيا ؛ وقد دخله أناس فلم يؤمروا .

فالتدبير يؤمن هي الهيئة التي يكون لها من القوة ما تستطيع بهذه القوة ان تدعى حتى كل مشاعير يريد ان يكره هذا المكان ، فليست قضية فردية لي ولك أنت ، بل هي قضية لأناس مضاعفين بها ، وهذا يتطلب ان يكون الأمر الكيفية أناس يتفكرون موقف المراقب ، كل من يجلس بأمن هذه البلاد لا بد ان تتفكر في طريقه ويؤمن البلاد .

فالتدبير يحذرون ان يجعلوا التأمين قريبا فتقول لهم : هذا في الحكم الفردى للتدبير ، لكن في الحكم الجماعى لا بد ان يكون له روع جماعى ، هذا الروع الجماعى ان تكون المسألة في يد جماعة أو هيئة تستطيع بما أوتيت من قوة ان تتفكر أمام كل من يكره أمن هذه البلاد .

قد يحدث من بعض الحجاج أنهم يريدون أن يخرجوا منهم ، أو أن يشعروا قوضي ، أو أن يشعروا نكسة ، أو أن يشعروا بوجود ، أو أن يفرضوا نفوسهم فوق مستويات القسم ؛ يقول لهم : لا بد أن يعزب على أديكم حتى يأمن من في الحرم على نفسه .

○ ○ ○

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى قد طلب منا في الحج أنه لا جدال والجدال : أريته
المرء ، وهو باللسان ، لم يمتد إلى الجوارح ، لكن أمره يعني : لا تعتدوا أي :
بحواركم لإيادته .

ولذلك قالوا : إذا لقيت من قتل لك خيلاً ، رأت ربه هناك فإياك أن تقول هذا كذا
ومثل به ، بل ضيق عليه حتى يخرج ، فإن خرج حل لك ذلك ، حتى تنفذ قوله
نصلي : ﴿ وَرَمَنَ دَمْعُهُ كَأَنَّهُ دَابِئٌ ﴾ .

إذن .. فهذه القضية يجب أن ننمينا جنباً وأن يكون حرصنا عليها الآن أكثر من ذي قبل لأن الرحام الآن شديد، والرحمان في النفوس قد تأثر بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي تنمينا الأمة الآن ، ولما إلى جانب أن الناس الذين جاءوا من أقصى الأرض مختلفي الأوجه ، مختلفي الأنس مختلفي الأوران ، مختلفي اللغات ، كل واحد له طبع ، فلو لم يكن كل واحد منا في الجانب لكانت المسألة فوضى ، ولأنهم بعضنا البعض ، فمن أجل ذلك جاء النبي : يابك أن تجادل أو تفعل أي شيء في الحج لأن كل إنسان يعيش في هذا المكان على غير رتبة حياته ، وما دام يعيش على غير رتبة حياته فيجب أن نسمي أنت وقت ضيق ، وأنا أسمع وقت ضيقك ، حتى تسمع الأمور . ولذلك نجد أن ملا الحج إما أن يورث خيراً وإما أن يورث عداوة . فالذين لا يمسكون بهماً : هو فلا ريب ولا شريك ولا يحدك في الحج في البرية : ١١٧ : ١١٧ ويطولون لأنهم الممان ، لا يفتقون مع أحد ، ويتبرون الآخرين ، حتى أنهم يكرهون بعض ، ويكون عداوة لا نهاية لها ، أما الذين يطمعون معا تطامعا ، ويعيشون في ظلال الطاعة فيظنون أحباباً طول العمر ، لأنهم زعموا تقسم في أيام الضيق وأيام تحكم الإقامة في مكان لم يتادروا فيه الإقامة ، فوذا كان ملا هو العليوب ، فلا بد أن نحافظ على أمن من في الحرم ونؤرق من دخله

وعلى هذا فلا بد أن يكون هناك أناس مأمورون بأن يقوموا كل من دخله احتلال القوم
البلد سبحانه : **فَرَوْقَ وَنَحْنُ كَانُ كَانِيَةً إِلَى** : ومن دخل البيت فانسوه . والغالب
بـ : **وَأَمْرُهُ** لا بد أن تكون جماعة يخطب فيها أن تكون لها القوة أن تؤمن من دخله ،
فلا يكون غمكاً مؤثراً .

إذن .. قول السيدة هاجر عليها السلام : « إذن لن يعطينا الله ، قضية إيمانية عديدة صدقت فيها ، فلو أنها وجدت الماء عند الصفا أو وجدت الماء في إبلاتها من البروة ، لما اكتملت القضية .

لهذا نحن نكرر هذا المشهد استحضاراً بما يجب أن يكون عليه المؤمن إيماناً بالله الذي خلق الأسباب ، فإن استندت الأسباب ولم يشأ الله ، فلا تخلص لأن المسبب سبحانه موجود استأنه فهو وحده القادر على أن يعطي بدون أسباب .

ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ لَمْ يَكُنِ خَيْبٌ الْمُتَعَمِّلُ إِذَا كَفَّ وَهُوَ الَّذِي اسْتَعْدَّ كُلَّ الْأَسْبَابِ وَتَوَلَّى يَقُولُ : لَمْ أَكُنْ خَيْبٌ الْمُتَعَمِّلُ إِذَا كَفَّ وَهُوَ الَّذِي اسْتَعْدَّ كُلَّ الْأَسْبَابِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْمَسِيبُ سَبْحَانَهُ ، فَيُفْتَحُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ : يَا رَبِّ الْأَسْبَابُ الَّتِي أَصْنَيْتُهَا لِي عَمِلَتْ بِهَا كُلُّهَا وَلَمْ تَأْتِ ، فَأَنْتَ سَبْحَانَكَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ تَمُطِّي بِلا سَبَبٍ .

وهذا هو الرصيد الذي يأوي إليه المؤمن حينما تنزع عليه الأسباب . وهذا هو الذي يجعل المؤمن يعسر ، لأنه آوى إلى ركن شديد .

ولذلك الكافر عندما تفقث به الأسباب لا يجد بدا إلا أن يتحضر ، لماذا يتحضر مع أن الحياة غالية جداً ؟ مع أن الكافر ليس له إلا الحياة الدنيا لأنه ليس مؤمناً بالآخرة ولا بالمساب ! فما الذي يبور عليه أن يترك الحياة وليس له غيرها ؟

إذن .. لابد أن تكون هناك أشياء فوق أسبابه . وهذا فرق المؤمن من الكافر ، الكافر حين تفقث به أسبابه يأس ، لكن المؤمن لا يأس من روح الله ، بل يقول : الأسباب لم تأت ولكن المسبب سبحانه موجود .

إذن .. ملحقية هذا السعي ، كل واحد يذهب ليستكمل أركان دينه بالركن الأخير الذي هو الملحق لابد أن يعود بهلكه القضية ، وهو يؤذيها إحياء لسلك السيدة هاجر أم إسماعيل عليها السلام ، وليس فقط إحياء لسلك أم إسماعيل ، بل ترتيب لقضية الأسباب والمسببات حتى يستقبل المؤمن كل أحداث الحياة بقوة ، ولا يأس ويقول : الأسباب صحيح لم تأت لي بما أطلبه وأرجوه ، لكن رب الأسباب وحالها موجود .

الملح ٩٥

بالمرأة وإبناها الرضيع وبركهم في مكان ليس به ماء ، وهذا هو المقوم الأول ، الهواء فقط هو الذي عندهم ، وتبقى إليها كتب التاريخ أنها قالت له : آله أنزلك هذا النزل ١٢ لأنها ليست متصورة أن إبراهيم يركبها هي ووليدها في هذا المكان ، وتعلم أن إبراهيم لن يعسر عن هوى ، ولا يعسر إلا عن حكم من آله ، فقالت له : آله الذي أنزلك هذا النزل أم أنت الذي أنزلنا به ؟ فقال لها : آله الذي أنزلني ، فزوت نفسها إلى قضية إيمانية ، فقالت : ما دام آله الذي قال فلن يسلمنا ولن يعطينا ^(١) .

فهذه هي القضية الإيمانية الأولى التي يجب أن يوزب الحاج فيها من هذا المكان وهي في ذاته : ما دام استندت أسبابك ، فالله المسبب هو المتصرف . فمادام الله هو الذي أنزلني في هذا المكان ، فلن يعطيني .

بالطبع عندما يعطى رضيعها وزيد أن نسقي ، فماذا نفع ؟ لابد وأن تخلت حولها بحثاً عن عين ماء ، أو عليها ترى شجرة ، أو ترى أناساً معهم ماء ، فكان لابد أن تخرج من الروابي إلى ربوة عالية ليكشف لها المكان .

فذهبت على ربوة الصفا فتطرت ظلم نجد لا شجرة ولا رأيت أحداً ، ولا رأيت طيراً طاراً ليهدي ببطريقه إلى الماء ، ثم رجعت فذهبت إلى الربوة الأخرى ، ربوة البروة فلم تجد شيئاً ، ثم قالت : أرجع مرة أخرى لئلا أجد ركناً سائراً ، بين الصفا والبروة لطلب الماء ، فلم تجد شيئاً .

إذن .. هي استندت كل أسبابها ، امرأة تفقث هذه الأشرطة السبعة ، وتعتمد ربوة الصفا وربوة البروة ، ولما غاية ما يمكن أن يكون لها من قوة ، ففكرت قد عملت كل جهدها وطاقاتها .

وبعد ذلك ذهبت إلى وليدها ولم تأت له بشيء ، فولدتها التي تريد هي إحضار الماء له ، ضرب الأرض مرجله فخرج الماء ١١

إذا كنت يا صاحبة الأسباب سميت وذبحت ورجت وسمدت الجبال ، ولم تحصل على شيء ، والوليد الذي ليس له حول ولا قوة يحرك رجله كما يلعب الرضيع فنتج الماء من تحت قدميه ١١

(١) سبق تخريجه .

الملح ٩٤

الموقف بعرفة

نإذا ما تجاوزنا ذلك وترضنا للركن الثاني من الحج ، وهو الموقف بعرفة ، فنجد الحق سبحانه وتعالى يريد أن يعرف الناس جميعا أقدارهم مع بعض ، كل فوج من الأفواج حتى من البلد الواحد ، صحيح نحن مسافرون في فوج واحد ، ولا بين إحراما ، وأقدارنا انتهت ، وبرزنا انتهت ، وجبت انتهت ، وكلنا على صورة واحدة ، إنا بعد أن تزدى ونظوف ، نخلف ملائسا ، وكل واحد يعود إلى هيئته وإلى بزيه .

إذن .. فيمد أن كنا متحدثين ابتلائنا في الاختلاف ، ثم إن هذا يمكن في فندق خمس نجوم ، وهذا في فندق أربع نجوم ، وهذا في فندق ثلاث نجوم ، وهذا بلبيس القميص الذي صفته كذا وكذا وهذا كذا كذا . أيضا ابتدأت أقدارنا مرة أخرى تظهر . فكان لابد من مشهد عام ، هذا المشهد العام الكل يرى نفسه فيه ، كل الناس ، سواء من البلد الواحد أو من كل البلاد ، تخفى كل الأفواج لابسين لباسا واحدا ، وعلى صورة واحدة ، متجهين إلى عرفة .

وهذا اسمه : مشهدية الاستطراق العام . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الحج عرفة » لماذا ؟

لأن الاستطراق في البداية قد يكون جزئيا ، إنا هنا استطراق كلى ، استطراق عالمي ، بحيث لا ترى الكل هكلنا تجدهم بشكل واحد .

على صعيد « عرفة » يشعرون بأنهم سواء في العبودية وسواء في كذا وكذا ، ولسان حالهم يقول : عرفنا أقدارنا ، رجينا إلى مساحة تركنا فيها كبرياء حياتنا وحرورنا بأسيابها ومسيباتها ، ورفضنا جميعا أمام بعضها ، لأنه قد يوجد واحد من الناس عظيم في بلد ويتبع إلى الله بينه وبين ربه لا أحد يراه ، وآخر يتبع إلى الله أمام الناس كلها ، هنا في الحج ترى العظيم بهول الذي ليس بمصاحب جده ، الاثنان يمكنان ، والاثنان يوقمان أبديهما إلى الله تعالى مثل كل الحجيج طالين المنفرة والرحمة والرضوان من الله سبحانه تعالى .

وأيضا فالحق سبحانه وتعالى يريد أن لا يكفينا إلى تواركل ، فمن الناس من يقول مادام الله هو الذي يفعل كل شيء فلم العمل منا ؟ فنقول : لا ، لا تترك يد الله مدودة لك بالأسباب وتطلب منه مباشرة ، عليك قبل ذلك أن تأخذ بالأسباب ، فإن استندت بالأسباب فاذهب إلى المسبب ، أما أن تقول بأرب وأنت لا تأخذ بالأسباب فهذا مخالف لسنة الله في قضاء حوائج الناس ، فذلك التواركون هم الذين يصنعون ذلك .

إذن .. قضية الإيمان في ذاتها أن الإنسان في هذا الوجود بين أمرين : بين أسباب لابد أن يأخذ بها ، وبين مسبب يجب أن لا يأخذ ، فالبوارح تعمل ولكن القلوب تتوكل .

○○○

حاج لا يتقيد بهذا القيد ، فإذا ما مر من منطقة الميقات الذي يفضل بينه وبين المنطقة الحرة الاختيارية ليذهب إلى حدود الحرم وجد منطقة أخرى تحمكه وتحكم غيره حتى ممن لم يكن حاجاً ، وتلك هي منطقة الحرم ، فإذا ما تجاوز منطقة الحرم ذهب إلى المركز ؛ وهو البيت ، ومعى الكعبة ، ثم يؤدي النسك المطلوب منه طَوَافاً وسُعْيًا ، وبعد ذلك ينتقل إلى منطقة أخرى خارج نطاق التكليف العام للناس جميعاً ، وهي منطقة الحل الثانية : فكان رَمَةَ الْحَاجِّ تَحْصُرُ بَيْنَ حَلَيْنِ :

الحل الأول : هو رِيشَةُ الْإِنْسَانِ قَبْلَ الْمِيَقَاتِ .

الحل الثاني : هو ما يخرج إليه الإنسان بعد أن يؤدي نسك الطواف والسعي ويخرج من مكة إلى عرفة .

الأمر العصب أن منطقة الاختيار الأولى فيها تلقى التكليفات من الله تعالى له ومن معه جميعاً ، فإذا أراد أن يحج أدخل نفسه في تكليف آخر خاص به ، وإن كان لا يندى .

إذا رَسْنَا مَنَاطِقَ النَّاسِكِ كُلِّهَا وَصَنَعْنَا دَوَائِرَ ، وَجَدْنَا الدَّائِرَةَ الْأَوْسَعَ هِيَ مَنَاطِقَةُ الْإِخْتِيَارِ أُخْرَى لِلنَّاسِ جَمِيعًا ، ثُمَّ حُدِدَ الشَّارِعُ دَائِرَةً بَعْدَ الْأَوْسَعِ تَسْمَى : دَائِرَةُ رَاسِمَةِ ، وَهِيَ مَنَاطِقَةُ الْمِيَقَاتِ .

ومن العجيب أن منطقة الميقات لم يحددها « برجل » ، « حنمى » ، بمعنى أنه يعطى سن الرجل في الكعبة ، ثم يمر بحيط يحمله ميقاتاً ، فتجد المواقيت أقطاراً بالنسبة لمركز البيت أقطار مختلفة .

ومن العجيب أنك تجد قطر الميقات للحجاز الذي فيها البيت هي أطول أنصاف أقطار المواقيت ؛ لأن الحرم لمن بداخل الحجاز في المدينة مثلاً من أول الحديبية ؛ فإذا قست من أول الحديبية إلى الحرم وجدتها أربع مائة وخمسون كيلو متراً ، نصف قطر الميقات من أمار على ومن ذى الحليفة أربع مائة وخمسون كيلو متراً ، فإذا ما ذهبت فوجدت ميقاتاً آخر ، ووجدت ميقات رابع مثلاً : مائتي كيلو وأربعة وتسعون كيلو متراً ، قرن المنازل للحج : أربعة وتسعون كيلو متراً ، بللم : أربعة وخمسون كيلو متراً .

يشهد الكل ذل الكل ، وعلى هذا قلن برفع أحد رأسه على أحد : لأنك أنت بامن أكثر جاهاً رأيت الأقل ذليلاً عاشعاً خاضعاً لله تعالى مثلك مثله ، قلر أنك رئيس هنا عال ومنطرس وكذا وكذا ، ثم بعد ذلك ذهبت فوجدت معه ، ورأيت وهو بلس إحرامه وهو يمشى إلى الله ويضرع وكذا وكذا فهنا يزيدك تواضعاً وتسامحاً ، ونفس الموقف للأقل جاهاً حين يرى صاحب الجاه أو الرئيس له في عسله ذليلاً عاشعاً خاضعاً لله تعالى مثله ، فهذا يشفى نفسه بأنه آه في موقف ذلة ، في موقف خضوع ، وهذا يشفى نفسه من تعاليه . فهو أنك أنك رأيت ، فذاك يجعله يستحق فيسا بعد ؛ ولذلك يكون الحج للبرور للإنسان بعد الحج غيره قبل الحج ؛ لأن الذى شهد لى خضوعاً وشهد لى ذلة وشهد لى انكساراً وشهد لى أدبا ، ليس من السهل أن أنمالي عليه .

وعرفه كما نعلم فى موقع الناسك ليست فى داخل الحرم ؛ وإنما هى من خارج الحرم لذلك قد وقف المقل فيها وقفة طويلة ، أوقفه الله تعالى عند سر ليطل التلقى من الغيب تلقى غير خاضع لميكانيكية التشريع ، ولكنه خاضع لطلاقة اختيار الشارع ، فإذا كان الحج يمر بمراحل متعددة لأنه يبدأ أولاً من منطقة اختيار حر فى ريشة الإنسان ، اختيار حر يعيش فيه على منطق التكليف العام الذى يشمله ويشمل الناس المحيطين به جميعاً ، ثم هو يخرج بعد ذلك من منطقة الاختيار الحر الذى يشترك كل الناس معه فيه إيماناً بالله ورسوله وإقامة للصلاة وإتاء الزكاة وصوم رمضان ، فبأنى الحج ليخرجه من منطقة الاختيار العامة إلى تقيد خاص له هو ، فينقله إلى شىء ، يسميه التشريع : « الميقات » .

ثم يمر من الميقات بعد ذلك إلى حدود الحرم ليضبط تصرفه ، لا كحاج وحده ، وإنما يضبط تصرفه مع تصرف الآخرين فى الحرم ، فإذا ما نظرنا إلى المواقيت وجدنا أن الإنسان الذى وجد فى منطقة الاختيار الأول ثم فكر فى أن يحج أدخل نفسه فى منطقة التكليف الخاص به ، فلا يتجاوز مكاناً من الأماكن حددها الشارع إلا وهو محرم ؛ ومعنى محرم أنه نصب كل شىء : من غرور جامه وغرور سيئاته وغرور اختياراته إلى شىء آخر ، ولكنه شىء يلزمه هو كحاج ، وإنما الذى يوجد بعد الميقات وإن كان غير

كذلك النفوس الإنسانية ، حين تلقى فيها استطراق صبرى ، وكلما عيد لله ولا أحد فيها أكبر من الثانى ، وكل المعطيات الموجودة عطائيات تخدم بعضها ، ليس لى أنا عطائى خاص حتى أنما لى به ، بل إن كان لك ملكة أو موهبة من المراميب وغيرك ليس فيه هذه الموهبة ، فيجب أن تقدر أن موهبتك متعددة له ، وإن كان هو ليست له مراميب فأنت تحزن ، لأنه لو كانت له مراميب فى صناعته أو فى عمله لعمدت إليك .

إذن .. فإنا كنت أنت صاحب مراميب فاعرف أنها فى خدمة الغير ، وغيرك إذا لم يكن له مراميب ، فلى ثلث لك خدمته ، فكذلك أنت الخامس .

إذن .. فمن خيرك ومصلحتك أن تكون كالناس جميعا ، وأن يكون الناس جميعا ملك ، حينئذ يكونون أعلا لتلقى فيوضات الخير . ففى يوم عرفة الكل يكون واقفا ، ضاحيا ، النسمى دانية من الرؤوس ، البحر جار ، أو السماء قطر ، والناس كلها واقفة ، كلهم خاضعون أذلاء ، لا يوجد تمايل ، فيكون هذا الموقف أعلا لتقبل الرحمة .

فتمتلك والله التل الأعلى : هب أنك رب أسرة ، وهذه الأسرة كلما دخلت عليها وجدهتهم ضاحكين لا يحزن متكلمين بكلام الخير ، فإن كنت قد أحضرت ملك شيئا فى جيتك تعطيلها لهم وتضطهم بها .

وإن دخلت فوجدتهم فى حزن وهم غم ، هذا ينتمى هذا ، وهذا كلما ، فإن تفلسك تنقضى ولا تعطيلهم شيئا عما منك .

إذن .. فتجلى الله بالغمرة على أهل الموقف فى عرفة إما نشأ من وجود هذا الاستطراق ، وعدم وجود طيبان ، وعدم وجود استعلاء .

فإن أردنا أن يدر لنا هذا المعطاء من السماء ، فلنكن خارج عرفة حلقا فى عرفة . وإذا كان الحج يجب ما قبله ، بمعنى أنك قد أخذت مغفرة من الماضى ، فاحلر جيتا أن تستقبل زمك الأتى بالرضا ، لأنك لست ضامنا فى جيتك أن تعود لصحح لنفسك مرة ثانية ، فانتم هذه الفرصة ، ودع الحج يحسبك هذه المسحة .

وذلك يكون الشيطان مغناطيا ، وحتى تذبذبه : أكثر من الطاعة والرف والصديقة ، واجهد فى العبادات والذكر والدعاء ، وكان لسان حالك يقول : إني انتصرت عليك وإن كنت قد شئت إلى فى غرة نصف وأثرت على فى شيء فإن رضى قد غفر لى ذلك ، لله الحمد وله الشكر .

فى هذا الموقف ، بل كلهم متساوون فى موقف اللذة والخضوع . والتمالى إما يطلب من الناس على الناس ، رجل يريد أن يتعالى على الناس ، يعنى : يكون أحسن منهم . وهنا فى هذا الموقف لا يصح ذلك ، فكان الخير العام لا يتم للناس جميعا إلا إذا استوى الناس فى الخضوع واستوى الناس فى الذلة ، ولا يتألى واحد على واحد أقل منه فى موقف الخضوع واللذة . وعندما تنفخ هذا البهار ، غبار الاستعلاء وطيباته عن أنفسنا فى هذا الموقف يتجلى الخى سبحانه وتعالى بالغمرة ؛ لأن الذى يحمل للغمرة بيتا ويتها حجاب والرحمات بيتا ويتها حجب اللذة الذى يحدث بين الناس ، فيكون مجتمعنا واحدا ونكد أن كل واحد يرى نفسه فيه ، كل واحد واضع قبحه أمام عينيه ، هذا كلما وهذا كلما .

لا بد أن نلاحظ أن كلما عيد لأنه مادامت التغيرات التى توجد فيها ليست من ذواتنا بل هى موهوبة من ربحا ، فيجب أن لا ندخلها فى حساب أقدارنا مع بعض ، أنا وأنت مثل بعض ، نحن كلما عيد له ، فإنا حصل هذا الاستطراق العبودى ، والنفس كلها أصبح فيها هذا الاستطراق ، ولا يوجد تمايل من أحد على أحد . يقول الخى سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى : « هم أهل جميع يتخبرون بمنقرى ويرحى » .

لكن إذا وجد لد وجدال وبراء ، فيترك الناس للدهم وتصوراتهم . ألم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابه يوما من رمضان ليخبرهم بزمان ليلة القدر إلا أنه وجد جدلا وضمومة بين رجلين ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إني خرجت لأخبركم ليلة القدر وإنه ثلاثى فلان وفلان فرفمت ، وعسى أن يكون خيرا لكم ، التمسوها فى السبع والتسع والخمس »^(١) .

إذن .. فالتلاخى : الجدل والضمومة والبراء ، كل هذا يقع حيات الخير عن الجميع الجميع الذى يؤيد أن يستقبل ليوشات الله لا بد أن يكون جمعا على مستوى الصفاء وما ، وتأمل مثلا الأجهزة : أى جهاز يوضع ، لا يؤدى مهمته إلا إذا كانت كل الأجهزة منسجمة مع بعضها ، أما إذا كان جهاز مخالف لجهاز آخر فلا يؤدى المهمة .

(١) رواه البخارى [٤٩] والنسائى فى الكبرى [٢٣٦] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه .

دعاء يوم عرفة

ليكن اللهم ليكن .. ليكن لا شريك لك ليكن
إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك

شمار هذا اليوم .. ونشيد هذه الساعة وترفاد هذا الركن .. ليكن اللهم ليكن .
ومن أولى بالطلبية منك يا رب العالمين وقد خلقت الخلق بقدرتك .. وأمددتهم
بميريتك وأنعمت عليهم بميريتك فلا يقال ليكن إلا لك ، تنجى الأرواح وأنست تدعو ،
فأنت أولى بملك ، وتنفى الأهل وأنست تدعو ، فلا يكون ليكن إلا لك ، ويدعو المال
والولد إلى أن يظل الإنسان حبيسهم .. ولكن لا يقال ليكن إلا لك .
سبحانك ولا تقال إلا لك .

سبحانك يا رب وما أصدق لهجة عبادك جميعا حين يقولون لك ليكن اللهم ليكن .
ولماذا لا تقول : ليكن لك يا رب ، وأنت لا شريك لك ؟ ولماذا لا تقول : ليكن لك
يا رب والحمد كله لك ؟ الحمد بكل صوره .. الحمد بكل ألوانه حتى التواء على
الأسباب .. حتى النكر للوسائل والرسائل مرد الحمد فيها جميعا إليك يا رب .
يا رب .. فالوسائل .. والرسائل .. والأسباب من خلقت فإن أجريت عليها ما بات
بالخير فانت الجري يا رب ، فلك الحمد أولا ولك الحمد آخر .

سبحانك يا رب .. من لم يحمذك لأنك الذي خلقت ، وزنت ، وأمدت بالنعم من
لم يحمذك لكل ذلك ، فليحمذك لأنك الملك لا إله إلا أنت .
سبحانك ولا تقال إلا لك ..

ليكن اللهم ليكن .. ليكن لا شريك لك ليكن ..
إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

يا رب .. نسألك كل شيء .. بقدرتك على كل شيء .. اغفر لنا ولهم ولهم .. جميعا كل
إنيك يا رب مادحت عبيدك لزيارة بيتك والوقوف بساحة رحمتك عزات إلا وأنت
تريد بهم الخير وتريد لهم الرحمة ، وكل طاع نرفه حين يدعو مدعوه بعد لهم من

الحنافرة ومن النكر من التحف ما يلق بساحته وما يناسب كرمه وما تنسج له
إمكاناته . وأنت يا رب لو سألك كل هؤلاء في ساحة رحمتك .. لو سألك كل المؤمنين
بك في أرضك كلها .. لو سألك حوائجهم فأعطيتهم لهم ما نقص ذلك عما عندك
يا رب إلا كما ينقص المحيط إذا غمس في البحر ، وذلك لأنك يا رب الجواد . وأنت
الواجد وأنت الماجد ، عطاؤك كلام .. وعطايتك كلام ، إنما أمرك للشيء إذا أردت أن
تقول له : **هَـ كُنْ** فيك كوكب .

تجلياتك يا رب على خلقت لتظهر هذه القناعة المبدية والخاصة ونعمة الملك
لك ، ونعمة المبدية لك لأنها عبودية تفر العبد .

فالمعبودية من الخلق عبودية تأخذ خير العبد للسيد وعبوديتك يا رب
تعلينا خيرك يا عظيم يا كريم .

يا رب .. يا رب .. نسألك لأنك الملك ، وأنت على كل شيء قدير ،
وما تشاء من أمر يكون .

يا رحمة الله .. يا بروجان الله .. يا تجليات الله .. هؤلاء خلق الله فأعطيتهم
بالإشراق وتزلي عليهم بالعطاء ، وأرخصهم مأجورين مغفوراً لهم ، محتورين مجازي
دعاهم لهم ولأولادهم ولأولادهم وللرعية ولأجابههم ولجميع المؤمنين والمؤمنات .

ليكن اللهم ليكن .. ليكن لا شريك لك ليكن
إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

إلهي لست إنهما استحدثته .. ولا ربا ابتدعته .. ولا كان لنا قبلك من إله فلجنا
إليه ونترك ، ولا أعانك أحد على خلقتنا فنتركه معك .

سبحانك .. سبحانك .. سبحانك

لا إله إلا أنت ، لا إله إلا أنت .. لا إله إلا أنت .

حظ التالية من التوحيد أن تشهد بك واحدا لا شريك له . وحظ جميع أولاد
الإسلام من الصلح أن الصلاة لها منه ذلك الحظ فوجه إلى بيتك في كل صلاة فهنا هو
البيت .. رأيتاه .. رؤيا الدين وطننا جميع جهاته وأستلنا حجرة الأمور لينبذ لنا يوم

بارب .. بارب .. بارب .. نسالك بأنت الملك وأنت على كل شيء قدير وما تشاء
من أمر يكون .

ليك اللهم ليك .. ليك لا شريك لك ليك .
إنا الحمد والمنة لك والملك .. لا شريك لك .

بارب .. بارب .. بارب .. نحن جبارك وأنت ربنا ومن الجحيف في أعراف الناس أن
يكون الإنسان مدنياً أمام أحدهم يأتيه بعد ذلك في ساحته ليسأله بروه ويسأله روضانه ،
ولكنها من عيبك بارب محبوبة فأنت تحب الأولين ، وأنت تحب الآخرين ، وأنت تحب
المستغفرين .

سبحانك بارب .. سبحانك بارب .
بارب إنا خضعة تجلت فيها رحمتك ورويتك يوم الرحمة أن تأفل شمسك وأن يورث
عبيدك بالشفرة والرحمة .

نحن في هذه الساعة العظيمة المباركة ندعوك بارب كما أمرتنا .
وندعوك بارب يا دعاك به آدم عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به إدريس
عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به نوح عليه السلام ، وندعوك بارب يا
دعاك به هود عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به صالح عليه السلام ،
وندعوك بارب يا دعاك به إبراهيم عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به إسماعيل
عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به إسحاق عليه السلام ، وندعوك بارب يا
دعاك به إسماعيل عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به يعقوب عليه السلام ،
وندعوك بارب يا دعاك به يوسف عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به موسى
عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به هارون عليه السلام ، وندعوك بارب يا
دعاك به داود عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به سليمان عليه السلام ،
وندعوك بارب يا دعاك به أيوب عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به يونس
عليه السلام ، وندعوك بارب يا دعاك به إلياس عليه السلام ، وندعوك بارب يا

الحمد لله
١٠٩

تقاربك . وما حظ البركة بأن فيها البذل وفيها السخاء وفيها الأريحية وفيها الشج
الناس ويطعم الفقراء والساكنين . أما حظ الصوم من المبح ، فأنت بارب جعلت على
الحرم محظورات مباحة مع غير الحرم ، ولكنه ساعة يحرم عليه ، وهذا لون من
الإسكان عما أحل الله ، فكان ركن المبح بارب ركن جمعت فيه الأركان مبروراً إليها
ومجنة فيه . لهذا بارب كان جزاؤك عليه أن يخرج الحاج من ذنوبه كبره زلته أمه .

ليك اللهم ليك .. ليك لا شريك لك ليك
إنا الحمد والمنة لك والملك .. لا شريك لك .

اللهم فأنت قد أمرتنا أن نبح بينك فاضطنا وقتنا ليك .. وأمرتنا أن نقف في ساحة
رحمتك فتنا ليك .. فكما لنا دعوتك بارب قبل شراعتنا ، وانقصر زلاتنا ، ولرحمتنا
وإرضى اللهم عنا ، وما مضى من ذنوبنا لا نفروه .. وما نستقبل من حياة فاستر معنا ذنوبنا .
اللهم إنا نسالك الخير من حيث تعلم أنه الخير بارب .. بارب .. بارب .. بقدرتك
على كل شيء اغفر لنا كل شيء ولا تسألنا من شيء .

ليك اللهم ليك .. ليك لا شريك لك ليك
إنا الحمد والمنة لك والملك .. لا شريك لك .
سبحانك بارب ولا تتألم إلا لك ..

حمدت واجتاج كل قلب فيه رابعد ، وكل قلب فيه مؤمل ، جبارك وهم وآثرون
بكرمك ، جبارك وهم وآثرون بهنوك ، جبارك وبهيمون أن يرجعوا إلى أهلهم على خير
ما يورثهم مسائر لك حصية من الله في نزل من الله .

بارب .. بارب .. بارب .. نسالك بأنت الملك وأنت على كل شيء قدير وما تشاء
من أمر يكون .

اللهم .. إنا نسالك أن تعطينا الخير ما تعلم أنه الخير لنا في ديننا وفي دنيانا وفي أهلنا .
اللهم إنا نسالك أن ترضانا جميعاً حبك ورحب من بيننا حبه عندك .
اللهم ما أعطيتنا ما نحب فاجعله قوة لنا فيما نحب .. وما زوت عنا ما نحب فاجعله
نوراً لنا فيما نحب .

الحمد لله
١١٠

بش جعلها لك
جورس إلا في
حسنا .

ع قدير وما تشاء

ربنا نرفع إليه ..

به ، كيم يعيش

أ إلى لإسلام .
جاء في صفات

كما دعواك لن
الاستقامة على

ملى ديت ؛ وأن

رسول الله فوى

١١١

أما الصديق رضى الله تعالى عنه لم يأخذها بهذه الحسابات . فقال : إن كان قال فقد صدق . فرتب العشق على قوله صلى الله عليه وسلم ، لا على قول التقضية عقلًا . وحتى لا يقال إنه يقدم تقليداً أعمى .. لأنه قال : أو لأنه صاحبه ، أو لأنه حبيبه ، لا . وبعد ذلك فإنه العمل الذى يعطى البصيرة فى التقليد ، فليس تقليداً أعمى ، بل تقليداً بصير .

قال : إذا كنت أصدقه فى خبر السماء بأثمة ، أفلا أصدقه فى أنه اعتلى ١٢ : إذن تقليداً ثقلة أخرى .

سيدنا عمر عندما رأى الناس يقتلون الحجر ، وبعد أن يضع قضية قد تنف فيها عقول الناس فى المستقبل ، من الجائز أن الأمة بعد ذلك سترقى وبصير عندها ثقافة ، وبصير عندها معايير ، ربما يأترون يقتولون : حجير ١ ما هذا الذى تعمل معه كذا وكذا ؟ وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أتى بالتقضية التى يرد بها رفاً يطل فى التاريخ رفاً على كل مستحبات فيها ، فيقول : إني أعلم أنك حجير لا تقصر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت النى صلى الله عليه وسلم يقولك ما قبلون (١) .

إذن .. بالمنايس المعينة ذلك أنت ؛ إنما فى الشرع فلى العين والرأس . وبعد ذلك بأتى الإمام على رضى الله تعالى عنه فيقول له : إنه يضرب ويضع ؛ فإنه يشهد أمام الله أنك قبله (٢) .

إذن .. المسائل الإجماية من الحق للخلق يجب أن تؤخذ أولاً ، يؤمن بها الإنسان وبصير عليها فى حياته عبدة وبهيجا ، ثم من بعد سيجد أثر حكمها فى نفسه . إذن .. فالحكم من الأعلى للأدنى تظهر حكمته بعد الفعل ، ولكن الحكم من المساوى يقول له : اظفوها لى من الآن ، وإلا ما الذى جعل عقاك أنت أولى من عفى وتأمرنى أن أقبل هذه ولا أقبل هذه .

فعلًا ، والله تعالى المثل الأعلى ، الصصى الصبى الذى يقول له والده : انفت إلى دروسك ، اسمع من المدرس جيلًا ، لا تخاف ، وإياك أن تنسى ، وإياك كذا ، وإياك كذا (١) رواد البخارى [١٥٩٧] ومسلم [٤٨/١٢٧٠] عن عمر رضى الله تعالى عنه . (٢) رواد الحاكم فى المستدرک [١٦٨٢] من حديث أبى سعيد رضى الله تعالى عنه .

فحينما يخاطب الله خلقه ، لا يخاطبهم بالحكم أولاً ، وإنما يطلب من الناس أن يؤمنوا ، إذن .. أقال الناس أولاً على الإيمان بالله تعالى ، فإن آمروا قال لهم : هـ يتبعونها الذين آمنوا بكيت عليهم (١) والبرء : ٢٧٨٦ ، كلما يعنى معنى الأمر قدر المحكمة فيه على قدر طلاقى فى المحكمة ، وإياك أن تعددهم بمثلك ؛ لأن حكمة الحكيم صفة من صفات الكمال فيه ، فإن قيديها بحكمة كذا وكذا ، تكون قد قيدت الكمال المطلق ، فكذلك على أنها هى هذه وفيها كمالات لا تنامى .

ولذلك يقال : علة الأمر الإيماني إياك أن تعطيها قبل أن تفعل ، ولكن فعلها لتعرف آثارها وتقوم جيما فرق ما بين خطاب الناس بالإيمان وخطاب المؤمنين بالأحكام . خطاب المؤمنين بالأحكام تسليم بأنك آمنت بالله حكيم لا يأنرك إلا بشيء ، وبعد عليك أنت بالنفع ولا يورد عليه سبحانه وتعالى شيء .

وتشريع الشرع لا يورده فيه النعة إلا إذا ضمنت أنه يجمع كل الجزئيات الموجودة والجزئيات المستجدة ؛ لأن الشرع من البشر إن شرع تقنيا فإنا بشر ما لس من واقع حال يراه وقد تحدث أحوال بعد ذلك لم تكن فى ياله ، فيضطر الشرع حينئذ أن يقول : هـا نمثل هذه الجزئية ، نمثل بى أننا فائنا شيء ونريد أن نستمر كة اليوم . إذن .. فلا بد للشرع الذى تضمن أنك تفقد أولامره أن تتق فى أنه القادر وحده على إيمانك وتلبية كل احتياجاتك ، وتفق أنه المليم الخبير بكل أحوالك لا يوجب عه شيء من سريرتك كما هو عليم بهلايتك ؛ ولذلك يقال : نحن نقاد له انقياداً أعمى ، بى : لا نتج فى الأحكام ، تقول له : لا ، بل انقياد بصير ؛ لأننى أعاد الحكمك فى نطاق كمالات الحكم به ؛ إذن فهنا ليس تقليداً أعمى ، بل تقليد بصير ، بدقة البصر . ولذلك سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حينما كان يتحدث بشيء بهجته به خصوم الإسلام ، كما قالوا له : صاحبك يدعى أنه ذهب لى بيت المقدس وخرج به إلى السماء ، فمادنا قال ؟ مل فاقش القضية فى ذاتها ، ومل هذه يقلها العقل أو لا يقلها ؟ هم قد فاقفوها بالعقل ، قالوا : أمدعى أنك أتيتها فى ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ؟ أخذوا بها لمسابب اللادى : مشوار ومسافة وسرعة ١١

﴿ هَؤُلَاءِ أَسْلَمُوا وَكَانُوا فَتَحِينَ ﴾ وَتَدِينُهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ ﴿ قَدْ سَخَّطَ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ الْفَكْرِ الْخَيْرِيَّةِ ﴿ ١ ﴾ وَالْمَسَائِلُ ٢ . وما دام صدقت الرواية فنحن نجري أخمين ، ونجزي المحسنين برفع القضاء ، ورفع القضاء بأنك لا تتله ، بل تأتي له بفداء وتغديه ، وليس فقط فداء ، بل مع الفداء نبشرك بسلام آخر .

إذن .. فأنسى قبل من أطلق على أوامر الحق الفضية التي لا يعلم لها حكمة فهنا تنه في حكمة الله ، وكلما كان الحكم أبعد عن تصور العقل ، كلما كان الإيمان أرفع في العمل .

وكما كانت المسألة لا يعطيها العقل أبدا فنكون التسليم دليلا على أن اليقين أقوى من انكسار . الذين يهتمون من المطلق عن أشياء حرمها المطلق مثلا قديما ، ثم يهتمون عنها لما ظهر لها من أسباب أو من وسائل ضارة بالنفس البشرية . فهم جازوا إلى ذلك لأن الله حرم أم جازوا إليها لأن المسائل الكونية أبرزت ضررها ؟

فأنت حين استعنت ، حل استعنت انصياح لمن أمر بها أو لا ، أو انصياح الضر الذي أوردته ، واقما في الكون الذي نعيشه ؟

إذن .. فأنادي بفتح عن شرب الخمر لأن له آثارا ضارة في الكبد وكذا وكذا ، والتحليل توضح له ذلك ، فهنا لم يفتح لأمر الله ، بل استمع للضرر الذي لحقه أو أوردته من هذه العملية .

والذي يفتح عن شرب الخمر ، ويتنظر حتى تُثبت التحليل الأشياء الضارة في أكله ، تقول له : لا ، هذا لا يصلح .

إذن .. فالنور بين تكليف المطلق وتكليف الحق للمخلق : أن تكليف المطلق للمخلق لابد أن تظهر حكمته . أما تكليف الحق سبحانه فيؤمن به وترضى به ثم من بعد ذلك تأتي حكمته تعلمها أو لا تعلمها الأمر في ذلك سواء ، فالقائمة أن الله تعالى قال ، وما علينا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا .

ولذلك كل قانون يُعدل قانونا فإنه يقول : نظرا لأنه حيث كُتبت وكُتبت رأينا أن يفتح في القانون كذا أو كذا فهو يقتضي :
لماذا جاء بهذا الأمر الجليل للمضاف للقانون ؟

تقول : لا ، إبراهيم حليم ، إبراهيم أراب ، إبراهيم منيب ، لا يفعل هذا من أجل هذا بل يفعل هذا حتى يستقبل إسماعيل هذا على أنه يحكم من الله ويعرض به فإخاخذ ثواب الرضى على الحكم .

كأنه يريد أن يدخر له شيئا بدلا من قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا تَزَوَّيْتُمْ ﴾ ﴿ يريد أن يجعله شريكا له في الإبداء ، فعادنا كان رد إسماعيل على أبيه ؟

﴿ فَإِن كَانَ يُحِبُّنِي أَتَقُولُ مَا تُوْثِرُ ﴾ ، ليس : أقبل ما تريد ، لأن إرادتك ليست مطلقة ، إنما الإرادة المطلقة للذي يملك وهو الله تعالى ، ومعنى : ﴿ أَتَقُولُ مَا تُوْثِرُ ﴾ إن هناك أمرا لإبراهيم بهذا الفعل ، ولهذا قال إسماعيل لأبيه عليهما السلام : ﴿ سَتَجِدُنِي إِذَا دَعَاكَ اللَّهُ مِنَ الْغَيْبِ ﴾ ﴿ وهذا تسليم مطلق من الأب ومن الابن ، ولذلك أسند التسليم لهما ، لأن هذه عملية تتفاعل منه ومن ابنه ، قال تعالى : ﴿ هَؤُلَاءِ أَسْلَمُوا ﴾ وَالْمَسَائِلُ ٢ : ١٠٣ يعني الاتقان ﴿ وَكَانُوا فَتَحِينَ ﴾ ليس أسلما كلانا ، بل مباشرة بالفعل ، ففاداه الله ببارك وتعالى : ﴿ وَتَدِينُهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ ﴾ قَدْ سَخَّطَ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . وكان مطلوب الحق سبحانه من المطلق أن تؤمن بالأمر ، وأن تقبل على تنفيذه برضى ، ونحن نقبل على تنفيذه برضى بفتح الله قضاءه ، ولذلك احفظ جيدا في كل أحداث الحياة حتى تعيب الإنسان : لا توضع قضاء حتى يرضى به .

إذن .. إن رأيت قضاء قد طال على منفي عليه فافهم أن مرتبة الرضى لم تنله . عندما يرضى ، وأن هذه هي الحكمة ، بفتح القضاء ﴿ هَؤُلَاءِ أَسْلَمُوا وَكَانُوا فَتَحِينَ ﴾ وَتَدِينُهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ ﴿ قَدْ سَخَّطَ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

انظر إلى ﴿ هَؤُلَاءِ أَسْلَمُوا وَكَانُوا فَتَحِينَ ﴾ كان معطى الأسلوب أن يقول : و لا حدث كذا ناديه ، ولكنه قال : ﴿ هَؤُلَاءِ أَسْلَمُوا وَكَانُوا فَتَحِينَ ﴾ وَتَدِينُهُ ، فكان النداء كان في منطق التسليم في نفس الوقت ، لم ينتظر حتى يُسلم ، بل في نفس الوقت ، فلم يأنخر الفداء ، ولم يأنخر الأمر بفتح السكين ، بل مع القضية .

إذن .. فأنت لست تستعمل ثم ترفع بعد ذلك ، بل عندما تهم على أن تعمل بأهلك رفع القضاء .

فمثلاً والله المثل الأعلى، هات صيغة تعرض على المهندس الذى صنعها خمس مرات كل يوم . فيها يعطيها عطب ؟ لا يعطيها عطب .

كذلك أنت ذهبت إلى خالفك ووقفت أمامه تسأله حاجتك ، وتستعين به ، وتطلب منه المعفر والمغفرة ، والرشاد والصلاح . وهو سبحانه يستمع إليك ، مع أنه يعلم قبل أن تسأل ماذا تستأله ، ولكنه يحب أن تسأله ، وتطلب منه ، فيجيبك إما حالاً وإما أن يذخر الإجابة لك . ولما كنت تعلم وتؤمن أن الله تعالى غيب فما عالجك به غيب . وأما الطبيب فهو مشاهد لك ؛ يعنى : مادي ، فم يعالجك به فهو مادي .

لكبك حين وقفت بين يدي خالفك شمرت بالراحة . ولذلك فإن من يألف الصلاة ، قبل الصلاة يقول لك : حيا عجل لنا بالدخول في الصلاة : « أرحنا بها »^(١) . كأن الفترة بين الصلوتين حدثت فيها مناعب : مناعب بشرية ، قلبي نفسى . إذن .. نكل إقبال على الله إقبال على تكاليفه ، فلا بد أن توجد مناهضة لمناضة هذه التكاليف .

كل ما يمكن أن يمارض هذه التكاليف تقول له : لا ، فالإله الذى أمر بها حكيم . كلها تجملت في المسح ، عمليات عقلية ، عقول الناس قد تقف فيها ، الطوائف ، وتقبل الحجر ، والرجم ، وكذا وكذا .

فيأياك أن تقف فيها ، لأن المسألة مسألة انضباطية ، انضباطية بما لا تعلم عليها . والحكمة في الانضباط للأوامر : تعزيز النفس البشرية أن تضبط للأمر الأعلى سبحانه وتعالى إياك أن تنظر أنه يريد أن يضبطك أنت وحدك ، فهو قد ضبط الملايين من أمس به مثلك ، وضبطهم لصالحك ، فكللك يضبطك أنت لصالحهم .

(١) رواه أبو داود [٤١٨٥] عن سالم بن أبي الجهم رضى الله تعالى عنه ونقطة : « قال رجل : قال مسرور له من خرافة : ليش صليت فاسترحيت فكأنهم عابوا عليه ذلك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها » .

والطيراني في التلخيص الكبير [٢٧٧/١٧٧٧] عن عبد الله بن محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرحنا بها يا بلال » الصلاة . وقال الهيثمي في المجمع [٢٤٥/١] : وفيه أبو حمزة الثمالى وهو ضعيف واهى الحديث .
رواه أحمد [٣٧١/٥] مختصراً ولى به أبو حمزة .

جاء به لير كرتي كان ولا بد أن يوجد إلا أنه غاب أولاً عن التشريع الأول ؛ لأنه ليس عنده علم استنباط الأحداث ، بل العلم يجد له . وهذا دليل على نقص القدرة البشرية في إدراك حقائق الأشياء .

إذن .. فحجة العمل تشهد بعجز الذى شرع أولاً بالقبضية التى من أجلها شرع ثانياً أو عدل القانون ثانياً .

لكن الأمر من الأعلى : كل يوم ترداد بقينا ، ونجد أثر ذلك في نفسك . ولذلك في قانون الناس ترداد تقصا فيما شرع ، وأما في قانون الحق سبحانه ترداد حكمة فيما شرع .

فإذا ما ظهرت لك حكمة في أمر من الأمور الغيبية التى كان يقف فيها العقل ، وأظهرها فيما بعد جعل غيرى الذى لم يكن مؤمناً مى بفعلها هو دليل على أنى أزداد بقينا وتصديقاً لكل شيء يقف عقلى فيه إذا كان من الشرع .

ولذلك الإلزام على رضى الله تعالى عنه عندما تكلم على المسح على الخف ، قال : لو أن المسألة بالمقل فكان المسح على باطن القدم أولى من ظاهره .

إذن .. فالعملية ليست لسطانة ولا كذا ، بل هى إعداد النفس للإقبال على إله محمدك حتى أن تميل عليه بنية الإقبال .

فأنت إذا ما ذهبت ليرجم الشيطان ، فحى تصد عنه المناخل التى يدخل عليك فيها نمة عقيدة في رجم الأكبر ، أو فرغ عقيدة في رجم الأصغر وتسلها سبع مرات ، كل ذلك أمر حسى ، هنا الأمر الحسى مناسب لأنك حسى ، فأنت مادي ، فلا بد أن تكون الأمور مجادية منك .

فالإنسان مثلاً حينما تعرض بذهب إلى الطبيب ، والطبيب يأخذ منه أشياء مادية ويحللها ، ويأخذ منه دماً أو فضلات أو غيره ويحلل ، وبعد ذلك يطمئه عقائره مادية ويكرر التكرير للمادى ، أو يأتى من العملية بالدواء الخاص بهذا المرض ، كلها مادات ، فإن أصاب تأخذ الدواء قتيلاً .

إغيار الإنسان المعنوية في الحياة أقسى من الأغيار للمادية فالله سبحانه وتعالى من فضله وكرمه أنه يستدعى عبده للوزن كل يوم خمس مرات ليقف أمامه .

تكون .. كمن يقول لك : فلان وعدني بكذا وكذا . فنقول له : وعلم هذا مقبول !!
 أتعتقد أنه سيعمل لك كذا وكذا ؟ هل هذا كلام يصدق ؟ ثم يقول لك : هذا فلان
 قد وفى ، يعنى : ألى بالشئ الذى كنت أنت غير متصور أنه عمله : هو كإبراهيم الخليلي
 وثق .

فهذه هى القصة لإبراهيم وفى فيها . فبحمد الله سبحانه وتعالى الجزاء الأوفى فيقول
 له : هو إني جايئك بآياتي ، والبقرة : ١٢٤ ، فأتت أصبحت إماما للناس لأنك
 انطيت بأقصى أنواع الاجلاء وأتت أحسن الأداة ، فساد الله جملة الناس إماما فلا بد
 أن أعماله تظهر فيها نحن ، وذلك بإحياه هذا الشك .

إذن .. نحن نقوم بهذا الشك من رحم الشيطان وكذا وكذا إحياء للذكرى إبراهيم
 واتصاه على الشيطان ، وتعلينا لنا نحن أن الشيطان إذا ما حاول أن يورس لنا
 أوهينا فنقول له : لا ، لأن إبراهيم علمنا أن نعمل كذا ، ونلج أكثر من إبلابنا ، ومع
 ذلك ركة الشيطان هذا الرد .

فإذا نحن صعلنا يكون لنا أسوة في الأكرمين من رسل الله ، ولا فلماذا نحن نسعى
 الآن ، فهاجر كانت تسمى لطلب الماء ، أنت تسمى الآن لنحصى هذه الذكري ، وذكرى
 امرأة تركها زوجها ومها وليلها من أسباب الحياة شيء في ولد غير ذى زرع
 حتى الماء الذى هو للقوم الثاني من مقومات الحياة لم يكن عندهم ، ومع ذلك وضيت
 وقالت : الله تعالى لا يضيعنا ، ولذلك أتت أنت هذه الذكري فيها ، وبخدا غورذا لك
 لتظل مسألة السعي في الأسباب متدئة على أنك لا تقم . فقد علمت أن السماء
 لا تحضر ذجيا ولا قصة .

○○○

وكأنه سبحانه يقول : أنا لم أكلف شغطا ، فسادى : من الملق كنه أن يكون جهازا
 منجسا ، جهازا متساندا ، ليس به تعاند . فإذا كنتك بأمر طبايك أن تتهم أننى أريد أن
 أضيق حركتك أو حرية اختيارك ، لا ، وإنما أنا أريد أن أضيق لك حرية الاختيار
 للآخرين في ألا يضروك ، وما دامت المسألة مستورة عليك ، فلا بد أن لا تنظر إلى ما أخذ
 منك ، ولكن انظر إلى ما أخذته أنت .

وقد ضربنا مثلا قنقلا : القنق مثل احتمال أن يحزن عندما نطلب من الركاة :
 د و ٢٠٪ ، يمكن تشق عليه ، وتشق نفسه وكذا وكذا .

فنقول له : ادفعها لأنك أنت ابن أخيار من الممكن أن تتعفف ، ومن الممكن أن تنفق ،
 فإذا كنت أنت شغطى وأنت قادر فسمعيت وأنت عاجز .

فلا بد أن تلاحظ ماذا يعطيك التكليف قبل أن تلاحظ ما يأخذ منك التكليف .

فعندما تنيد الكليكات بغالب ، فاعلم أن هذه التقييدات لهما شوك أنت لأنه لم يتد
 تعالى ، لأن غيرك قيد ، وما دام غيرك قيد من فاجيتك ، وأنت مفقيد من ناجيتك ، تفقيد
 الناس جميعا أقل من تفقيدك لهم .

إذن .. فالمسألة في المسح بعدما نروح ونرجم ، فنقول : سبحانه الله ، إبراهيم على
 نبيا وعليه الصلاة والسلام تعرض لمسألة قمة ، فكان ولا بد أن يحل ، فإذا جابه الرويا
 بأنه يبيع ابنه مل يركه الشيطان في قفية كبده ؟ بالطبع لا .. إن الشيطان يفرح جدا
 ويعتول : هذه مسألة مناسبة للدخل منها له : ما أقسى هذا الأمر ، فانت الذى تدبج
 ابنك ؟ إذا كان ولا بد فغيرك يقتله ، لا حاجة في أن تقتله أنت ، كيف وهذا الابن لم
 يلق إلا بعد الكبر الشديد ؟

إذن .. فهذه المسألة ما كان الشيطان أن يتركها ، ولذلك كان إذا رده إبراهيم يمارده
 ثانية ، وإن رده عارده أخرى ، وهكذا يمثل الشيطان يلج في الوسوسة ، وإبراهيم عليه
 السلام يرحمه .

فنحن نحصى هذا الشك في إبراهيم ، وذلك أولا لتكريه ، وثانيا لتعلينا لنا نحن ،
 فنقول : المطاف انتهى بإبراهيم إلى خير ، لماذا ؟ ذلك لأن الله لا يبلى إبراهيم بكلمات
 وأثم الكلمات ورثاها هو وإبراهيم الخليلي وثق ، القسم : ٢٧ يعنى قلنا له على أشياء قد

وتعالى أرحم بعباده من أن يجعل كل أحكامه مصيرية في قلب حديد ، لأن الإنسان نفسه الذي نزلت عليه هذه الكليات انما كذا ولا تقل كذا ، لو نظرت إلى تكوينه تجد أن تكوينه متفق مع الأحكام التي نزلت عليه . تكوين الإنسان فيه أفعال لا علاقة له بها وهي تجري عليه دون رآى منه ولا اختيار ، قدر نزل عليه ، كل الحركات التي تحدث في جسم الإنسان ليس له فيها اختيار ؛ كيف أتيت ؟ كيف تكون الحركة الدورية للأعضاء ؟ كيف يضخ القلب الدم ؟ كيف يسير الدم في الشعيرات ؟ كيف تفرز الكلى ؟ لا أعرف أي شيء من هذا ، فوّضت فيخارج إرادتي ، إذن .. فوجد أمور تقع على الإنسان بدون اختيار منه .

فهنا منه مثل الحكم الذي لا مجال لك في فهمه ، اسمه قدرات . وبعد ذلك فهناك أشياء اختيارية : أكل هذه ، لا أكل هذه ، أيس هذا ، لا أيس هذا ، أصاحب هذا ، أترى هذا ، أشياء اختيارية .

وكذلك الأحكام ، كما أن الإنسان الذي نزلت عليه الأحكام مضبوط بعينين التين : مضابط لا تصرف له فيه ، ومقابلته في الحكم ما لا تصرف له فيه إلا بالنس ، والثاني : خاضع للاختيار ، عندما يبيتك أمد فيقول لك أنا أكل سمكا ، فلا تقول له لماذا تأكل السمك ؟ وآخر يقول لك أكل لحما : هذا أكل لحما مسلوقا ، وهذا أكل لحما مشويا ، وهذا أكل جينا وفولا ، فهذه مسألة داخلية في نطاق حرية . مادام لا يوجد فيها نص . فمثلا : نحن إذا نظرنا إلى إنسان ، يصبح في الصباح ولا يهبط ، فلا إزام عليه بأن يهبط ، فهذه هو حر فيها ، وآخر يقول لك : أنا عندما أستيقظ من النوم لابد أن أفطر ، ولا بد أن أفطر كذا وكذا . فهو حر . فلا الذي فطر حجة على الذين لا يهبطون ، ولا الذين لا يهبطون حجة على الذين أفطروا ، فكل حر في اختياره .

لكن عندما يقول لك في يوم الفطر . لا بد أن تفطر . فهنا أنا أنشئت مجزا ، فهنا حكمت ملهم^(١) .

(١) روى ابن ماجة [١٧٢١] عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهي عن صوم يوم الفطر ، ويوم الأضحى .

وصدده [١٧٢٦] من أبي سعيد رضى الله تعالى عنه قال : شهدت العيد مع عمر بن الخطاب .

الطبع ١٢١

مكان ذبيح الهدى

اختلف العلماء في مكان الذبيح : هل ذبيح في منى ؟ أو ذبيح في مكة ؟ أقول من تيسر الله تعالى أن منى كلها منحر ، ومكة كلها منحر ، فإذا ذبحت في منى فلا شيء عليك ، وإذا ذبحت في مكة فلا شيء عليك ، لا يزيد تصوير المسائل على أنها مسائل خلافية^(١) .

والآن عند المسلمين أن المجتهد حين يجهده ويؤدبه اجتهاده إلى رأى ، تجد من يعصب لهذا الرأى ويقول : إن هذا الرأى هو الصواب والباقي كله خطأ ، فيقول له : لا ، فماذا أنت المسألة ليس فيها نص محكم ، وترك الله فيها مجال الاجتهاد ، فغادب كما غادب أئمة الفقه ، فكان الواحد منهم يقول مثلا : رأى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

والحق سبحانه وتعالى جعل على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقبل هذه التوسعات : فكان يقول لمن يسأله : و أقبل ولا حرج^(٢) .

فلا تمل إن الذبيح لا يذبح إلا هنا ، بل قل : أنا رأى أن الذبيح يذبح هنا . ولكن لا تمنعنى الرأى الآخر ، لأنه لا أيضا دليل ، فالنص صلى الله عليه وسلم أعطانا مسألة إظهارات الاجتهادات الفقهية مع العصور ، والقاعدة الفقهية تقول : لا اجتهاد مع النص .

إذن النص المحكم يوقف كل واحد عند حده .

أما النص الذي لا يورده الله على وجه واحد بل يورده على أى وجه ، فتركه سبحانه للاجتهادات وفق احتياجات الأمة ورائها ومتطلبات هذا الواقع .

فأنت من أدبك أن تحرم من ذهب إلى هذا الرأى ، وهذا اسمه التمايش الاجتهادى ، ومعنى التمايش الاجتهادى أى : يعمل أيضا في إطار واحد ، لم يخرج ، وماذا لم نخرج فإنا بجمعا الأصل الأصل الذى ليس فيه اجتهاد ، وبعد ذلك قاله سبحانه

(١) قال الإمام على القرطبي : يجوز ذبيح جميع الهدايا في أرض الحرم بالاتفاق إلا أن من أئتمل لهما

الطبع ، ومكة أفضل للقاء المبرة ، وأفضل أن يكون بالمروة .

(٢) سبق تصويره .

الطبع ١٢٠

قريظة : و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، يستغاد من هذا أن المسألة ليست بالمعل ، بل المسألة مسألة إيمان ، لأنهم بعد انتهاء هذه الحرب المهلكة ، وهذه المدة الطويلة ، وهذا التعب الشديد ، ولهم يكادوا يستريحون ، فهل بعد كل ذلك تقول لكم : قوموا قاتلوا ١٩ مسألة ليست عقلية . فالتابي عزاءها لشيء فوق المعل ، فقال : و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وهكذا قال رينا ، أذهبوا للتأديبهم ولا يصلين المعصر إلا في بني قريظة . وبنى قريظة هم الذين أعانوا مشركي قريش . فعاداه قال : و من كان يؤمن بالله ، إذن فالمسألة ليس فيها اختيار ، أمر إلهي لازم .

وهم في الطريق إلى بني قريظة أدركهم وقت صلاة المعصر فذكروا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين المعصر إلا في بني قريظة ، فنظر بعض الصحابة إلى الشمس فوجدوها تتحدر لمغيب ، إذن فالمعصر وقته قد انتهى فقالوا : لا بد أن نصلى المعصر ، وجماعة قالوا : التي صلى الله عليه وسلم قال : و فلا يصلين المعصر إلا في بني قريظة ، ولم يصلوا المعصر حتى وصلوا بني قريظة . اختلفوا : ناس صلوا في الوقت ، وناس لم يصلوا إلا في المكان الذي جاء في ظاهر الحديث . ورجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنا كان موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ؟ أتر هذا دون هذا ، أم هذا دون هذا ؟ أقر الاثنين . احرثنا للاجتهاد . وفكرة الاجتهاد ، ودليل الترجيح في الاجتهاد ، ونحن الآن نفهمها تفسيراً أوسع ، حتى يقبلها المعل تقول كما قلنا فيما سبق : إن كل حدث يحتاج إلى زمان وإلى مكان فإن اجتمع الطرقتان فيها ونعمت ، وإن وجد طرف دون طرف ، فالذي يرجح طرفاً على طرف لا نخطئه ، فهو قد أخذ شق طرف والآخر أخذ شق طرف ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أقر من صلى المعصر قبل أن يذهب إلى بني قريظة ، وأقر من صلى المعصر بعد أن وصل بني قريظة . إذن قد أقر الاثنين ، فقد أقر صلى الله عليه وسلم اجتهادهم ، لأن صاحب الاجتهاد الأول الذي قال : لا بد أن نصلى المعصر لأن الشمس ستغيب ، نظر إلى طرف الزمان ، فالشمس ستغيب وطرف الزمان سيبقى ، وصاحب الاجتهاد الثاني الذي نظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : و فلا يصلين المعصر إلا في بني قريظة ،

ولذلك فندما يؤذن لصلاة الفجر ويطلع النهار ، النهار الذي كنتم نهيتم عن أى مشروب أو أى مطعم فيه ، تجد من يقول لك : خذ أى شيء ، فكله . التفطر هنا عبادة عبادة مأمور بها : لا بد أن تفطر ، وعند الصوم تصوم حتى المغرب ، فتجد أحدهم يقول لك : أنا لا أفطر الآن ، فانا سأفطر بعد العشاء ، تقول له : لا ، الانصبأ أنك كما أمسكت عن الطعام والشرب بكلمة ، أفطر بكلمة ، فخذ غير ريتك ولو بجرعة ماء . فنكون قد التزمنا أدب الالتزام أنزما ونهيا . وبعد ذلك تناول طعامك في أى وقت شئت ، لأن تناول الطعام غير الإفطار .

فكما أن فيه للإنسان المخلوق تدريبات تقع عليه بدون اختيار منه ، كذلك توجد أحكام الله يركبها كل واحد يأخذ منها بحسب ميسرته ، ما دام الله لم يصب عليها صراحة .

ولما في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فحينما انتهى من غزوة الأحزاب وكان اليهود قد أعانوا مشركي قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وساعدوهم . ولا سخر الله الريح وسخر الأشياء : **﴿ هُوَ وَمَا يَخْتَرُ حَيْثُ رَزَقَهُ إِلَّا هُوَ ﴾** [سورة البقرة : ٢٦١] ولقيت المركة ، وفريش رجعت ، واليهود راجعين إلى المدينة ، فأراد الله أن يؤدب اليهود الذين مالوا قريشاً وساعدوهم في غزوة الخندق .

وسلم أن في غزوة الأحزاب ابتلاء للمؤمنين ابتلاء شديداً ، قال تعالى : **﴿ هُوَ فَالَّذِينَ آمَنُوا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** [سورة الأحزاب : ١٠] ، تأمل التعبير القرآني : **﴿ هُوَ فَالَّذِينَ آمَنُوا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** .

بعد كل هذا العناء ، الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأمر غزوة بني قريظة ، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم لن أرسلهم إلى بني قريظة ، رضي الله تعالى عنه قبل المعركة ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤي من مسلم فدين المؤمنين : يوم النطر ويوم الأضي ، أما يوم النطر فيوم تترك من مساكم ، ويوم الأضي فكلون فيه من لحم نسلككم ، ورحمهما الألبى .

إذن ... فالخلافاً التي تنشأ في المصحح يجب أن تكون مقبولة على هذا الضرب لأنه مادام ليس فيها نص محكم ، فلا بد أن نحرم وجهة نظر الجتهيد ، لأن معنى مجتهد : هو الذي بذل الجهد في استنباط الحكم من دليله ، ومادام كذلك فإنه له قنومات الاجتهاد .

الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه قبل قدومه مصر كان له مذهب ، وبهذا جاء مصر ووجد الحقيقة التي تركها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ، وفيه أحاديث لم يكتبها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، وكان الإمام يعرف قول أبي هريرة رضي الله تعالى عنه القائل فيه : إن عبد الله ابن عمرو بن العاص كان يكتب وأنا لا أكتب ، فلما جاء إلى مصر ووجد هذه الحقيقة ، ووجد فيها أحاديث لم يكن سمعها من قبل ذلك ، فبدأ يغير في بعض الأحكام التي كان اجتهاد فيها وفقاً لسمعه ورآه من حديث عبد الله بن عمرو ، ولذلك تلمح في كتب ورسائل الشافعية ، وللشافعي في الحديد والحديد يعني المذهب الذي انتهى إليه حينما جاء إلى مصر ووجد أحاديث لم يكن قد اطلع عليها قبل ذلك .

فالأشياء التي اختلفوا فيها مثلاً : البيت بنبي : هل هو سنة أم واجب ، الوقوف عزرفة : بنية البيت أم بمقدار وضع الرحال ، الملقى أولاً أم طواف الإقامة ، الملقى أولاً أم التقصير ؟ كل هذه مسائل فيها اجتهاد من العلماء ، وفي بعضها قال النبي صلى الله عليه وسلم : « افعل ولا حرج » .

لكن الذين يتسككون بشيء ينظرون إلى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع . يقولون : النبي فعل كذا .

« ابن ربيع » ، ومحمود بن سنان ، وخزاعي بن أسود ، فساروا حتى أتوه في خير في طوله ، ففرلوا عليه لولا قنوتهم ، ورجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلهم ادعى قتله ، فقال : « أروني أسنانكم » فلما أروه أسناناً ، قال لسيف عبد الله ابن أنيس : « هذا الذي قتله لربي به قر العمام » .

زاد للملاد ٢٧١/٣ - ٢٧٦ .

« وقد تهازلوا الرحيل » فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بمرجل النمر ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رآه الله عدوة بنية ، لم يتلوا خيراً ، وكراهه الله قتالهم ، فعمداً وعلمه ، وأمر جنده ، ونصر جنده ، ودمر الأكراب وحمله ، ففضل المدينة ووضع السلاح ، إن فجاهه جبريل عليه السلام ، وهو يقتل في بيت أم سلمة ، فقال : « أرونيهم السلاح » ، الملائكة لم تتبع بعد أسلحتهم ، اتهموا إلى غزوة مؤلفة ، يعني بني قريظة ، فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان ساماً صليحاً ، فلا يهتكن النصر إلا في بني قريظة (١) » ، فخرج المسلمون جريئاً وكان من أمره وأمر بني قريظة ما قدمناه ، واستشهد يوم الحندق ولهم قريظة نحو عشرة من المسلمين وكان أبو رافع عن أئمة الأكراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقتل مع بني قريظة كما قل صاحبني خفي من أنصعب ، ورغبت الخروج في قتله مسابقة للأرض في قل كعب بن الأشرف ، وكان الله سبحانه وتعالى قد جعل ملحقين المؤمنين بمسارلات من يدعي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحمرات ، فاستأنفوه في قتله ، فأتاه لهم ، فاعتصب له رجال كلهم من بني سلمة ، وهم جئ الله بن صبيك ، وهو أسير النمر ، ورجد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، والحمرات -

(١) رواية البخاري ٢١١٩١ واللفظ له ، ومسلم ٢١١٧٧ من ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأكراب : « لا يهتكن النصر إلا في بني قريظة » ، فأبرك بعضهم النصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلح حتى تأتيناها ، وقال بعضهم : بل نصلح لم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يهتف وأحس منهم ، وعلما لفظ البخاري ، وأما لفظ مسلم من نفس الطريق وقع فيه : نادى فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم انصرف عن الأكراب لا يهتكن أحد الطريق إلا في بني قريظة ، فخرق نافي قوات الوقت فقبلوا دون بني قريظة ، وقال آخرون : لا نصلح إلا حيث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن تأتينا الوقت ، قال : فما عصف واحداً من الفريقين . وفي هذا الحديث من اللقطة أنه لا يهتكن على من أحد يتألم حديث أبو آية ، ولا على من استبط من النص معنى بعضهم .

قال المحافظ في الفتح ٢٧/٤٠٨ وقع في جميع النسخ عند البخاري : « والمصر » ووقع في جميع النسخ عند مسلم : « والمظهر » مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد وبأسناد واحد وقد رافق مسلماً أبو يعلى وآخرون ، وكذلك أخرجه ابن سعد عن أبي حنبل مالك بن إسماعيل من جريدة بنية : « والمظهر » وابن حنبل عن طريق أبي حنبل كذلك ، ولم أره من رواية جريدة إلا بنية : « والمظهر » غير أن ما فهم في المستخرج أخرجه من طريق أبي حنبل السلس من جريدة قتال : « والمصر » ولما أسحاب للبخاري فالتفروا على أنها مصر .

الحلق والتقصير

فإذا ما أتينا إلى مسألة الحلق أو التقصير ، فالتى عليه الصلاة والسلام بسر فيها كثيرا فكان صلى الله عليه وسلم كلما شغل عن شيء من ذلك قال : « اعمل ولا حرج »^(١).

وفى هذا تفسير كبير على الناس .

هذه التيسيرات كانت ولابد أن تكون ضرورية ؛ لأنك لو أمسكتها على رأى واحد يعيق الزمان ويعيق المكان ، ويحصرها إذا كان الإقبال على الحج فى ازدياد وتكاثر كما هو مشاهد الآن . والإنسان فى غير أيام الحج عندما يذهب إلى هناك فإنه يجد زحاما فى الطواف وبعد زحاما فى السعى ؛ لأن الناس قد كثروا وأقبالهم على أداء فريضة الحج الآن كبير لأنهم لم يجدوا الأمن النفسى والطمأنينة القلبية إلا فى جوار بيت

○○○

(١) روى أحمد فى مسند [٧٥/١] عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : رفق رسول

الله صلى الله عليه وسلم بهرة فقال هذا الموقف ، وعرفة كلها موقف ، وأفاض حين غابت الشمس ، ثم أوقف أسامة فجعل يمشى على بيته والناس يضربون بيما وشمالاً بحيث أنهم

ويقولون : « السكينة أبها الناس ، ثم أتى جمعا فعلى بهم الصلوات : المنزب والمشاء ، ثم بات

حتى أصبح ، ثم أتى فراح فوقف على فراح فقال هذا الموقف ، وجميع كلها موقف ، ثم سار حتى أتى محمدا فوقف عليه ففرح فانه لم يجت فحي جاز الوردى ، ثم حبسها ، ثم أوقف للفعل

وسار حتى أتى الجمرة فربما ثم أتى للنحر فقال : هذا للنحر وبنى كلها منحر .

قال : واستغته جارية شابة من خنعم فقالت : إن أبى شيخ كبير قد أخذ وقد أدركه فريضة الله فى الحج فهل يجزئ عنه أن أؤدى عنه ؟ قال : نعم ، فأدى عن أبيك . قال : وقد لوى حتى

الفعل فقال له لحياس : يا رسول الله ، لم لويت عن ابن عمك ؟ قال : رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما .

قال : ثم جاءه رجل فقال : يا رسول الله ، حلفت قبل أن أنحر ، قال : انحر ولا حرج . ثم أتاه

آخر فقال : يا رسول الله إني ألفت قبل أن أحلق . قال : احلق أو قصر ولا حرج ، ثم أتى البيت فغاف به ، ثم أتى فزرم فقال : يا بنى عبد المطلب ستبايكم ولولا أن يعلمكم الناس عليها لبرحت

بها . وقال الأثرورط : إسناده حسن . ورواه الرملى [٨٨٥] وابن خزيمة [٢٨٣٧] .

والتي صلى الله عليه وسلم لابد أنه فعلا كل شيء على وجه واحد ، ثم بين وشرح لجميع الأمة ما به يتقبل الله حجتهم ؛ فمن التزم فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ نفسه بالعبادة فى كل موطن من مواطن الحج فقبول القيمة ، ولكن من لم يستطيع وبخاصة الضعفاء والمرضى والمصاب الأعذار والنساء والقائمين على خدمة الحجيج كل هؤلاء وغيرهم خاصة فيما علمه النبي من الرحام وكثرة الحجيج يتوجب علينا أن نأخذ بالرخصة التى أعطانا لنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والأخذ بهتجاهات

المعلماء شريطة ألا يكون ذلك مؤثرا فى صحة الحج وقبوله .

طواف الإفاضة

إذا ما انتهينا من ذكر الله تعالى عند الشجر الحرام رقم الطلع من الرذلة إلى متى للرجم ، رجم جمرة الثنية الأولى - أخيرة الكبيرة - بمجرد الانتهاء من الرجم بالسبع حصيات تكون قد قربنا من أداء نسلح الحج ، بقي فقط أن نطوف طواف الإفاضة ، فالوقوف بمرقة وطواف الإفاضة هما : الركبان الأساسيان للحج اللذان لا يستقلان أبداً وما عدا ذلك يمكن أن يحجر بدم ، ولا يفسد الحج ، بل يظل الحج إذا ما قُذبت أي : قدمت دماً تغير به الحظاً أو التقصير - على خلاف في المناهب - هذه ستة ، ومنها واجب ، وهذا كذا ، ولكنها كلها تغير بدم . فالركبان الأساسيان اللذان لا يستقلان ولا يحيران : طواف الإفاضة ، والوقوف بمرقة .

والرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال : « الطلع عرقه »^(١) لماذا لم يقل ذلك عن طواف الإفاضة وهي أيضاً ركن أساسي من أركان الحج ؟

نعم هي ركن أساسي فعلاً ، إنما توفّق بين المشعر الذي يتحكم فيه طواف واحد من طواف الأحداث ، ونحن نعلمه كما قلنا سابقاً إن كل حدث من الأحداث ، أي : كل فعل من الأفعال له طرفان إثبات ، يعني شيء يقع فيه ، إما زماناً وإما مكاناً ؛ فمثلاً : أكل فلان : متى أكل ؟ هذا الزمان ، وأين ؟ هذا المكان .

فكل حدث يفعل لابد له من زمان ، ولابد له من مكان .

فإذا نظرت إلى أحد الزمانين تكون قد أخذت طوافاً دون طواف ، وإذا أخذت الطرفين الاثنين تكون قد أخذت مقومات الحدث .

طواف الإفاضة ليس له وقت محدد ، لك بعد أن ترمي الجمرة أن تنزل تطوف ، أو تنتظر بعدما تنتهي من أعمال مني كلها ثم تذهب للطواف .

إذن .. هو يتحدد فعلاً ، ولكن لا يتحدد زماناً ، يتحدد مكاناً فقط . تطوف حول البيت ، ولكن متى ؟ جازئ بعد أن ترمي الجمرة تذهب للطواف ، وجاهز أن توجع هذا كله ثم تذهب للطواف الإفاضة .

(١) جزء من حديث رواه القرطبي [٨٨٩] وابن ماجه [٣٠١٥] وصححه الألباني .

الحكمة من الحلق والتقصير

بعد ذلك عندما نأتي إلى حكمة إرام الحلق أو التقصير ، فانت قبل إرامك قمت بتقليم نفسك من الشعر الداخلي - المانة والإبط - وكذا وكذا ؛ لأنك عرضة لنبار وعرضة لأفذر ، وتستسكت مدة طويلة بهذه الحالة ، فالأيد أن تكون نظيفاً ولا شيء يملك .

وبعد ذلك بقي الشعر الذي كثيراً يتعرون به في الماضي ويضعون عليه الدمن ويرجلوه ، فيقول له : الآن احلقه فيحلق الشعر ؛ لأن هذا الشعر قد يكون شهد معصية من معاصي الإنسان ، فإنا أريد أن الشعر الذي يبتت ؛ يبتت على طهارة ونقاة أو هو سمة للالتزام .

○○○

ورحب مثلاً أمرنا أن نستلم الحجر ، فهل نراحم ؟ المراحة تعطي معنى وعدم الإيذاء يعطي معنى . نحن نريدك أن تراحم ، يعني : تحاول أن تصل إلى الحجر ، لأن الرحام : رغبة في أداء نيتك الفعل توقف فيه ؛ مع حجر تستلمه وتقبله ؟
فكبرت تراحم دليل على إيمانك اليقيني بأن هذا حكم من الله ورسوله .

وكبريت لا تتوذى ، فهذا موضوع آخر . فالرحام مطلوب ولكن بدون إيذاء . وكذلك هرول وأرسل ، ولكن بدون إيذاء ، أما الاصطباح فليس فيه إيذاء .
والذى يُعصَّب في مسائل المناسك : عدم توظيف قضايا الدين كلها . لأن واحدا مثلاً يطوف : يريد أن يطوف في الناحية الضيقة - يعني قريبا من الكعبة ، فهذا يريد هنا ، وهذا يريد هنا - لكن لو كل واحد ذهب وانتهى حيث ينتهى به ، لو لم يقدم على غيره وبتركه يتشى بسكينة ويشى بوقار ، ويحلى من أمامه ، فلا أحد يصطلم بأحد ، ولا أحد يقف مع أحد .

إذن .. فعدم الرعي بالتكليف وأداء التكليف هو الذى يُعصَّب المحجج . فالجنى سبحانه وتعالى يريد أن يسر علينا الأشياء ، فالذى يدخل الكعبة وقد طاف طواف الركن ، فكيفه هذا ولا حاجة للرحام ، بل دح غيرك بطواف الركن ، وصل أنت . إذا كنت لا تقدر على الصلاة ولا على الطواف ، فاقدم انظر إلى الكعبة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربا يثرب في الكعبة مائة وعشرين رحمة ، ستين منها للشافعين وأربعين للمصلين ، وعشرين للناظرين » .

إذن .. عشرين رحمة للناشد فقط ينظر إلى الكعبة ، ولذلك فانظر إلى الكعبة واستحضِر أى مكبر من مكبرات حياتك ، بمعنى تحدى عوامل نفسك إنك عندما تكون خارج الكعبة تفكر وتقول : العيال يا ترى ما حالهم ؟ الأرض يا ترى رويت أم لا ؟ يا ترى كذا ، يا ترى كذا ، يا ترى الأولاد تنازعوا مع بعض أم لا ؟ تنظّل في تفكير وهم وشغل بال ، ثم حزن نفسك واذهب إلى الكعبة ، ولا أقول لك طف بها ، ولا أقول لك صل ، ولكن قف وانظر إليها فقط ، حيثما لن تجد في بالك شيئا ما كان يُزعجك .
لدرجة أن الواحد منا يقول : ما الذى كان يحزننى ؟ ما الذى كان يعيقنى ؟ تبحث عن الشيء الذى كان يعبك ويعزتك فلا تجده تجبرو النظر .

الاصطباح كما قلنا هو : أن يكفك كفا ، والضرورة : أن تسرع بين الميادين الأصغرين ، وفي الثلاث الأشرطة الأولى من الطواف ، طواف الإفاضة بالخصوص ، يعني أن هذا غير مطلوب في طواف القدوم ولا في طواف الوداع ، ولكن في طواف الإفاضة ، لأنها حصلت في طواف الإفاضة .

فالنبي عليه الصلاة والسلام قال قوله الشهيرة لصحابه بعدما بلغه ما بلغه قال ما معناه : « رحم الله أمرا أراهم من نفسه قوة »^(١) .

وكان حكمة الاصطباح أن يريهم أن الجسم ما زال قويا وسليما ، فهذا هو الكفوف وما هي المناكب ، وكونه يجرى يدل على أن فيه قوة وصحة .

والميلان الأخضران كانا في ملقى الشارع ؛ لأن أصل هذا المسمى كان سبوقا ، والطريق المؤدى إلى الشارع . فكانوا يقدمون ليروا المسلمين وهم يسمون بين الصفا والمروة ، فلما كان المسلمون يحذوهم يحذون ، وهذا دليل على أن عندهم نشاط وعندهم قوة .

وكذلك في الطواف ، لما حدث هنا ورأوهم في المسمى وفي الطواف ورأوا قوتهم وصحة أبنائهم وحزبهم . فقالوا : إن هذا الكلام الذى وصلنا كذب ، فأحدث هذا العمل ببلية في صفوف المشركين .

وقد يحدث أن تطوف طواف الإفاضة وممكن من يطوف طواف الوداع ، أو يطوف تطوعا ، ويكون زحاما ، فإذا أردت أن ترمل ، فبعر عليك ذلك ، فلا ترمل إلا إذا وجدت فجوة تسرع من خلالها . لكن في الرحام فلا ترمل .

(١) روى ابن ماجه [٢٩٥٦] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين أراهم ودخل مكة في عصره بعد المدينة : إن قومكم فداكم حذوكم فلا يروكم بروجكم جلتا ، فلما دخلوا المسجد استلموا الركن ، ورووا ولقي صلى الله عليه وسلم معهم ، حتى إذا بلغوا الركن اليسرى سبوا إلى الركن الأسود ثم رملوا حتى بلغوا الركن اليسرى ، ثم مشوا إلى الركن الأسود ، فقبل ذلك ثلاث مرات ثم مشى الأربع . وسمعه الأقباني .
وأُعيد في المسجد ١٤١٧هـ وقال الأريزوط : يستند قوى على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن خيثم لمن رجال مسلم .

التوكيل في رمي الجمرات

العلماء جنما استقبلوا نسكين : نسك رمي الجمرات ، ونسك البيت في رمي منهم من قال : رمي الجمار واجب وإن تركه بجرم يدم ، وليت يتي إن كان سنة فلا شيء ، وإن كان واجبا بجرم يدم .

نحن قلنا : على المحتالين لنبتهم أن يأخذوا على أحسن الاحتياطات ، وأحسن الاحتياطات أن يكون واجبا ، فإن لم أقدر على القيام به أفديه يدم .

وإن كانت هناك تفسيرات كثيرة : الذي يأخذ بعض الوقت من الليل في رمي يكون قد بات ؛ لكن لاحظ أيضا في هذه أن الناس لها تجاوزات كثيرة في رمي .

هذه التجاوزات في أنه أي واحد يقول لك : زحمة لا أذهب للرمي وسأعمل توكيلا لواحد عرجم نيابة عني !!

صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للنساء والصبيان ، وأصحاب المصالح النافعة للمجتمع كالزكاة والشفاعة و ... إلى آخر ما هو موضح في كتب الفقه . ولكن هل التوكيل مباشرة هكذا ، يقول لك إنه وكل للرحام ، أنه لا يستطيع . تقول له : لا ، الرحام لا يثبت برأيك أنه يوجد زحام ، بل يثبت بأن تذهب ويتنصر عليك ، لا توكل ثم تذهب إلى المحال التجارية والأوراق وتتجرى الهدايا وما لك وطلب ، وكذلك لست في حرج بل في نزعة بالكرام ، وعلى كل حاج أن يحاول لديه ، وليعلم أن الأجر على قدر المشقة .

○○○

إذن .. لك سبحانه وتعالى سر في هذه الليلة ، ولذلك كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ورب الكعبة »^(١) ، كأن هذه الكعبة لا يعلم سرها إلا من خلقها ومن كونها ، ماذا تعمل في النفس ؟ لا تستطيع أن تعرف ما الذي تفعله ، إنما المهم أننا كنا نجميع نحن وأخبارنا ، وأهلنا ليسوا معنا ، ورسائلنا في مصر ، ونكثت تسعة أشهر بعيدين عن الأهل ، كنا نجلس ونستحضر همونا ، ثم بعد ذلك تقول : هيا بنا نظرف فندخل نظرف ، فأول ما ندخل إلى الكعبة وننظر إليها نستمدل اليقين على أن النظر إلى هذه الكعبة عبادة^(٢) . فربما جعل للعائف شيئا ، وللمصلي شيئا ، وللناظر شيئا ، ولذلك أنت عندما تذهب تجد أُناسا فقط جُسين يثيرون إلى الكعبة . راقب المجلس أمام الكعبة تجد نظره لا يحوّل إلى شيء غير الكعبة . لو لم يكن فيه شيء يجذب بصره لا يستطيع أن يتخلع منه نفسه ، لكان من يثني هناك بثلثت هكذا أو هكذا ، لكن لا يعمل ذلك أبدا .

إذن .. تلك سبحانه وتعالى أسرار ، هذه الأسرار قد لا تعرف الحكمة منها أولا ، ولكن بأسر الدين بها أولا لتعرف آثارها في نفسك آتيا .

بعد طوافك للإفاضة يكون قد تم لك التحلل الأكبر ، فإن كان معك أهلك ، حل لك الجميع ، ورتبهم المسألة .

○○○

(١) ورد هذا اللفظ في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما .

(٢) روى السيوطي في المباح الصغير [٢٩٦٦] إجماعا للبهيم في سبيل التوروس من أي حوزة رضى الله تعالى عنه أنه قال : خمس من العبادة : تبة الطعام ، والتورود في المساجد ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر في المصحف ، والنظر إلى رجة الدم . وقال الألباني : ضعيف جدا . وفي رواية له [٢٩٧١] ولم يذكر المصحف لوروى عنه الحديث : خمس من العبادة : النظر إلى المصحف ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر إلى الرابدين ، والنظر في زبرم رمي تحط الهدايا ، والنظر في رجة المالم . وعزاه للمدللطي والسائي . وضعه الألباني .

مثلا : المالكية وبعض فقهاء الأحناف قالوا : إنه سنة . وما دام سنة فإن لم تودعه فلا شيء عليك ، إن أدبته تنائب ، وإن لم تودعه فلا تنائب .

لكن غيرهم و أحمد والشافعي و قالوا : إن عملا واجب ، فما الترق بين الفرض وبين الواجب ؟

الفرض ثابت بدليل قطعي لا شبهة فيه . الواجب ثبت بدليل ظني ، وهذا هو الذي يترق بين الفرض والواجب و الأحناف و .

لكن غير الأحناف عنهم الفرض على الواجب .

أيضا كما قلنا سابقا في خلاصات العلماء في هذه المسائل ، علينا أن نحاط ، فإذا لم نطغ طرف الوداع نعمل دما اسمه دم قضاء طرف الوداع .

وعلياً أن ننبه بعد و طرف الوداع و : ألا تبقى في مكة فنترى الهدايا وتدور على الخلات بل علينا أن نقادر ، وأن يكون آخر عهدنا بمكة طرف الوداع .

○○○

منى مكان ومكين

يقول لك أحد الناس : منى لا أجدها فيها مكانا ، لودحت الحيام ، وكلما وكلما وكلما . فذهب بيئاً قليلاً عن منى .

يقول له : أيضا نحن سنأخذ بالقياس ، إن منى ظلت تودحم ، وتزدحم حتى ذهبت فلم نجد مكانا ، كما لا نجد في الصلاة مكانا إلا في الشارع . فإن كان مكانا فتكون أيضا منى ولو امتدت إلى صماء ، كما قلنا في المسجد ولو امتد إلى صماء .

وهنا حينما تقضى أيام منى يستوى الفرد ، ويستوى الشفع ، ويستوى الثارن و لأن الشفع أنبي تقمعه قبل المسح وقبل الإفاضة وقبل عرفة .

وقنا إن هديه بمجرد ما يستمتع بالعمرة إلى المسح بلبيع ، حتى إن بعضهم قال : يذهبها في المكان الذي يندى فيه الاستماع ، وهي البررة . لكن البررة الآن أصبحت أماكن لا يصح الذبيح فيها ، وتحولها إلى سلبح ، وأصبح لكل شيء مكان مخصص . فلا يقول له : بمجرد ما تستمتع عند البررة وانتهيت من كلما وكلما فاذبح عند البررة ، ولكن يقول له : اذهب فاذبح في حاحر مكة أو حاحر منى .

والثان أيضا سيمثل هذه الأعمال كلها ، ولكن سيكون أيضا قد انتهى من عمرته وظل محرما ، لكن الشفع يطلع إحرامه بعد العمرة ثم أحرم إحراما جديدا من بينه للحج والثان يقلل بإحرامه بعد عمرته حتى يؤدي المسح بإحرام واحد .

بعد ذلك حين تنتهي مناسك المسح ، ويترى الحاج مغادرة مكة ، عليه أن يطوف و طرف الوداع و ، وهذا أمر ضروري لأنك حيث تترور البيت وحجبت وكلما وكلما ، وزيد أن تنتهي منه ، فلا بد أن يكون آخر عملك في هذا المكان هو صلاتك بالمكان الذي جئت من أجله إليه .

ولا يسقط هذا الطواف و طرف الوداع و إلا في حالات مستثناة ، كأن تحيض المرأة ، فلا تقول لها : انتظري حتى تطوف طرف الوداع ، لكن إن كان في طرف الإفاضة تقول لها : انتظري حتى تطوفى ، إلا أن يجعلك الركب فذهبى بئنه ، ولها أحكامها . طرف الوداع أيضا يختلف فيه العلماء ، هل هو سنة أم فرض ؟

لأن الترتيب لم يكن شرعاً لا لفعل الله بين منسولين بمسوح ، ولعمل المنسول وحده ، والمنسوح وحده . يتردّد قال سبحانه : ﴿ فَاقْبَلُوا ذُخُرَكُمْ وَيُذْيَكُمْ إِلَى الْآرَافِ وَأَمْسِكُوا بُرُودَكُمْ وَأَطْلِقْكُمْ إِلَى الْكَلْبِينِ ﴾ .

فجاء بالسح بين غصنين اثنين . فما دام جاء بالسح بين غصنين فهنا دليل على أن هذا ترتيب ، الترتيب ، لا ترتيب ، فهذه هكذا وهذه هكذا ، فليست مسألة آية . وأيضا قال سبحانه : ﴿ فَاقْبَلُوا ذُخُرَكُمْ وَيُذْيَكُمْ إِلَى الْآرَافِ ﴾ لم يحدد فيها الوجه من أين إلى أين ؟ لأن الوجه ليس فيه خلاف عند العرب ، الوجه : ما به الواجبة من منبت الشعر إلى أسفل الذنق ، ومن صفحة الأذن للأخرى ، هذا هو الوجه ، لا اختلاف فيه . فلا يجوز اغسوا وجوهكم إلى كذا . لم يقل : لأنه لا خلاف عند أهل اللغة في هذا .

أما في اليد فقال سبحانه : ﴿ وَيُذْيَكُمْ إِلَى الْآرَافِ ﴾ لأن اللغة العربية التي نزل بها القرآن تطلق على اليد إطلاقات متعددة ، وكل إطلاق يحدد المطلوب منه السياق . مثلا : ﴿ وَالْكَارِثُ وَالْكَارِثَةُ فَاقْبَلُوا أَيُّدِيَكُمْ ﴾ والاشارة : ٢٨٨ فلما جاءوا للقطع ، قطعوا حتى الرشح ، إذن .. فليد أطلقت على هذا الكف .

واليد أيضا تطلق من أول الكف حتى الكف ، وتطلق من الكف إلى المفضل ، إذن فليد لها إطلاقات متعددة عند العرب ، إما إلى الكف ، أو إلى المرفق ، أو إلى الكعب . فتردّد الله تعالى : ﴿ فَاقْبَلُوا ذُخُرَكُمْ وَيُذْيَكُمْ ﴾ ، ولم يقل : ﴿ إِلَى الْآرَافِ ﴾ فلو غسل أحد الكف فقط يمسح ، ولو غسلنا إلى المرفق يمسح ، ولو غسلنا إلى الكعب يمسح . فلو رسل أحد إلى هذه أو هذه فالتس محتمل لهذه وهذه ، ولكن الله سبحانه يريدنا على شكل خاص محدد ، فقال سبحانه : ﴿ إِلَى الْآرَافِ ﴾ وما دام قال ذلك فغير ذلك ليس مطلوبا .

وهنا يكون قد منع الاجتهاد مع النص .
إذن .. إذا أراد الله فاما محكما جاء بالأسلوب الذي لا يحمل سواه .

ولكنه لا قال : ﴿ وَأَمْسِكُوا بُرُودَكُمْ ﴾ فهنا جاء بحرف « الباء » ، فلو قال كما قال : ﴿ فَاقْبَلُوا ذُخُرَكُمْ ﴾ فلو كان أحد يختلف ؟ بالطبع لا ، فلو أرادنا على هيئة

الخلافا في أعمال الحج

الخلافا يجب أن يكون في الاتجاه وليس في التوجه إليه . فمن كلما زبد أن توجه إلى الحق ، ولكن رأيت أن الحق هنا ، رأيت رأيت الحق في غيره ، ولا شيء بأخلاقى وأخذك إلى شيء مضطرب بحقيقته .

والخلافا في الاجتهاد هو ضرب من التفسير في الأحكام ، لأن الله سبحانه وتعالى كما خلقنا وأنا مظهر في أشياء يعبرى على فيها القضاء ، ومختار في أشياء ، كذلك جعل الأحكام ، منها أحكام جبرية ليس لي فيها تصرف وأحكام أخرى تركت للاجتهاد وفق أمور ومقاييس معينة مفعلة في كتب الفقه والأصول ، والاكيف تفسر قول الله تعالى : ﴿ وَكَرَّ رَدُّهُ إِلَى الرُّسُولِ وَأَنَّ الْأَوَّلَ الْأَمْرُ بِهِمْ لِكَلِمَةِ الْإِذْنِ بَيْنَهُمْ ﴾ بينهم وبينه ، والامتناع أن تحاول أن تستبيط الحكم ، ومادمت تحاول أن تستبيط الحكم فمستبطله ليس واضعا لك ، مستبطله هنا غير مستبطله هنا .

وقد قلنا فيما سبق إن أقوى شامد على هذا : إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم للناس فديروا إلى بني قريظة في أمر صلوة المصير .

ولو تدبرنا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا قُتِلَ إِلَى الْكَلْبَةِ فَاقْبَلُوا ذُخُرَكُمْ وَيُذْيَكُمْ إِلَى الْآرَافِ وَأَمْسِكُوا بُرُودَكُمْ وَأَطْلِقْكُمْ إِلَى الْكَلْبِينِ ﴾ والاشارة : ٢٨ فغلب منا سبحانه أربعة أشياء : غسل الوجه ، ثم الأيدي إلى المرفق ، ثم مسح الرأس ، ثم الرجلين . فالرجلين داخلة في المسح أو الفصل ؟

الآية جاءت : ﴿ وَأَطْلِقْكُمْ ﴾ فلم يقل : وأمسحوا برؤوسكم ولرجلكم ، بل قال : ﴿ وَأَمْسِكُوا بُرُودَكُمْ وَأَطْلِقْكُمْ ﴾ فهو عطف على الأول ، على المنسول إذ قال : ﴿ فَاقْبَلُوا ذُخُرَكُمْ وَيُذْيَكُمْ إِلَى الْآرَافِ وَأَمْسِكُوا بُرُودَكُمْ وَأَطْلِقْكُمْ إِلَى الْكَلْبِينِ ﴾ والاشارة : ٢٩ .

والترتيب هنا شرط فإياك أن تدخل شيئا في شيء ، أو تأتى بهما أولا وملا ثانيا ، فلا يمسح . لا إذا ؟

اجتهاد : رائی خلافا

العلماء حينما يختلفون لا شك أن الكل واحد ملحق في المناط تجريبا وتبجيحا
وعقليا ، كل واحد له ذلك ، ليس خلافا هكذا بدون أصول .

فهم اختلجوا في العمرة - مثلاً التي نحن نقول : إما أن تزودى عمرة متتابع أو عمرة فأزاد - فيمضهم قال : لا ، العمرة ليست واجبة ، ولا فرضاً ، بل هي سنة ، لكن جمهرة الفقهاء على غير ذلك .

وكان من رأيي أن يجتمع العلماء لتصفية هذه الأقوال ويواجهون كل واحد ودليله ، حتى تجتمع الأمة في ركن مهم كهذا الركن على شيء واحد ، أما أن يقول أحدهم : سنة ، وآخر يقول : واجب ، وآخر يقول : فرض .

ومن أجل ذلك أقول : ما معنى كلمة : « الحجج » ، ومعنى كلمة : « عمرة » ،
« الحجج » في اللغة : القصد - تقصد أي شيء ، بشرط أن يكون شيئا عقيما . لا
تقول : حججت إلى الحلاق لأحلق . لا ، ممكن : حججت إلى الشيخ أو المعلم لأتسلم
منه ، حججت إلى القاضي لأرفع إليه شكاوي . فلا بد أن يكون القصد إلى شيء عظيم
لا شيئا حقيقا أو هينا ، فلا تقول : حججت للمطعمي لأشترى طعمية . لا . لا بد أن
تُحجَّج إلى عظيم .

إذن .. ! حجبیت : نعمات عظیمہ :

وفي الشرع لا يوجد أعظم في الكون من بيت الله ليصح إليه ؛ وإذا طافنا كلمة ،
الحج ، في الشرع انصرفنا إلى حج بيت الله قال تعالى : ﴿ وَبَقِيَ عَلَى النَّاسِ حُجُّ
الْبَيْتِ ﴾ [آل عمران : ٩٧] ولكن هل جعل الله تعالى للحج زمنا أم طافنا ؟ بالطبع
حدد له زمنا ؛ قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مُعْتَمِدَةٌ مِمَّنْ وَرَضَ فَيُحْجِجَ لَهَا
رَجُلٌ وَلَا مُتْرَكُ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

وإذا كما تريد أن نستطيع أحكاماً فلا بد أن نجد في طلب كل الآيات الثمينة للموضوع ، ونضع الآيات مع بعضها حتى لا نأخذ حكماً من آية ونترك آية أخرى .

واحدة لا أعجزه التعبير ، إما يقول : (رزوركيم) فتكون لكل الرأس . فإن كان يريد البعض ولو شجرة يقول : (اسبحوا بعض رزوركيم) . وإن كان يريد تحديد مساحة يقول ربح ، أو ثلث ، أو نصف . ولكنه لم يقل هذا ولم يقل هذا ، وإنما قال : **هل زانكحوا رزوركيم** ، و (الباء) تشمل في كل هذا ، للاختانة ، الإصطاق ، للمغنية .

إذن .. اتعن ليس صريحا في أنه يريد حكما محققا ، فالتجديد ياخذ هذا ويأخذ هذا .
ولذلك الذي يحتاج بقول : اسمها كلها ويخرج من الخلاف ؛ لأنك إن مسحها
كما دينا المعق ، و دحا الزيم ، وخرت بكل الاحتلالات .

ولذلك يقول البعض من السنة : أن تمسحها كلها .

وَأَخَذَ الْيَهُودُ الْيَسَى وَخَرَجُوا بِهِ إِلَى بَيْتِ لَحْمَى

والإمام أبو حنيفة يقول : لا المسح بغضى آلة ماسحة ، والآلة الماسحة هي اليد ،
واليد التي ، تباشر بها الأفعال هي اليدين ، فعلى الأقل قدر المسح .

إذن .. في أعمال الحج عندما ترى اجتهادات متعددة في أشياء ، فلا تلتفت لتفارب أحكام ، بل قل هي تفسيرات واجتهادات .

حكاية تمل مقام إبراهيم

ما ضاق المطاف بالطائفتين وكثر الطائفون في الخمسينات ، أراد أولوا الأمر أن يثقلوا مقام إبراهيم من مكانه هذا إلى خلف المشعورة ، حتى يتسع المطاف للطائفتين ؛ لأن مقام إبراهيم لم يكن مفتعرا على الحجر الذي قام عليه إبراهيم ، هذا الحجر الصغير ، بل كان حوله بنية ضخمة ، وعليه فائدة وله أعمدة وسقف ، وكانت مساحته كبيرة ، فكان حاجزا لمساحة كبيرة من المطاف ، الأمر الذي يعوق الطائفتين ، وبالفعل بنى المقام ، وأخذ في زيته ، وتقرر أن الملك سعود رحمه الله تعالى عليه سيثقى ليقبل الحجر في المقام الجديد ، ومكان المقام القديم يكون حائزا للمطاف .

أثر هذا واقع لآدون رحمه الله هو الذي كان قائما على العمارة في المسجد ، وزخرف المقام ، وكما يوم السبت ، ويوم الثلاثاء سيثقى الملك سعود ليقبل الحجر من المقام الموجود فيه الآن إلى المقام الجديد ، فكسبت بركة إلى القائمين على الأمر ، هذه البركة تبلغ من طوبىها أنها كلفت في هذا الوقت حوالي ثمانين ربلا ؛ لأنها بركة طويلة وقبها أن هذا عمل لا يصح ، وأن الليل على ذلك وكذا وكذا ...

فصدر الأمر إلى ابن لادن بإيقاف العمل في المقام الجديد ، إلى أن يبت بواسطة العلماء في أمر هذه البركة ، ويجرى الله الشيخ عبد العزيز بن حسن إمام الحرم - في ذلك الوقت - فهو الذي كان مقرا للجنة ببحث البركة والتأكد من صحة ما جاء بها ، وعرضت المسألة ، ووجد أن كلام البرقة كلام صحيح ، فجزاهم الله خيرا على الحق ، ولتعصب له ، فرفقوا الأمر إلى القائمين على الأمر فصدر الأمر إلى ابن لادن بأن يهدم المقام الجديد ، وأن يعزل المقام مكانه .

لكن بعد هدوء هذه الضجة ؛ قلنا : إذا كنا نريد أن نوسع على المطاف للطائفتين فلا داعي للتأدية المقامة حول المقام ؛ لأن الحجر صغير فلا داعي لهذه البنية الضخمة والتبدد والأعمدة التي تشغل حجرا من المطاف ، ويمكن أن تعمل تأقروا من الزجاج على قدر الحجر ، ثم يوضع الحجر بهاخله ، فلا يأخذ من المكان قدر رجلين ، كما هو الآن .

المطح ١٦٥

أنه أمر ، لكن الأمر هنا جاء للإباحة ، ليس معناه أننا كلنا نوجب علينا أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى ؛ من استطاع أن يعمل بهنير أن يؤذى الناس أو أن يعطل مسار الطواف فليقل ، ولا فنى أى مكان من المسجد يعلى ، والإيضاح أن الأمر ليس فرضا يجب على الحاج أو الزائر قبله في هذا المكان تقول : معلوم أن مقام إبراهيم بين الكعبة وبين بعض المصلين ، فكانوا يعجزون أن يصلوا خلف المقام ؛ لأنه يحجزهم عن الكعبة ، أى : كانوا يلاشون المقام ولا يصلون وراءه ؛ لأنهم يقولون المقام بينى وبين الكعبة ولا أحد قال إنك عندما تتجه إلى الكعبة يجب أن تكون خالصا للحوار إلى الكعبة ، افرض أحد عبودا أمامك ، أو جدرا ، هذا لا يحجزك عن الكعبة ، المهم أن الناس كانت تحجز أن تقضى في مقام إبراهيم ؛ لأنه كان يحجزها عن الكعبة ، فإله رفع الحرج وقال : لا تأخذوا بين مقابر إبراهيم تسئلكم وهذا معناه : أن تقضى ولا مانع أن يكون المقام خارجا بينك وبين الكعبة .

الناس تودحهم على الصلاة في هذا المكان ، وخاصة في ركعتي الطواف الأهم كانوا يتأرون : ثم يأتي إلى مقام إبراهيم فقصلي ركعتي سنة الطواف . فكل واحد يريد أن يعلى في هذا المكان .

○○○

المطح ١٦٤

نحرض عمر رضى الله تعالى عنه على أن يوضع مقام إبراهيم في المكان الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دُلي على أن وضعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان توفيقاً بفعل الرسول له .

ومادم أصبح توفيقاً ، بدليل أن عمر رضى الله تعالى عنه قال : نأشدنكم الله أيكم يعرف موضع حجر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز تغيير مكانه . كان هناك حل آخر غير أن نقل الحجر والمائة ونقل له ناقوساً ، وهو بناء دور ثانٍ للطائفتين والمالكين والركع السجود ، وهو ما فطن إليه أولوا الأمر في بلاد الحرمين جراحهم الله خيراً ، فهناك شيء يجب ألا يغيب عن المؤمنين : أن كل منسك أو مكان عبادة يأخذ جوه حكمه ، بدليل أنه لا خلافاً للمسي بالمسعين في الحج ، صلوا مكانا للمسي في الدور الثاني ، وسيمولون مكانا للمسي في الدور الثالث ، وكلما زاد سيزيدوا دوراً أعلى .

إذن .. فمعنى ذلك أن المسي في الدور الثاني هو بيته المسي في الدور الأول ، ولأن جو المكان يأخذ حكمه ، جو المسجد يكون مسجداً ، جو الحرم يكون حرمًا ، جو المسي يكون مسعى ، جو الكعبة يكون كعبة ، الجو نفسه ، ولا فالذي يعلى على سطح المسجد الحرام إلى أي شيء ، يتجه ؟ إذا كانت الكعبة مستورها أسفل من مستواه ؟ فهو يتجه إلى جو الكعبة ؟

إذن .. فالكعبة ليست فقط المباني بل هي المكان ، وهذا الشيء مكث في المكان . الناس الذين كانوا يصلون تحت الكعبة ، أو في أماكن منخفضة المستوى عنها إلى ماذا يصلون ؟ كانوا يصلون إلى جفر الكعبة .

إذن .. فلماذا أن يأخذ الجو جذرها من تحت الأرض إلى السماء فهذه كلها كعبة . بدليل أنه قبل وجود طيارين مسلمين ، كانوا يخشون أن يطير طيار غير مسلم في جو الكعبة ، قالوا : لأنه مدام حراما وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكُمْ ﴾ .

إذن ... فهو المكان يعطى حكمه . فإن كنا نريد توسيع الخائف فيكون أن نعمل أعمدة ونحمل عليها الحجر ، ولكن هذا يمنع الناس من رؤية المقام . فكان الحل الأفضل الذي عليه الآن .

وفي هذا فائدة أخرى وهو أن المقام يدل كونه محجوراً بالمباني والأشياء التي حوله ولا أحد يراه ، أصبح المقام ظاهراً براه كل الناس ، لأن الله تعالى قال : ﴿ هُوَ فِيهِ عَائِنَةٌ يَبِينُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فندعوا الناس تراه .

رشاء الله سبحانه وتعالى أن يتم الأمر على النحو الذي هو عليه الآن . وانتهت المسألة بأن رشح الخائف وبنى المقام في مكانه .

أما البتة في أن المقام لابد أن يظل مكانه : كانت حجة بعض العلماء إنا نريد توسيع الخائف وهذا يعمل رجائاً لإرواح الناس على الصلاة عنده ، وبنائه كثيرة ، ويكون عرق زجاجة عنده ... إلى آخره ، كلام رجي .

واستجروا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل المقام من حوض الكعبة - لأنه كان ملصقاً بالكعبة فقط - إلى مكانه هنا ، فكرون الشيء نقله معناه أن المقام ليس تنبدياً بل بهجز نقله .

نحن قلنا : لا .. صحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نقله ، لكن الرسول له أن يسخّر تشريع رسول آخر ، ولكن ليس لأتباع الرسول أن يفعلوا ذلك ، بدليل أن هناك ميلاً اسمه سيل أم نهشل ، جاء سيل أم نهشل فيقوده ألقى مقام إبراهيم في المسئلة ، فرجع الأمر إلى أمير المؤمنين حينئذ سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو في المدينة ، فجاء مفزعاً ، فلما حضر إلى مكة ، وعلم أن الأمر وجد الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام لبناء المسئلة في المسئلة ، فأراد عمر رضى الله تعالى عنه أن يعينه ، فقال : نأشدنكم الله يا أصحاب رسول الله أيكم يعرف موقع الحجر في زمن الرسول ؟ قال رجل : أنا يا أمير المؤمنين ، كنت أعددت لهذا الأمر عدته ، ورست بين الحجر الأسود والمقام ولون المطم والمقام بمطاط - يعني : بهجل - يعني - قاس من هنا ومن هنا فحينئذ ينشئ الجبلان يكون هو موضع الحجر ، انظروا إلى فطنة سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ، نور الله تعالى بعمرته ، فقال : إن كنت صادقاً فيما تقول فأجلس معي هنا وأرسل إلى بيتك من يأتي بهذه الجبال ، وفعلًا جلس معه الرجل ، خشي عمر رضى الله تعالى عنه أن يذهب الرجل ليعمل هذا العمل من جديد ، فقال له ذلك . وفعلًا جاء الرسول بالجليلين ، وقاموا المسافتين ، ففروا موقع الحجر .

تحيي الموت بالموتين

السؤال : هل من الجائز أن يطلب العبد من ربه

الموت في الموتين ؟

الجواب : لا بأس في أن يطلب الإنسان الموت في أحد الموتين : المحرم النكح والمحرّم المذنب .. مع حسن صلته بربه : باستئال أموره ، واجتناب نهيه ، لا رواء البخاري عن حفصة أم المؤمنين : أن عمر رضى الله تعالى عنه قال : « اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتى في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم » قتلت : أتى هذا ؟ فقال : « يا بني به الله إن شاء الله » .

○○○

فضيلة موائمة يوم عرفة يوم الجمعة

السؤال : ما أفضل حجة الجمعة ؟

الجواب : قال بعض العلماء : إن وقتة عزّات يوم الجمعة تفضل غيرها من خمسة أوجه :

أولاً : موافقة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد حج النبي يوم الجمعة ، وما كان الله تعالى ليختار لرسوله صلى الله عليه وسلم إلا أفضل الأيام .

ثانياً : إن في يوم الجمعة ساعة إجابة للدعاء .

ثالثاً : إن الأعمال تتشرف بشرف الأمانة ، كما تتشرف بشرف الأمان ، وأفضل أيام الأسبوع هو يوم الجمعة ، فإن صادف الحج كان أفضل .

رابعاً : ورد أن أفضل الأيام يوم عرفة ، فإذا ما وافق يوم الجمعة زاد الفضل .

خامساً : إذا كان الحج يوم الجمعة فشر الله لجميع أهل الموقف حتى لو كان الحج يومًا آخر غير يوم الجمعة ، فما وجه التخصيص ، فقال : يحتفل أن الله يعترف لهم بلا واسطة يوم الجمعة ، بينما في غيرها يهيب قوماً لقوم . والله تعالى أعلم .

○○○

والحديث الذي يتحدث عن أفضلية الحج يوم الجمعة بيمين حجة هو حديث ضعيف .

الحجج .. والنية

السؤال : ما حكم من تقدم لأداء فريضة الحج ولم

يخرج اسمه في القرعة ثم مات ؟

الجواب : مجرد تقدُّك الطلب إن خرج اسمك في القرعة أو لم يخرج تكون قد أخذت ثواب الحج في هذه السنة في هذه الحالة ؛ لأن الأفعال بالنية ، فإن عاش فبنيه أن يكرر الطلب كل عام لئلاً تمت أمام الله .. وفي هذه الحالة يكون قد خرج عما ولايه فيه على نفسه إلى ما الولاية فيه لولي الأمر^(١) .

(١) روى البخاري [٥٤] ومسلم [١٥٥/١٠٧] عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وروى عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : هذا الحديث ثبت العلم ويدخل في سبعين باباً من التمتع .

ومن الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه قال : « أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث : حديث عمر : « إنما الأعمال بالنيات » ، وحديث عائشة : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وحديث النعمان بن بشير : « الحلال بين والحرام بين » .

وقد اختلفوا في تقدير قوله : « الأعمال بالنيات » : فكثير من المتأخرين يترجم أن تقديره : الأعمال صحيحة أو متبررة ومقبولة بالنيات ، وعلى هذا .. فالأعمال إنما يُريد بها الأعمال الشرعية المتبررة إلى النية ، فإما ما لا يقتصر إلى نية كالمادات من الأكل والشرب واللبس وغيرها ، أو مثل رد الأمانات والضمائم كالدقيق والنمرب ، فلا يحتاج شيء من ذلك إلى نية ، فيخص هذا كله من صوم الأعمال للذكورة فيها .

وقال آخرون : بل الأعمال جنباً على صومها ، لا يختص منها شيء ، وحكاها بعضهم عن الجمهور ، كأنه يريد به جمهور المتقدمين . وقد وقع ذلك في كلام ابن جرير الطبري ، وأبي طالب المكي ، وغيرهما من المتقدمين ، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد ، قال في رواية حنبل : « أحب لكل من حل عملاً من صلاة أو صيام أو صدقة ، أو نوح من أنواع البر ، أن تذكر نية »

الحجج عن الغير

السؤال : هل يجوز الحج عن الغير ؟

الجواب : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمي ماتت ولم تخرج ، أفأحج عنها ؟ قال : « نعم حتى عنها »^(١) .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه يقول : لبيك عن شربة - قريب له - فقال صلى الله عليه وسلم : « أحججت عن نفسك ؟ » قال : لا ، قال : « وحج عن نفسك ، ثم حج عن شربة »^(٢) .

○○○

(١) روى البخاري [١٨٥٢] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : إن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمي توفيت أن تخرج فلم تخرج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : « نعم ، حتى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين آتت قاضيه ؟ أقضوا الله قاله لحن بالرفاء » .

وروى البخاري [١٥١٦] ومسلم [٤٠٧/١٣٣٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان الفضل بن عباس رضي الله تعالى عنهما رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهات امرأة من غنم ، فبذل الفضل ينظر إليها وتبشر إليه ورجل إلى صلى الله عليه وسلم بهصرف وجه الفضل إلى الناس الآخر ، قالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : « نعم » وذلك في حجة الوداع .

(٢) روى أبو داود [١٨١٦] ، وابن ماجه [٢٩٠٢] وابن حبان في صحيحه [٣٩٨٨] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : لبيك عن شربة ؟ قال : « من شربة ؟ » قال : « نعم » - أو قريب لي - ، فقال : « أحججت عن نفسك ؟ » فقال : لا . قال : « وحج عن نفسك ثم حج عن شربة » . وقال الأثراروط : « صحيح على شرط مسلم » .

○○○

- والشيء الثالث : بمعنى تغيير التصور بالعمل ، وكل هو لله وحده لا شريك له ، أم الله وشيئره ؟

وعنده هي الية التي يتكلم فيها الممارسون في كتبهم على الإخلاص وتوابعه وهي التي توجد كثيرا في كلام السلف القديسين .

وقد صنف أبو بكر بن أبي الدنيا مصنفًا صماه : و كتاب الإخلاص والية ، و قالما أراد هذه الية وهي الية التي يتكرر ذكرها في كلام الشيخ : تارة ليعط الية وتارة ليعط الإرادة ، وتارة باللفظ مقارب للذلك ، وقد جاء ذكرها كثيرا في كتاب الله عز وجل بنظر لفظ الية أيضًا من الأنماط المتأخرة لها .

وقال توفيق من توفيق بين الية والإرادة وقصده ونحوهما ، لمفهوم : اختصاص الية بالمضي الأول الذي يذكره الفقهاء . فمفهوم من قال : الية تختص بعمل التاوي والإرادة لا تختص بذلك ، كما يريد الإنسان من الله أن يفتقر له ولا يفتقر ذلك .

- جامع العلوم والملكم 1 ص : ١٩-٢١ -

- متقدمة في ذلك قبل الفصل ، قال التي صلى الله عليه وسلم : والأعمال بالنيات ، فلهذا يأتي على كل أمر من الأمور .

وقال النعمان بن زياد : سألت أبا عبد الله ، يعني أحمد من الية في العمل ، قلت : كيف الية ؟ قال : يفتح نفسه ، إذا أراد عملًا لا يريد به الناس .

وقال أحمد بن حنبل الطبري : حدثت يزيد بن عازون بحديث غيره : و الأعمال بالنيات ، وأحمد جالس ، فقال أحمد لزيد : و يا أبا جلال هذا الخلق .

وعلى هذا القول ، قيل تقدير الكلام : الأعمال راقية أو حافلة بالنيات ، فيكون إيجابًا من الأعمال الاختيارية أنها لا تتبع إلا من قصد من العمل هو سبب فعلها ووجودها ، ويكون قوله بعد ذلك : و راقيا لكل امرئ ما توى ، وإيجابًا من حكم الشرع ، وهو أن حفظ العمل من عمله يبه ، فإن كانت صالحة فعمله صالح لله أجره ، وإن كانت فاسدة ، فعمله فاسد فله وزره ، ويحصل أن يكون التقدير في قوله : و الأعمال بالنيات ، صالحة أو فاسدة ، أو مقبولة أو مردودة ، أو معاتاة عليها أو غير معاتب عليها بالنيات ، ويكون غيرها عن الحكم الشرعي : هو أن صلاحها ونساقها بحسب صلاح الية وقسارها ، فكله صلى الله عليه وسلم : و إذا الأعمال بالمعروف والنهي عن المنكر ، أي : أن صلاحها ونساقها وقبولها ورفضها بحسب الحاشية ، وقوله بعد ذلك : و راقيا لكل امرئ ما توى ، وإيجابًا لا يحصل له من عمله إلا ما توى به ، فإن توى خيرا حصل له خير ، وإن توى شرا حصل له شر . وليس هذا تكريرا محققا للحكمة الأولى ، فإن الحكمة الأولى دلت على أن صلاح العمل ونساقه بحسب الية للتعبية لإيجاده ، والحكمة الثانية دلت على أن توجب العمل على عمله بحسب نية الصالحة ، وأن يتأخر عليه بحسب الية الفاسدة .

وقد تذكر نية هامة فيكون العمل ساجدا ، فلا يحصل له ثواب ولا عقاب ، فالعمل في نفسه : صلاحه ونساقه وإباحته بحسب نية - الحاشية عليه ، والتعبية لوجوده ، وتوجب العمل وعقابه وسلالات بحسب الية - التي صار بها العمل صالحا أو فاسدا أو مباحا . واعلم : أن الية في الية نوع من التمسك والإرادة ، وإن كان قد توفى بين هذه الأنماط بما ليس هذا موضع ذكره .

والية في كلام العلماء تقع بمعنيين :

المنى الأول : بمعنى تغيير المبادئ بعضها عن بعض ، - كتحيز صلاة الظهر من صلاة العصر مثلا ، وتغيير صيام رمضان من صيام غيره ، أو تغيير العبادات من المبادئ - كتحيز الغسل من الجنابة من غسل التبريد ولتعتق ونحو ذلك . وعلمه الية هي التي توجد كثيرا في كلام الفقهاء في كتبهم .

(١) جوه من حديث زكوة المجلد ١٧٦ ص ١٦١ من سهل رضي الله تعالى عنه .

ثواب الحج البرور

ما ثواب الحج البرور ؟

المسؤال :
الجواب : قدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة » (١) .

فمنذما توجه الإنسان لأداء فريضة الحج ، فإنه يترك بينه وأهله وماله متوجهًا إلى بيت الله الحرام ، مليئًا بدعوة الله ، وقرى الحجاج حين يحرم ويحج لا يخطر بباله شيء من أمور الدنيا ، فإذا ما انتهى من أعمال الحج ، تشوق إلى أهله ووطنه ، وتلك حكمة أخرى ، لأنه لو لم يشوق للمودة إلى الأهل والوطن ، انشاق المكان بائسين .

وكون الحجاج يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، هذا يعني الذنوب التي بينه وبين ربه ، أما الذنوب التي بينه وبين المباد ، فلا بد أن تؤدي قبل الحج ، ولذلك نجد من دقة التكليف أن الذين لا يصح أن يحج إلا إذا استأذن صاحب الدين ، أو كذبه ، فإن كان عنده وفاة للدين في بلدته وفي به ، فإن لم يكن عنده وفاة أوصى بالوفاء من تركه . ولا يصح أن تقول : إن الجزاء أكبر من العمل ، لأن تناسب الصفات لا يجوز أن يلاحظ إلا بين المتساويين ، يعني إلا أن كانت الصفة مدفوعة بين متساويين ، إنا حين نقس الصفة المدفوعة بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده ، فلا يصح أن تقول : الجزاء أكبر من العمل ، لأن الله هو الذي حدد العمل ، وحدد الجزاء .
ولنفرض أن إنسانًا زرع وردًا جميلًا ، ثم قدم وردة للملك ، فأعطاه ألف دينار ، هل تقول : إن الملك أعطاه أكثر من ثمن الوردة ؟ لا تقول هذا .

○○○

(١) رواه أحمد في المسند [٢/١٢٤٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال الأثرناوط : بإسناده صحيح .

لماذا الحج ؟

لماذا نهج ؟

المسؤال :
الجواب : أولاً : نهج لأن الله أمر به ، وجعله ركن من أركان الإسلام على المستطيعين له ، ثم أمرة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حج وقال : « خذوا عني مناسككم » (١) .

حين سن الله الاعتكاف لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذنا في آخر رمضان إلى اعتكاف في المسجد تاركين الأهل والأولاد والأعمال فإنه ارتقاء للتصعيد التكنيفي ، لأن إلف المكان وإلف السكان وإلف الأهل يعمل في النفس البشرية بعض المواقف عن الله ، فيخرجنا هذا الخروج لنعرب العناء الذي يفتي لنا ونعمود أن نترك الأهل بعض الوقت لأنه يريد أن يبدنا لرحلة أخرى هذه الرحلة تعتبر الركن الخامس من أركان الإسلام لأنه بعد وقت معين سنترك كل شيء ، ونذهب إلى الحج فتغني شيئًا من إلف الترك للأهل والمال والبيت . فمنذما يذهب الإنسان للحج يكون قد استكمل أركان إسلامه ، ويصبح البيت الذي يتجه إليه بطلب يؤمن به عن يقين ، أصبح يراه عين اليقين فيرى بيت ربه الذي كان يوجه إليه ثم يعرف به ويؤدي الشاكر فعبش بعد علم اليقين بيت الله في حقيقة اليقين بيت الله ، حيث يكمل إيمانه فالأركان والأسس التي ينشئ عليها الإسلام قد تمت له ، وبقي أن يكمل بيعة الإسلام لأن الأركان ثمانية وبيعة الإسلام التي توضع على هذه الأركان هي كل حركة في الحياة .

○○○

(١) رواه البيهقي في الكبرى [١٢٠٧] عن جابر رضي الله تعالى عنه .

الطواف حول بيت الله

المستشرقون وأعداء الإسلام يقولون : إن السَّؤال :

الإسلام حرم الوثنية ، وبالرغم من ذلك

فالمسلمون أنفسهم يطوفون حول الكعبة ،

كيف يمكن الرد عليهم ؟

الجواب : إذا كان المرتدون في دين الله والمجربون عن نية التكليف لفعلوا عن أَسْرَارِها - يشهدون بأن الإسلام قد أبقي على مظاهر الوثنية حين أمر بتعطيم البيت طوافاً حولهُ ، وحين كلف بتعطيم الحجر استلاماً له : إذا كان ذلك - فإن هؤلاء وهؤلاء يهتفون بما يعرفون ويعارضون غيرَ دعائية على الإخلاص لعبادة إله لم يؤمنوا به ولم يفتقروا عنه ، ولقد فرق الفارق غير من الخطاب رضى الله عنه بين حق من الله وباطل من أعدائه ، فقال محامداً الحجر : « أنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يهابك ما قبلتك »^(١) . وبهذا أعلن رضى الله تعالى عنه فصل الخطاب

(١) روى البخارى [١٥٩٧] ومسلم [٤٨/١٢٧٠] عن عمر رضى الله تعالى عنه : أنه جاء إلى الحجر الأسود قبله ، فقال : إني أعلم أنك حجر ، لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رضى الله تعالى عنه وسلم يهابك ما قبلتك .

قال المذايظ في الفتن : « لا تضر ولا تنفع » أى : إلا يؤذ الله ، وقد روى الحاكم من حديث أبى سعيد أن عمر لما قال هذا قال له على بن أبى طالب : إنه يضر وينفع ، وذكر أن الله لا يؤذ المراتق على ولد آدم كيب ذلك في رق وألقمه الحجر ، قال : وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤذى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن أسلمه بالرسيد » وفى إسناده أبو حازم الميمى وهو ضعيف جداً .

وقد روى النسائى من رجه آخر ما يشير بأن عمر رفع قوله ذلك إلى رضى الله تعالى عنه وسلم أخرجه عن طريق طاووس عن أبى عاصم رضى الله تعالى عنهم قال : « رأيت عمر قبل الحجر ثلاثاً ثم قال : إنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما قبلتك » ثم قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك » . -

قال الشيرى : إذا قال ذلك عمر لأن الناس كانوا سجدنى عهد بمادة الأسماء فخشى عمر أن يفتن الجاهل أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل فى الحاملة فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلام الحجر ليعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر ينفع ويضر بدينه كما كانت خرافية تعتقده فى الأوثان .

وقال الجاهل : حديث عمر هذا يرد على من قال : إن الحجر عين الله فى الأرض يصافع بها عباده ، ومادة الله أن يكون له حجارة ، وإن شئت قبلته اختياراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يفتح وذلك شبه بقصة إبلى حيث أسر بالسجود لآدم .

وقال الجاهل : معنى قد عين الله فى الأرض أن من صافحه فى الأرض كان له عند الله عهد ، ورحمت المادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة من يرد مولاته والاختصاص به فحاشاهم بما بهبهوه .

وقال الجاهل الطيرى : معناه أن كل ملك إذا قدم عليه الرائد قبل بيه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم حسن له قبلته نزل منزلة عين الملك ولله المثل الأعلى .

وفى قول عمر هذا : التعظيم للحجج فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكلف عن مشيئها وهو قاعدة عظيمة فى اتباع رضى الله تعالى عنه وسلم فيما يفعله ، ولولا لم يعلم المحكمة فيه ، وفيه دلل ما وقع لبعض الجهال من أن فى الحجر الأسود خاصة ترجع إلى ذاته ، وفيه بيان السنن بالقبول والاعمال ، وأن الإنسان إذا خشى على أحد من فعله فساد اعتقاده أن يبادر إلى بيان الأمر ويوضح ذلك .

قال شيخنا فى شرح لرسئى : فيه كرامة تثليل ما لم يرد الشرع بتقبله ، وأما قول الشافعى ومهما قبل من البيت فحسن فلم يرد به الاحتجاب ، لأن المباح من جملة الحسن عند الأصولين . و تكسبا : اعترض بعض المحدثين هل الحديث المأثى فقال : كيف سordه خطايا المشركون ولم يبعث طاعات أهل التوحيد ؟

وأجيب بما قال ابن قتيبة : لو شاء الله لكان ذلك ، ولما أجرى الله العادة بأن السواد يصنع ، ولا يصنع على العكس من اليابس .

وقال الجاهل الطيرى : فى عاقته أسود حيرة لمن له بصيرة ، فإن الجاهل إذا أثرت فى الحجر الصلابة فتأثيرها فى القلب أئند .

قال : وروى عن أبى عاصم رضى الله تعالى عنه إذا خيره بالسواد فلا يمشى أهل الدنيا إلى زينة الجنة ، وإن ثبت قبلها هو الجواب .

قلت : أمرجه الميمى فى فضايل مكة بإسناد ضعيف . والله أعلم .

حجوا قبل ألا تحجروا

المسؤال : ما المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم :

« حجوا قبل أن لا تحجروا »^(١) ؟

الجواب : هذا القول - على فرض صحته - يعني : أنه إذا تسرت ظروفك ، وكان باستطاعتك الحج في وقت معين في حياتك ، فانتبه هذه الفرصة بسرعة ، وأد هذا الفرض ، قريبا يأتي وقت آخر لا تستطيع فيه أن تحج .

وكذلك أينما بالنسبة للصلاة ، فمطلوب منها أن تؤدي في أول وقتها وذلك لأنه من الذي يفرض لنا أن نعيش إلى آخر الوقت ؟ صحيح أنه لو أتى الله حياتنا إلى آخر الوقت فلا إثم علينا ، فالتأخر المستطیع الذي لم يحج يقول له : إنك حتى هذا الوقت غير آثم ، ولكن إذا توفاك الله تكون آثما .

كذلك الصلاة ، إذا مات الفرد قبل أدائها مع حلول وقتها : يكون آثما لأنه أخر الأداء عن أول الوقت .

○○○

وأما وجه التكليف بلا إسراف ودون ترفيف ، وكانى يعمر رضى الله تعالى عنه يفتى عن الحجر أن ينبغي بذاته وهنا لا ينبغي أن يشهد الحاجر لمن استلمه عند من يملك رحمة النفع والضر .

○○○

(١) رواه الحاكم في المستدرک [١٦٤٧/١٦٤٧] وقال الذهبي : حسن رواه ويحيى إسماعيلي ليس

بمطبعة .

ابتلاء هاجر .. وشعيرة الحج

السؤال : ما موقف السيدة هاجر عندما تركها

زوجها وطفليها الرضيع سبيئاً إسماعيل ؟

وكيف جازاها الله على صبرها وإجلالها ؟

الجواب : لما كانت عندما شجة على صديقها في قولها : « إذن لن يضيئنا » ويريد الحق أن ينتهي معها سبع مرات بلا نتيجة ، وتعود إلى وليدها « فتجد الماء عند قدم الوليد » وهكذا صدقت هاجر في يقينها ، عندما وثقت أن الله لن يضيئها ، وأراد الله أن يقول لها : نعم لن أضيئك ، وليس بسعيتك ؛ ولكن يقدم ظفلك الرضيع ؛ يضرب بها الأرض ، فتبع منها الماء . وضرب الوليد الأرض بقدمه سبب غير فاعل في المادة ، لكن الله أراد سبيئاً حتى يستقي السبيبة ولو لم تود إلى النضر في المادة .

وحزن وجدت هاجر الماء عند قدم رضيعها أيعت حقاً أن الله لم يضيئها . وظل السعي شعيرة من شمائر الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام ، استدامة لإيمان المرء بالمسيب وعدم إعماله للمسبب ، وحتى يقبل الإنسان على كل عمل وهو يؤمن بالمسيب . ولذلك يجب أن تفرق بين التوكل والتوكل .

إن التوكل عمل قلب وليس عمل جوارح ، والتوكل تعطيل عمل جوارح . ليس في الإسلام توكل ، إنما الجوارح تعمل والقلوب تتوكل . هكذا كان توكل هاجر ، لقد عملت وتوكلت على الله ، فزقها الله ما تريد بأهون الأسباب ، وهي ضربة قدم الوليد للأرض . وبقيت تلك المسألة شعيرة من شمائر الحج والعمرة وهي سبعة أنوار بين الصفا واللوة . وعندما غفل الناس عن عبادة الله ، ودخلت عبادة الأصنام الجذرة العربية ، أوجدوا على جبل الصفا صبيئاً أسموه « إسماعاً » وعلى اللوة صبيئاً أسموه « نائلة » . وكانوا يترددون بين إساف ونائلة ، لا بين الصفا واللوة ، لقد تقلوا العبادة من خالصية التوحيد إلى شائبة الوثنية .

الحج ١٨١

الزودلفة

السؤال : ما معنى الزودلفة ؟

الجواب : عندما تغفل الشيطان لإبراهيم رحمه بالحمى سبيئاً في المرة الأولى ، ثم عاوده مرة أخرى أخرى فزجه سبيئاً ، وجأه في الثالثة فزجه سبيئاً ، بعدها لم يأت له ثانية ، فجرى إبراهيم المطلق مخافة أن يلاحقه ، ولذلك شى الككان بالزودلفة ، والزودلف هو السرح ، ويسمى « ذا الجاز » أى أنه اجاز الزودلفة ، ويكون قد عرف المسألة عند عرفة^(١) .

○○○

(١) والزودلفة هي : موضع يكلمه يتكرب إلى الله فيها ، وسببت الزودلفة من الأرواف وهو الإجماع ، لا إجماع الناس بها ، أ.م. .

الحج ١٨٠

أفعال الجاهلية طمأنهم الحق سبحانه وتعالى ، وقال لهم : **﴿ هِيَ آيَةُ الْآيَاتِ وَالْمُتَوَكِّلُونَ ﴾** .

وكلمة « صفا » معناها المحجر الأسفل ، وأصبح كذلك من كثرة المسلمين له على مر الزمان ، وقال : إن الصفا مشهورة إلى اصطفاة آدم ، وقال : إن اللزوة مشهورة إلى اللزاة التي هي حواء ، لكنه كلام يقال ولا تتوقف عنده كثيرا ، لأن علمه لا يقع وجهه لا يفسر ، فأنهم بالنسبة لنا أنه مكان تردت فيه هاجر وهي تطلب الماء لآبها ، إن الحق جمل السعي بينهما من شمائل الله ، والشمائل هي معالم العبادة ، وتطلق دائما على المعالم المكانية ، ويقال : ههنا معارف ، وههنا مسمي ، وههنا مرمي المحجرات ، وههنا المشعر الحرام .

إن كلمة « المشعر » تعني المكان الذي له عبادة مخصصة ، وبما أن الصفا واللزوة مكانان فقد جاء وصفهما بأتهما **﴿ هِيَ مِنْ شَمَائِلِ اللَّهِ ﴾** ، والبزرة : ١٥٨ هـ **﴿ قَتْنٌ حَيْجٌ أَيْبَتٌ أَوْ لَيْتَمٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَوَّكَ يَوْمًا ﴾** . كان الحج والعمرة لهما شيء بهما في مقام الترضية ، ولهما شيء آخر بهما في مقام التطهير ، فإن أدى المسلم الحج والعمرة مرة يكون قد أدى الفرض ، وههنا لا يمنع أن تكرر الحج والعمرة مرة تطوع مقبول بإذن الله .

رساعة تقول : « لا جناح عليك أن تفعل كذا » فمعنى ذلك أنك إن فعلت فلا إثم عليك ، لكن ليس خطأ في أن تفعل ، وليس فرضا في أن تفعل ، وههنا ما جعل بعض الناس يقولون : إن السعي بين الصفا واللزوة ليس ركنا من أركان الحج ، ويتناول لهؤلاء : هذه آية جاءت لسبب ، وهو أنهم كانوا يحجرون من الطواف في مكان يطوف فيه الشركون فقال لهم : **﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَوَّكَ يَوْمًا ﴾** .

إن نفي الجناح لا يعني أنك إن لم تفعل يصح ، لا ، إنه سبحانه يود على حالة كانوا يحجرون منها ، وقوله تعالى : **﴿ يَتَلَوَّكَ يَوْمًا ﴾** يستدعي منا وقفة ، إن الحاج أو المعتمر يسعى بين الصفا واللزوة ، فلماذا وصف الحق ههنا السعي ؟ : **﴿ يَتَلَوَّكَ يَوْمًا ﴾** ؟

فلما جاء الإسلام أراد الله ألا توجهه المسلمون في صلاتهم إلى البيت الحرام إلا بعد أن يظهر البيت ويحمله خاله الله ، فلما ذهب بعض المؤمنين إلى الكعبة تحرروا أن يسعوا بين الصفا واللزوة ، لأن « إسافا » و « نائلة » فوق الجبلين ، فكانهم أرادوا أن يطعموا كل صلتهم بهاديات الجاهلية ، واستكبر إعتانهم أن يرددوا « إساف » و « نائلة » فأتوا الله قوله الحق : **﴿ هِيَ آيَةُ الْآيَاتِ وَالْمُتَوَكِّلُونَ ﴾** فمعنى حَيْجٌ أَيْبَتٌ أَوْ لَيْتَمٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَوَّكَ يَوْمًا ومن تَلَوَّحَ حَيْجًا فَإِنَّ اللَّهَ عَاكِرٌ عَلَيْهِمْ **﴿ وَفَرَّة : ١٥٨ هـ ﴾** ، أي لا تحرروا من هذا الأمر ، لأنكم مستمرون بين الصفا واللزوة ، لا بين إساف ونائلة كما كان يفعل المشركون الوثنيون ، إذن فأنعمل هنا كان بالنية .

لقد كانت نية السعي الأولى عند هاجر هي الإيمان بالله والأخذ بالأسباب ، لكن الوثنية قلبت نية الإيمان إلى حقيقض الشرك ، وكان لابد أن يستعيد المسلمون نية الإيمان الأولى عند زيارة البيت الحرام بالاسم بين الصفا واللزوة ، فنحن في الإسلام نتخبط لأمر الأمر ، قال لنا : « قبلوا المحجر الأسود » ، وفي الوقت نفسه أمرنا بأن نرحم المحجر الذي يمر إلى إبليس ، هكذا تكون البزرة بالنية ، وليس بشكل العمل ، وتكون البزرة في إطاعة أمر الله . وكان الحق بهذه الآية يقول للمؤمنين : إن للشرك عبدا « إسافا » و « نائلة » ، لكن أنتم أطروا المسألة من بالكلم ، وانضموا إلى الصفا واللزوة ، فالصفا واللزوة من شمائل الله ، وليستا من شمائل الوثنية ، ولكن خلال الشركين هو الذي خلط عليهما الوثنية في إساف وفي نائلة . لقد أراد الوثنيون بوضع « إساف » على الصفا و « نائلة » على اللزوة أن يأخذوا صفة التقديس للأوثان ، فلو لا أن الصفا واللزوة من التقديسات سابقا لا وضعا عليهما أحجارهم ، ولآ جاورا بأصنامهم ليعبدها على الكعبة ، ههنا دليل على أن قداسة هذه الأماكن أسبق من أصنامهم ، لقد حرموا وثنيهم بوضع « إساف » و « نائلة » على الصفا واللزوة .

وبعد أن بين الحق للمؤمنين أن الصفا واللزوة من شمائل الله ، بينه على أن المكين - ساكني المكان - لا يحسب المكان ، بدليل أن الإيمان عندما نجيت له الغاية ، كسر الأصنام وأزالها من الكعبة وأصبح البيت طائورا ، وعندما كان المؤمنون يحجرون أن يمشوا فعلا من

عزفة وسمو التسمية

السؤال : لماذا سميت عزفة بهذا الاسم ؟

الجواب : لقد رأى إبراهيم عليه السلام في الرؤيا أنه يذبح ابنه إسماعيل ، وفي مسألة شائعة على النفس ؛ لأنه ابنه الوحيد ولأنه سيذبحه بيده .

وجلس إبراهيم في هذا المكان بدور فكره ويزرى ، ولذلك سمى اليوم الذي قبل عزفة بيوم « التروية » .

وفي اليوم التالي تأكد أن الرؤيا حق .. وعرف أنه لابد أن يذبح ابنه ، فسمى المكان الذي عرف فيه حقيقة الرؤيا « عزفة » .

أو أن جبريل كان يعلم إبراهيم عليه السلام ما سلك المسلك في هذا المكان .. ويقول له عرفت ؟ فإبراهيم عرف .

وقد يكون يعني أن الإنسان يعرف فيها سمة رحمة ربه ، فيلجأ إلى هذا المكان وكل واحد يعرف ذنبه ويستغفر الله في ذل وخضوع .

وعلى كل حال فإن اختلاف الماني ، واختلاف الملايسات التي أدت إلى هذه التسمية يوم عزفة أو يوم التروية .. لا تعارض بينها ، والله تعالى أعلم .

○○○

لكي نعرف ذلك لابد أن نوضح معنى « طاف » و« جال » و« دار » . إن « طاف » تعني : « دار حول الشيء » ، ف« الدارة » التي بين الصفا والمروة حتى يسميها الحق طوافاً ؟ إن الدائرة حول الدائرة يبدأ من أي نقطة فيها كبداية ، لتكون تلك النقطة نهاية ، لكل طواف حول دائرة نجد فيه أن كل بداية فيها تعتبر نهاية ، وكل نهاية تعتبر بداية ، وأي حركة من وإلى شيء واحد يصنع دائرة .

وصحيح أن من يسمى بين الصفا والمروة لا يدور ، ولكنه سيذهب من الصفا إلى المروة ، ثم يقلب عائلاً إلى الصفا ، ثم منها إلى المروة ، وهكذا يسمي الأمر طوافاً ، ومثال آخر من حياتنا اليومية ، إن الشرطي الذي يطوف بحراسة الشوارع والمنازل بالليل ، قد يلف الدببة كلها ، ويمكن أن يلف شارعاً واحداً أو مكان حراسه ، هذا الدوران في الشارع من أوله إلى آخره عدة مرات يسمى طوافاً بينهما ، وهكذا منهم معنى ﴿ يَتَوَكَّدُ بِيَوْمًا ﴾ ، أي يعني بينهما عدة مرات من بداية هي نهاية .

وهكذا نجد أن السمي بين الصفا والمروة هو جزء من شمات المسح والمروة . ونجد أن الفرضية في المسح والمروة أساس ، والتفويج بذكر المسح والمروة هو خير . فو تَوَكَّدَ ﴿ يَتَوَكَّدُ بِيَوْمًا ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ تَكَايَرًا بَيْنَهُمْ ﴾ والبداية : ١٦٨٨ .

وعلى القول بتعني أن منهم أن التاكر أصابه نعمة من المنكر .

○○○

نرمي حجراً بحجر

السؤال :
ما المبنى من رجم الشيطان وهو حجر
نرميه بحجر؟ وما علاقة الشيطان بهذا
الحجر؟ وهل الشيطان موجود فيه؟

الجواب : بعض العلماء يقولون إن الشياطين تجس في هذه الأحجار في أيام متى .. ونحن نقول لهم سواء أكان هذا صحيحاً أم غير صحيح .. فإنه اختيار كما قلنا للإيمان في القلب .. ففئة الأساب الإيجابية ليست في أن نفهمها .. أو نفهمها .. أو نفهمها .. ولكن علة الأشياء في أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بها .. إننا نقول حجراً ونرجم حجراً .. والسبب في هذا أنك حين نرجم الشيطان لابد أن تعرف أنه لا يترك قضية إيجابية إلا حاول إنساده ، وقد لاحظ الشيطان سببنا إبراهيم عليه السلام .. وكلما رآه إبراهيم كان يعاوده مرة ثانية .. ونحن بالرجم نحمل أمر الله أولاً ، ونحصى سنة أينما إبراهيم عليه السلام الذي سمنا مسلمين من قبل وفاة لن ربي .. كما يقول الله تبارك وتعالى عنه في كتابه الكريم : ﴿ وَابْرَأْهُمْ إِلَهِي وَكَفَى بِهِ ۚ وَالْحَمْدُ : ٢٣٧ .

إننا حين نرجم إبليس في الحج بحسب أن يكون عزماً هو ألا نطيعه بعد العودة وأن يكون شعوراً أننا تمنينا عليه ، ويجب أن تستمر هذه الغلبة بعد الحج لأنه رغم دمه وروحيته لجعلنا لا توثر بالله .. سبحانه .. أما .. ورغم محاولته لأن يجعلنا نشرك بالله لم نشرك ، ثم أينما إلى الحج فأدبنا الناسك وارددنا في الطاعة ..

إن الرجم هنا رمز لاتصارتنا على الشيطان ، وهو يوم لمة وخسران بين الشياطين .. والشيطان ملعون من الله ومن الملائكة ومن المؤمنين ، لمة الله غيب عنا ولكنها موجودة ومستورة .. ولمة الملائكة غيب عنا ولكنها موجودة ومستورة .. أما نحن فإتينا فعلنا لمتنا للشيطان بطريقة مادية ، وهي الرجم في متى ، في هذا اليوم نرمي الشيطان في أخضر وأذل حاله .

الحج ١٨٧

الرحمة في الحرم

السؤال :
ما المقصود بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبيسط في الحرم - الكعبة - مائة وعشرين رحمة ؟

الجواب : الحق سبحانه وتعالى يريد بنا اليسر .. وكل من في الحرم له ثوابه .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تعالى يقول في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة يزل على هذا البيت ، ستون منها للمؤمنين ، وأربعون للمؤمنات ، وعشرون للناسخين »^(١) .

إنك إذا جلست تنظر إلى الكعبة تولت عليك الرحمة .. وأنت عندما ترى الكعبة وتنظر إليها تخفق كل همومك ولا يبقى في بالك إلا الله سبحانه وتعالى .. ولو جلست ساعات أمام الكعبة فإن نظرك لا يتحول عنها .. ولا تستطيع أن تخرج نفسك منها ، ما دمت جالسا أمامها .. وإذا أردت تفسيراً للملك فقد لا تفصل إليه ؛ فإن في النفس البشرية ملكات لا يعرفها إلا الله سبحانه وتعالى .

○○○

(١) روله الطبراني في المعجم الكبير [١/١٠٦/١١٤٧٥] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

زيارة المسجد النبوي

معلوم أن زيارة المسجد النبوي الشريف ليست من نسلك الحج ، حتى تبين للناس الذين يقولون : و من لم يزر مكانه لم يهجع ، إن هذا ليس بحديث نبوي ، ولكنه معنى نفسي .

الحاج يقول : كيف أذهب للحج ولا أزرر حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ هذه مسألة غير مستحقة ، وإن كانت ليست من النسل .

وإن في رأي أن الله سبحانه وتعالى قدر لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقيم بالمدينة ويقول لأهلها من الأنصار رضي الله تعالى عنهم : و احجيا محياكم والممات محاكم ، وهذا يعني : مسورت هنا ونحيا هنا ، وحتى لا يظن خان أن هذا الكلام يمارض مع قول الله تعالى : ﴿ وَما كُنْدى قَتلى مَأْذًا تَصْغِيْبًا مَّا وَما كُنْدى قَتلى بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ ٢٣٤ قال صلى الله عليه وسلم ذلك بعد ما قسم النخالم ولم يخط الأنصار شيئا ، فاستند على الأنصار ، فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم : و أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والذئب وتموتون بغير رسول الله سالما ، لو سلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار ، احجيا محياكم والممات محاكم (١) .

(١) روى ابن حبان في صحيحه [٢٧٦٠] عن عبد الله بن رباح قال : وفدت وفدا إلى معاوية في رمضان أنا قومه وأبو هريرة ، وكان بعضنا يبيع للبعض الطعام ، وكان أبو هريرة يكثر أن يذهبوا على رحله ، فقلت : لو صنعت طعاما ثم ذهبتهم إلى رحلي فأمرت بهم فلم يبيع ، ثم لقيت أبا هريرة من النخس فقلت : يا أبا هريرة الدهرة عندى الليلة . فقال : سيجتى . قال : فذهبتهم إلى رحلي إذ قال أبو هريرة : ألا احياكمم أو احياكمم إلى أحياكمم بحديث من حديثكم يا مشر الأنصار حتى يترك الطعام فذكر فتح مكة فقال : لئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعل مكة خير على أحد الجنتين ، وبعت خالده بن الوليد على السرى ، وبعت أبا هيفة على المنسر فاحذروا الوادى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبه ، وقد بعثت فريش أربابنا لها ولرباعا لها قتالوا : فقتلهم هؤلاء وإن كان لهم شيء ، كنا معهم وإن أسيروا أعطينا ما سألوا ، ففتر رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبى قتال : يا أبا هريرة اعطى

إنه يوم النار والقصاص من الشيطان الذي وسوس لك ، إنه يوم الاعتصار على أعدى أعدائك .. ويجب أن يقل عدوك اللدود .. وفي نفس الوقت أخذت الدرس فيما بعث من حياتك .. لا تدعه ولا تعطه الفرصة لكي يتعصر عليك مرة أخرى .. تقل أوامر الله وواعيه بيقين وارض بقضاء الله .. فإن فعلت أغلقت جميع منافذ الشيطان .. فلا يكون لك عليك أى سلطان .. فليس أى ابتلاء من الله لك يعني أنه عاصب عليك لأنك لا تدري ماذا أخفى الله في قلبه .. فقله ابتلاء به لأنه يريد أن يتردد ثوابا على الطاعة وتردد أجرا على عدم الوقوع في المصيبة أو ليرفع درجاتك والله سبحانه يعلم - وهو العليم - صدق توجهك ورضائك في كل ما تأتى به للقادر ليحريك من الصدق والرضا أحسن الجراء .

○○○

ورضينا لذلك المثل قلنا : و الهى له قانونين : قانون يقظة وقانون نوم ، قانونه فى النوم أشف وأخف من قانونه فى اليقظة ، يقول لك : أنا رأيت فى الرؤية فلان لاسى أبيض فى أبيض وراكب حصان شكله كذا وصفته كذا ، وقال لى كذا .

كيف رأيت هذا وأنت نائم عيناك مغمضة ؟

إذن .. فقد رأيت بغير عين رسمت بغير أذن ، وأدركت بغير وسيلة إدراك . فهذا دليل على أن النوم له قانون . ومادام النوم له قانون فالتو أيضا له قانون ليس كقانون الحياة . ومادام التو له قانون أشف من قانون النوم ، والنوم له قانون أشف من قانون اليقظة ، إذن .. فاليقظة له قانون أشف من قوانين الجميع .

إذن .. فتخذ كل شىء بقوانينه ، وسلم على حضرة التى صلى الله عليه وسلم بالسلام الذى يلهيك الله به ، ولكن بأدب ، بغشوخ ، لا ترفع صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بد أن تلحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسره منك أن تضمه فى موضع أعلى من موضعه الذى وضعه الله تعالى فيه ، فإياك أن تتعالى فيه كما غالت بعض الأمم الأخرى فى أنبيائهم ؛ لأن هذا لا يرضى حضرة التى عليه الصلاة والسلام لكن تكلم عنده بأدب ، سلم عليه كان تقول :

السلام عليك يا رسول الله ، يا رحمة الله للعالمين ، يا خاتم الأنبياء والمرسلين ، يا كذا ، قل ما شئت من مكارم أخلاقه ، وما وصفه به رب العالمين فى القرآن الكريم ، أو صل عليه الصلاة التى اعتدت دائما أن تصلها عليه فى الصلاة ، فى التشهد وهى الصلاة الإبراهيمية .

وبعد ذلك تسلم أيضا على صاحبه : سيدنا أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وسلم عليه بالأخا بسلام حملت به من أحد الأهل أو الأثرياء والأصدقاء ، فإذا قيل لك حين تذهب إلى المدينة المنورة سلم على رسول الله ، فممكنك مثلا أن تقول : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله عنى وعن فلان الذى كذا وكذا وعن كذا ..

لكن إذا ما دخل المسجد ، فيه خلاف عن دخول المسجد الحرام فالمسجد الحرام لأن قام لأداء نسلك فلا بد من الطواف أولا ، ثم إن تحية المسجد الحرام الطواف . لكن المسجد النبوى لابد أن تحيى المسجد أولا بصلاة ركعتين ، ثم بعد ذلك تورد حضرة التى صلى الله عليه وسلم ، والزيارة تكون بالأدب الماشع ، استحضار عظمتهم ، استحضار مكانته عند الحق سبحانه وتعالى .. وبعد ذلك تسلم عليه ؛ لأن تشريح السلام على حضرة التى صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه رضى الله تعالى عنهما بل وعلى عموم الأموات من المسلمين إيدنا بأن لهم دراية بالسلام ، أو شعورا بالسلام . ولا لو لم يكونوا عندهم شعور بالسلام لكان التسليم عليهم عبث ، فهم فى حياة لا تعلم كبها ، ولكن أخبرنا عنها .

فنعلم تقول مثلا : والسلام عليكم ديار قوم مؤمنين ، أتم السابقون وإن شاء الله بكم لأحقون^(١) . فلو لم يكن السلام عندهم استقبال انتمالى ، لكان التسليم عبثا .

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول غزوة غزاهما فى بدر ، وقف على بحر ألقي فيه يقتلى المشركين والقلب ، وقال : يا فلان ، يا هبة يا شبة يا ... ، فقال له الصحابة : أنكلهم وقد جفيرا - بئى : أصبحوا جيفا - قال : و ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يجيرون^(٢) .

الناس نفهم أن السماع لا يكون إلا بالأذن ، وأن الرؤية لا تكون إلا بالعين ، وتكون حيايتهم كحياتنا ١١ لا .. لكن حياة قانون ، فحياتك هنا لها قانون ، وحياتك بعد موتك لها قانون .

(١) دوى سلم ١٠٧/٩٧٤ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلىا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من أسر الليل إلى الشيع ، فيقول : والسلام عليكم هر قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لأحقون .

والساقى [١٥٠٠] وأبو دود [٣٢٦٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه . وسمحه الألبانى . (٢) دواه الجاهلى [١٢٧٠] وسلم [٢٦/٩٣٦] عن ابن صر رضى الله تعالى عنهما ، وأحمد فى المسند [٢٨٧/٣] عن أبى رضى الله تعالى عنه .

فإذا ما أوتيت أن تتصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فعلم أدب الانصراف من سيدنا الإمام على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ، حين وقف وقال :

والسلام عليك يا سيدى بارسل الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك ، والسريرة اللطاف بك ... إلى أن قال : والسلام عليكم ، سلام مودع لا قال ولا سقم ، فإن تصرف فلا عن ملالة ، وإن تقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله به عباده الصابرون .

قبل الله حج من حج ، ورسر وأعان بيته ورحته من لم تكنه الاستقامة من الحج إلى أن يحج ، والمؤمن غير الحاج يستطيع أن يجعل تقلابه لغيرضات الحق على أهل الحجيج أن تعب عليه ، لأن أجهزة الاستقبال الإيجابية ، تستطيع أن صفت واستحضرت مواقف الحجيج عند الله ، أن يهب عليها من الرحمت ما عند الله .

ألم يقل الحق سبحانه وتعالى : **لَوْ كُنَّا نَعْلَمُكَ الْيَوْمَ قَالَ أَتُؤْمِنُ بِىَ أَجِدُ بِرِجَ يُؤْمِنُ** [يوسف : ١٩٤] .

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة أثناء غزوة مؤتة ، وغزوة ببيعة جند : **وَأُخِذَ الرَّابِئَةُ فَلَانِ قَاتِلَ وَقَتْلَ ، وَأُخِذَ الرَّابِئَةُ فَلَانِ قَاتِلَ وَقَتْلَ** من الذى أطمه ؟ إنها هبات الصفاء في الإرسال من هناك ، وفى الاستقبال من هنا .

وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أيضاً حين قال : **وَأَسَارِيَةُ الْجَبَلِ** ، فإن الإرسال من هناك والاستقبال من هنا إذا صحت آلة الاستقبال لا يغيب عك شيء من رحمت الله تعالى ولا من فضله .

أسأل الله سبحانه وتعالى للمحاجين أن يعودوا ، ولغير المستطوعين أن يستطيعوا ، وأسأل الله سبحانه وتعالى لجميع المؤمنين والمؤمنات فى جميع بقاع الأرض صلاح الحال .

○○○

وبعد ذلك صل ركعتين فى الروضة الشريفة وحى بين المقام والمبر ، ثم تسأل الله تعالى ما تشاء (١) .

واعلم أنك ساعة أن تقف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معناه أنك مستحضر تفعل لتقول : لأن هذا موقف أبلغ الالغاء حيث يبقه يكون أنكم ، لا بدري ما يقول ، ولا يجد إلا أن يقول صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ... اضطرب ، لماذا ؟

لأن المقام حين يهول الإنسان يقول : إن أسألنى لا تنهض لا تنهض بأن توفى حضرة التى عليه الصلاة والسلام حقه ، ويقول : ماذا أقول التى عليه الصلاة والسلام ؟ فتقول لهما : قل له كما علمك الله ، وصل عليه ، وصل عليه بسلام ، وصل على آله ، وصل على إخوانه من الأنبياء ، وقف أمامه بأدب وبخشوع واستحضر مكانته عند ربه ومكانته عند الرسل ، وبعد ذلك قاللى بلمحك الله به لله .

الإنسان منا فى المسائل التى حل هذه لا يقدر أن يحضر للموقف . ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى وكيف الفهم ويطلق الأسماء إلا أن الإنسان مطلوب من الانضباط الأدنى مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا انضبطت الانضباط الأدنى فمن المسموع على من تحب أن تمشى وتكره ، ولذلك فإنك تضع الصحيح التى تتصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدب الخيين ؛ أدب الخيين - مثلاً - كما علمنا الممارفون : **وَاللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ أَنْ تَعْلَى وَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ، وَضَاعَفَ اللَّهُمَّ مُحِبَّتِي فِيهِ** وعرفنا بحقه وقدره ، ورونتا لاتباعه والقيام بأدابه وسته ، واجعل صلاتنا عليه نوراً قائماً ماحياً عنا كل ظلمة وظلم ، وكل شك وشرك وإفك وعقبة ، واجعلها سبيلاً للوصول حتى لا تبقى فينا راية لغيرك ، وحتى تصلح لحضرتك ، وتكون من أهل خصوصيتك متمسكين من آدابه صلى الله عليه وسلم بالمثل الخيين ، مستمدين منك بآرائنا ومن حضرتك الملية كل توفيق فى أمور الدنيا وفى أمور الدين .

(١) روى البخارى ٢١٩٦١ من ألفى مبركة رضى الله تعالى عنه من التى صلى الله عليه وسلم قال : وما كنت حتى وعبرى روضة من رياض الجنة ، وسلم ٢٥٠٦/١٣٩١ والرملى ٢٣٩١٦ .

الفهرس

المقدمة

الموضوع

٣	مقدمة كتاب الطلج
٨	الطلج إعلان بنام نعمة الله على الإنسان
١٢	في الإسلام المساراة .. وعدم التعالي
١٤	المساراة في الصلاة والطلج
١٩	الكاء عند رؤية الكعبة
٢٢	سر الاتجاه للكعبة
٢٤	من أسرار الطواف .. ولماذا سبعا ؟
٢٥	أول بيت وضع للناس
٣٣	إعادة بناء الكعبة .. في عصر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام
٤٠	أول من بنى الكعبة
٥٧	البيت قبل إبراهيم .. والله الذي أرشده إليه
٦٤	هجرة إبراهيم وهاجر إلى مكة
٧١	زبرم .. وصديق التوكل على الله
٧٣	ابناء إبراهيم في ولده
٧٨	بركة البيت .. والطلج البرور
٨٨	ومن بركات الحرم .. تحريم القتال فيه
٩١	البيت حفاة للناس
٩٢	السمي بين العمما والمروة
٩٧	الوقوف بعرفة
١٠٦	دعاء يوم عرفة
١١٣	الشعر الحرام
١١٥	رعى الجمار
١١٧	من أسرار الرحمة .. الإيمان بالتكليف والعمل به بل معرفة الحكمة منه
١٢٨	ذبح الهنئى
١٣٠	مكان ذبح الهنئى



الموضوع

- ١٣٩ الملحق والتقرير
١٤٢ الملكية من الملحق والتقرير
١٤٣ طواف الإفاضة
١٤٧ التحلل
١٥١ التوكيل في رمي الجمرات
١٥٢ متى مكان ومكين
١٥٤ الخلاف في أعمال الحج
١٥٧ اجتهاد .. وليس خلافا
١٥٩ الدماء في الحج
١٦١ تضييعات ونصائح للحجاج
١٦٥ حكاية قل مقام إبراهيم
١٦٨ فضيلة موافقة يوم عرفة يوم الجمعة
١٦٩ تنهى الموت بالموت
١٧٠ الحج عن الغير
١٧١ الحج .. رالية
١٧٤ لماذا الحج ؟
١٧٥ ثواب الحج البرور
١٧٦ الطواف حول بيت الله
١٧٩ حجوا قبل ألا تحجوا
١٨٠ المزدلفة
١٨١ ابتلاء حاجر وشجرة الحج
١٨٥ حرفة رسم التسمية
١٨٦ الرحمة في الحرم
١٨٧ نوى حجوا بحجر
١٨٩ زيارة المسجد النبوي
١٩٧ المنسوس